وَميضٌ في الغَسَق

(حِكايةُ رجل : طفولته فقر وظلم ، ويفاعته تمردٌ وثورة ،
وشبابُه زعامةٌ ... فأستشهاد)

سَلمان المرشد

(أبو فاتح)

١٩٠٧ - ١٩٤٦

دراسةٌ بحثيةٌ نقديةٌ تحليلية

بقلم : عيسى أبو علّوش

هذا الكتاب

هو انقلاب على ستة عقود من عمري كاملة، حفلت بالأكاذيب والأضاليل، تراكمت في ذاكرتي بفعل (التضليل الإعلامي) الذي مارسوه بشكل يومي ممنهج، حتى استقرّ فيها راسخاً يلامس حَدّ اليقين. فانعكس حقداً على سلمان المرشد، وبغضاً له ولمريديه.

إلى أن أطلّ العقد السابع حاملاً معه حقائق، وجدتُها غريبة في البداية، تنصف الرجل وجماعته. جاءت على شكل كتب ومؤلّفات ومقالات، نشرها كتّاب وطنيون منصفون، يَنشدون الحقيقة، ويبتغون العدالة، ويعشقون الوطنيّة. فأكببت على قراءتها باهتمامٍ وتأملٍ ونَهَمٍ مرّاتٍ ومرّات.

كنت شغوفاً جداً بقراءتها، لأنّها قدّمت الموضوع بشكل واقعي منطقي، يقبله الحيادي، ويُعمِلُ به المنحاز تفكيره، ما قد يوصله إلى الشكّ، والشكّ بداية درب اليقين. مثلما حدث لي. حتّى إنّ تفاصيل بعضها كادت أن ترقى إلى توثيق الأحداث اليوميّة، أو إلى مستوى يوميات الحدث.

كما أنّ هذه الكتب أوضحت مدى إخلاص حكّام سوريا وسياسيّيها، تحت راية الانتداب الفرنسي، لثقافتهم العثمانيّة

هذا الكتاب

هو انقلاب على ستة عقود من عمري كاملة، حفلت بالأكاذيب والأضاليل، تراكمت في ذاكرتي بفعل (التضليل الإعلامي) الذي مارسوه بشكل يومي ممنهج، حتى استقرّ فيها راسخاً يلامس حَدّ اليقين. فانعكس حقداً على سلمان المرشد، وبغضاً له ولمريديه.

إلى أن أطلّ العقد السابع حاملاً معه حقائق، وجدتُها غريبة في البداية، تنصف الرجل وجماعته. جاءت على شكل كتب ومؤلّفات ومقالات، نشرها كتّاب وطنيون منصفون، يَنشدون الحقيقة، ويبتغون العدالة، ويعشقون الوطنيّة. فأكببت على قراءتها باهتمامٍ وتأملٍ ونَهَمٍ مرّاتٍ ومرّات.

كنت شغوفاً جداً بقراءتها، لأنّها قدّمت الموضوع بشكل واقعي منطقي، يقبله الحيادي، ويُعمِلُ به المنحاز تفكيره، ما قد يوصله إلى الشكّ، والشكّ بداية درب اليقين . مثلما حدث لي . حتّى إنّ تفاصيل بعضها كادت أن ترقى إلى توثيق الأحداث اليوميّة، أو إلى مستوى يوميات الحدث.

كما أنّ هذه الكتب أوضحت مدى إخلاص حكّام سوريا وسياسيّيها، تحت راية الانتداب الفرنسي، لثقافتهم العثمانيّة

ووفائهم لمستوزريهم من الأوروبيين، وأخصّ منهم الفرنسيين والإنكليز.

لقد نجحوا نجاحاً باهراً في التّضليل الإعلامي الذي مارسوه بمهارة فائقة عندما تمكنوا من وضع غالبية فقراء سوريا ووطنييها . وخاصة في الساحل السوري . في خندق واحد مع الرّجعيّة والإقطاع، وأدوات المستعمر الفرنسي، بمواجهة الثائر الوطني الشاب سلمان المرشد ... ما يشكل استمراره أكبر خطر يمكن أن يهدّد البلاد في أمنها، وفي وحدتها الوطنيّة.

لذلك كان كتابي هذا (وَميضٌ في الغسَق) محاولة متواضعة منّي على طريق تصحيح الرؤية والرؤى، وتصويب النَّهج.

وهو (هذا الكتاب) ثمرة صراع فكري داخلي، بين معلومات راقدة راكدة في مستقر نفسي، ومعلومات طارئة جديدة وافدة، اقتحمت عليها هدوءها ورتابتها، فزلزلتها بقوّة الحق، وحدّة المظلوميّة. ما قلَبَ المشهد بالعموم، وحسم الأمور، وصحّح المسار.

لكلّ ما ذُكِر... وغيْرِه مِمّا لم يُذكر، وبعدما خلّفت ورائي عقدي السّابع، امتشقت يراعي ساعياً للتكفير عن ذنوب لم أرتكبها، وأخطاء لم أقع بها، وخطايا لم أفعلها، فعساني أسهم بإصلاح

بعض ما أفسدوه، وترميم بعض ما أعطبوه، لأنّني مواطن...
والوحدة الوطنيّة هاجسي، ليس إلّا. فالوطن ملك لجميع أبنائه، وأبناؤه ملك له وحده. من قوّتهم قوّته، وعزّتهم في عزّته.
مرّة، وفي حديث هاتفي بيني وبين سماحة المفتي العام للجمهوريّة العربيّة السوريّة الدكتور أحمد بدر الدين حسون، قلت له: يا سيدي، أنا الآن مشغول بوضع كتاب حول مظلوميّة سلمان المرشد. فقال: أنتم سكان جبال الساحل السوري ظُلمتم كثيراً، ظلمكم التاريخ. اكتبوا وقدّموا نفسكم للآخر، عرّفوا الآخرين عليكم. يجب على كل مَن يستطيع الكتابة منكم أن يكتب، إنصافاً للحقيقة، وكشفاً للمظلوميّة.

التقديم:

(بقلم الأديب الأستاذ عبد الكريم قميرة)

قليلة جداً هي الكتب التي تحدّثت عن هذا الرجل الّذي ملأ الدنيا وشغل الناس في النّصف الأوّل من القرن العشرين في سوريا، وبشكل خاص في مدينة اللاذقية والساحل السوري. ولكن كثرت حوله الأقاويل والانتقادات، بعد أن لحق به وبأهله أقسى أنواع الظّلم والاضطهاد، وأُلصقت به التّهم والإشاعات... كلّ ذلك إرضاء لرغبات رجل كان يتربّع على قمة أمجاد السلطة والتّسلط في هذه البلاد الهادئة الجميلة، والتي تعرّضت، ولا تزال، إلى شتى أنواع المحن، من الخارج الطامع بخيراتها، ومن الداخل من رجال خضعوا لهذا الطامع واستجابوا لأوامره، فكادوا أن يصلوا بالناس وبالوطن إلى التّهلكة التّامّة، وإلى فقدان الاستقلال.

ولعلّ سلمان المرشد كان أكثر من تعرّض لجميع الاتّهامات بالتّعدّي على أملاك الناس والتّدخّل في شؤونهم الحياتيّة اليوميّة. وللأسف، صدّق معظم الناس في ذلك الحين هذه الأكاذيب التي لا صحّة لها، لأنّها صادرة عن رجل يتسلّط على مقدّرات محافظة اللاذقية، فلم يقبل أن يشاركه في الوجود رجل آخر لا يدين له بالولاء التام وبالتّبعيّة الكاملة، والإذعان

الشديد الدائم، بعد أن خضع له جميع رجال بلاده وحكّامها، لأنّه يملك المال، فسيطر به على الرّقاب والنفوس. هذا المتموّل الرّاغب بالهيمنة على الأجساد والنفوس هو عبد القادر شريتح الزعيم الأكبر لمدينة اللاذقية، والذي حسب نفسه كأنّه الرّب المعبود، ويجب أن تتوجّه له آيات الاحترام والتقدير. ومن كان يجرؤ أن يخالفه سيصبح مثل سلمان المرشد يتعرّض للظّلم والاضطهاد.

فما هي قصة هذا الرجل الذي دفع ثمناً باهظاً من حياته بسبب معارضته لذلك الزعيم المهيمن المقتدر المسيطر الشديد القوى في ذلك الحين ؟! هذا ما سوف نراه في كتاب (وَميضٌ في الغَسَق) لمؤلّفه الأديب الشاعر عيسى أبو علّوش، من قرية الدالية التابعة لمنطقة جبلة، والقريبة من مدينة بانياس الساحل.

والكتاب ليس كثير الصفحات، لكنّه غنيّ بالعناوين، مكتنز بالمعلومات، فهو يحتوي على تاريخ مفصل عن حياة المرشد، وحياة سكّان السّاحل السوريّ، وما كان يحدث فيه من ظلم وتعدّيات بظلّ الحكم العثماني الجائر، وسيطرة الفرنسيين الغزاة، القادمين من خارج الحدود، بحجّة تطوير هذه البلاد وتحديثها بحسب زعمهم.

ويتحدّث المؤلّف أبو علّوش عن بداية معرفته بالمرشدية من خلال أحاديث أهالي القرى المتلاصقة، التي لا تبعد عن قرية جوبة برغال أكثر من خمسين كيلو متراً. وأنّه عرف أن هناك ديناً مرشدياً، نقلاً عن ولد المرحوم المرشد وهو نور المضيء المرشد.

وأنا أتوقّف قليلاً عند هذه التّسمية... فليس هناك إلّا الدين الإسلامي الذي انقسم أتباعه إلى طائفتين كبيرتين جداً هما: السنّة، أهل الجماعة. والشيعة، أهل التفسير والتأويل. وظهر في كل من الطائفتين مذاهب وفرق صوفيّة متعدّدة. فلدى السنّة ظهرت مذاهب: الحنفيّة، والحنابلة، والشّافعيّة، والمالكيّة، ثمّ المولويّة، والوهّابيّة. وكلّ من هذه المذاهب كتابها القرآن الكريم، والسنّة الشريفة. لكنّها تختلف عن بعضها ببعض الأوراد والصلوات والدعوات والشعائر.

وكذلك عند الشيعة، وهم مُوالو آل البيت الكريم. فقد ظهر فيهم عدّة مذاهب: المذهب الزيدي في اليمن، والإمامية في العراق ولبنان وسوريا، والإسماعيلية في سوريا وبلاد الأفغان... ولدى الشيعة الإمامية ظهرت عدة مذاهب وفرق صوفيّة، أهمّها المذهب العلوي، واسمه الأصلي: (مذهب أبي عبدالله الخصيبي) في القرنين الثالث والرابع الهجريين. وهو نفسه

المذهب النميري نسبة إلى أبي شعيب محمد بن نصير البكري النميري الذي كان باباً (أمين سر) للإمام الحادي عشر الحسن العسكري. أي باب علومه وأسراره، تيمّناً بحديث رسول الله (ص): ((أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها)).وبعده ترأس هذا المذهب الحسين بن حمدان الخصيبي الذي سمّي شيخ الطريقة.كما سمّي فيما بعد المذهب النصيري نسبة إلى ابن نصير المذكور سابقاً، وأخيراً سمي المذهب العلوي نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

إنّ تعدّد المذاهب الإسلاميّة لا يعني أنّ هناك فروقاً فكريّة بينها، بل هي تسميات تتشابه مع تسميات الكاثوليك، والموارنة، والأرثوذكس، والبروتستانت، والإنجيليكانيين. فكلّهم مسيحيون، كتابهم الإنجيل، ونبيّهم السيّد المسيح عليه السلام. ولذا أعود فأقول: إنّ المرشديّين مسلمون شيعة، وعلويّون، لكنّهم اتّبعوا مذهباً خاصاً، فيه أوراد وصلوات خاصة نابعة من صميم الدين الإسلامي، وكتابهم القرآن الكريم، وهو كتاب المسلمين كلّهم في جميع مذاهبهم. لكن المرشديين قطعاً لم يشكلوا ديناً جديداً[1].

---

(١) لقد علّق الأستاذ حيدر مرشد على مقولة الأستاذ عبد الكريم قميرة أن المرشديين مسلمون شيعة، وعلويون، وأنهم لم يشكلوا ديناً جديداً، بقوله:

متابعة الهامش ((١))
((نحن مرشديّون وفقط، دين جديد، واسم جديد. نحن أدرى بمن نحن، ولا نقبل أن تفرض علينا حقيقتنا، بل نطلب احترام ما نقول عن أنفسنا، والسلام على من يحترم الحقيقة.
المرشدية دين جديد، أي معرفة جديدة عن الله. فهي بدء جديد، وليست امتداداً سابقاً. اسمها المرشدية وفقط.
وللتبيين نقول: إنّ العشيرة الغسّانية التي ألّفها وأسماها سلمان كانت تعيش قبل قيامته بين ظهراني العلويّين في عدّة مناطق، ولكنّها كانت منفردة ومستقلّة بمذهبيتها من حيث جوهر الاعتقاد، ورجاء الوعد. ولذلك فإنّ الإشارة لها بالاسميّة الطائفيّة آنذاك لا يميّز حقيقتها، ولا يجلو نقاء صورتها، بل يدمجها مع سواها.
تسمّت هذه العشيرة بعد قيامة سلمان اسماً جديداً صبغها بلونٍ عشائري وطائفي جديد، بكلّ ما تعني هذه الكلمة من معنى، وتأصّلت وتقادمت على اسمه، فهو بالحقّ صخرة أساس المجتمع المرشدي الذي انبرأ في هيئةٍ وعاداتٍ ووجدانيّاتٍ وشخصيّاتٍ جديدة، تحت راية هذا المؤسّس. ثمّ ليكون هذا المجتمع الجديد هو الساحة التي سيعمّ فيها اجتلاء الوعد القديم بالمنجاة والخلاص، وذلك بالمعرفة الجديدة عن الله والحياة، التي هي الدين الجديد الذي نسميّه "المرشديّة"، والتي أشرقت من ابنه مجيب بعد ذلك، ثمّ انتشرت وعمّت وتلألأت على يدّ ابنه ساجي.
فالمرشديّة عشيرةً وشعباً كانت، أو ديناً وعقيدةً، أو مسلكاً ومساقاً، فهي جديدة كلّ الجدّة وليست امتداداً سابقاً قطعاً. وإنّ كلّ ما سبق قيامة سلمان، من تاريخ يتعلّق بأسلافها، لا يمتّ لها بما قامت من مجتمع، أو من دين ومعرفة، أو من عادات وأعراف، ولو متّ لها في جوهر القصد، وغاية الفضيلة. فالقرآن العظيم هو كتاب محترم ومعتبر جداً عندنا، وهو من مراجع حكمتنا، لأنّه كتاب أزليّ يبقى دائماً، كما هي أيضاً محترمة ومعتبرة ومرجوع لها كل كتب الهداية السابقة من إنجيل وتوراة وزبور وسواها، لأنّ الهداية كلّها من الله، مصدرها واحد وجوهرها واحد، ولكنّها تتكامل وتأتي لكل ملّة بنورها وكتابها)).

ونعود فنتابع المؤلّف عيسى أبو علّوش الذي يتحدّث عن بعض الرجال المرشديين الذين كان قد تعرّف عليهم، فوجدهم مثالاً للأخلاق الحميدة والوداعة، وقول الصدق، والابتعاد عن الكذب والنفاق. وهذه الأخلاق هي من صلب أخلاق القرآن ومبادئ الإسلام.ونعود فنتابع الكلام ونتساءل مع المتسائلين: إذن، لماذا عاداهم معظم الناس في محافظتي الساحل السوري اللاذقية وطرطوس ؟

وعلى ذلك نجيب ببساطة معتمدين على كتاب المؤلف عيسى أبو علّوش الذي يذكر فيه أنّ سلمان المرشد تميّز منذ طفولته الفقيرة بانفراده عن الناس، وبصفاته الحميدة في بداية القرن العشرين، في قرية جوبة برغال الفقيرة الجرديّة، البعيدة عن السهول الساحلية نحو عشرين كيلو متراً... وهذا ليس غريباً أو نادراً، لأنّ المجتمعات الفقيرة يكثر فيها شديدو الإيمان والمتصوّفون الذين هالهم البؤس والحاجة إلى الحياة الكريمة، فيتطلّعون إلى السماء طالبين العون والفرج من الله سبحانه وتعالى.

فاشتهر أمر المرشد بين الناس كما اشتهر المرسي أبو العباس، والسّيّد أحمد البدوي والعدوي في الصعيد المصري...

(نقلاً عن الدكاترة زكي مبارك في كتابه "تاريخ التصوف"...)[1].

وثمّة فرق صوفيّة أخرى مثل الرّفاعيّة، نسبة إلى أحمد الرّفاعي. والقادريّة، نسبة إلى عبد القادر الجيلاني. والبدويّة، نسبة إلى أحمد البدوي... وغيرها.

---

(١) لقد عقّب الأستاذ حيدر مرشد على قول الأستاذ عبد الكريم (فاشتهر أمر
المرشد بين النّاس كما اشتهر المرسي أبو العبّاس، والسّيّد أحمد البدويّ
والعدويّ في الصعيد المصري...الخ) فقال :
هذا الكلام هنا تضحكُ منه عزّتنا من جهة ، و تتهامس عليه الحجّة من جهة
ثانية ، فهو محاولة فلسفيّة أو كما يسمّونها تحليلية لتفسير ظواهر الحياة ،
وتريد دائماً تنظيمها وترتيبها ، وهذا لا تقبله الحقيقة لأنّ الحقيقة تُدرس ولا
تُدرّس ، تُملِي ولا تُملَى . وكما الفقر بالفعل بيئة للالتجاء لله هو أيضاً بيئة
لنشوء اليأس والصفات الوضيعة .
إنّ نهضة سلمان هي من الرفعة وأيّ رفعة عن مثل هذه النظريّة الضيّقة لأنّها
أنشأت شعباً كاملاً متوحّداً على الإيمان بالرّحمن ، نهضة بنت شعباً من الحطام
إلاّ كلمة الحق بمعرفة الله ورجاء منجاته . أخفق هذا التحليل في إدراك البعد
الأسمى أو الرّوحي للموضوع والّذي عليه أن يعترف به حتّى لو لم يدركه وهو
غير مطالَب أو مطلوب لذلك ، ذلك البعد الذي هو بحق جوهر الارتباط وحقّانيّة
المبدأ وتبرير الغايات ، فكيف سيحكم العقل حكماً صحيحاً غير جائر بدون هذه
الحاسّة السامية التي أسموها الدين فيما أسموه من أسماء . ومن هزليّات
التأريخ مقارنة قصّة سلمان مع تلك القصص في مصر وسواها .
وإذا كان من التعمّق الفكري أن تُشَبّه بها قصّة المسيح أو قصة نبيّنا الطّاهر
محمّد أو قصّة موسى أو قصّة الحسين عليهم جميعاً الصلاة والسلام فلتُشَبّه
قصّة سلمان بها أيضاً لأنّ قصّته في إطار قصصهم نفسها .
الفكر لا يستطيع اكتشاف الحق ولا ملامسة الحكمة لوحده ولذلك لم يصل
الفلاسفة عبر التاريخ إلاّ إلى دود التراب ولذلك أنزل الدين و جاء الرسل منذ
الأقدمين ، ولكنّ الإنسان مازال حتّى الآن يصرّ على دائرته المفرّغة بينما يتفوّق
بعلوم القدرة والتكنولوجيا ذلك لأنّ هذا بقدرته ولأنّه يقع ضمن حيّز حواسّه .

ثمّ تطوّرت أحوال ذلك الفتى المرشد، فأصبح، بإرادة الله، نائباً وزعيماً التفّ حوله أبناء منطقته، فيمثّلهم في برلمان العاصمة دمشق، ويقدّم لهم الخدمات خلال الحكم الفرنسي، ثمّ في بداية عهد الاستقلال.

لذا، وبسبب زعامته الريفية الجبليّة والسّياسيّة، بات له نفوذ واسع مؤثر، يحتمي به أتباعه وحلفاؤه أبناء القرى الذين رأوا فيه داعماً لهم في الحياة يساعدهم على حلّ مشكلاتهم.

ويتحدّث المؤلّف أبو علّوش، نقلاً عن مذكّرات السيَّاف، أنّ الأسر الفقيرة في الأرياف كانت تلجأ لتأجير أو بيع بناتها للعمل كخادمات في بيوت الأسر الغنيّة بالمدينة، ما يؤدّي لفقدانهن كراماتهن، ولوقوعهن في المآسي. ولذلك كان المرشد يُحذِّر بشدّة أبناء منطقته من عادة تأجير البنات، وكان يدفع من ماله الخاص ما يحتاجه والد البنت ويمنعه من تأجيرها.

هذا العمل ضايق الزعيم اللاذقاني المتموّل عبد القادر شريتح، لأنّه رأى في تدخّل المرشد خطراً على وجاهته وزعامته، وإزعاجاً لسيادته. علماً بأنّ الاثنين حملتهما انتخابات عام ١٩٣٧ معاً إلى البرلمان السوري كعضوين أصيليْن فيه.

وما زاد الأمر حدّة وتفاقماً أنّ المزارعين في منطقة الحفة وجوبة برغال سارعوا إلى منزل سلمان المرشد (أبو فاتح) وشكوا له أن قريتهم (سطامو) القريبة من اللاذقية قد اغتصبها البيك شريتح، وهو لا يملك فيها إلّا ستة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً هي كامل مساحة أرض القرية. فكلّف أبو فاتح المحامي الشهير يوسف تقلا الذي تمكّن من إعادة الأرض إلى أصحابها الحقيقيين بواسطة القضاء، عبر المحكمة العقاريّة التي أمرت بذلك، ما أزعج شريتح الذي تحالف مع المحافظ وقائد الشرطة، وبدعم من رئيس الوزراء سعدالله الجابري، واتّفقوا على التّخلّص من هذا الشّخص (سلمان) المزعج لهم، والخارج على سيطرة أغنياء المدينة، وحاكمها الأوحد.

ويعيدنا المؤلّف أبو علّوش إلى مراجع عدّة أهمّها (مذكرات السيّاف) الذي كان مديراً للريجي باللاذقية. وهذه المؤسسة هامة جداً باعتبار أنّ جميع سكّان الريف يرتبطون بها لأنّهم جميعاً كانوا يزرعون التبغ بإشرافها، وكانت تشتري منهم محصولهم من التبغ بأسعار زهيدة تفرضها الدولة.

أقول: إنّ السيَّاف يذكر أنّ وجهاء المدينة وزعيمهم عبد القادر شريتح غضبوا كثيراً من هذا الفلّاح الجبلي الفقير الذي صار نائباً يمثل الفلاحين الفقراء في المجلس النيابي، وبات يمنع الزعماء الأغنياء من التّدخّل في شؤون المحافظة. ومنهم من غضب أكثر، خاصة نائب جبلة جمال علي أديب الذي هدّد المزارعين في الجبل قائلاً لهم بأنّه سينقلهم من قراهم مطرودين منفيين إلى الصحراء... كما فعل بأجدادهم السلطان العثماني سليم الأول إثر انتصاره على سلطان الدولة العربية قانصوه الغوري في ٢٤ آب ١٥١٦م في معركة مرج دابق الشهيرة بسبب خيانة والي حلب (خايربك) الّذي تحوّل اسمه إلى (خاين بك).

أقول: فدخل السلطان التركي المنتصر إلى المدينة، وقتل من أهلها نحو مئة ألف، ثمّ نفى سكّانها الشيعة العلويين بعد أن استولى على ممتلكاتهم، إلى جبال اللاذقية الجرداء، وسمّاهم (السوراك) أي المبعدين، (ومنها اشتق اسم السوركة) التي يصنعونها لطعامهم من حليب مواشيهم، حيث عاشوا في أدنى درجات الفقر والحاجة والحرمان. ولذا فإنّ النائب جمال علي أديب يهدّد السكّان بتهجيرهم مرّة أخرى، ولكن إلى الصحراء،

كي يخيفهم ويستولي على ممتلكاتهم (قُتِلَ الإنسانُ ما أكفره!!) لكن، من كان يمنعه ويعيق نفوذه ونفوذ زميله الإقطاعي الكبير عبد القادر شريتح ؟!!.

الجواب: هو سلمان المرشد.

والجدير بالذكر أنّ معظم زعماء الجبل الآخرين كانوا ضد سلمان المرشد، إمّا حسداً من زعامته ومكانته، أو خوفاً من شريتح وحلفائه في دمشق، وخاصّة الزعيم الكبير سعدالله الجابري.

والصراع يومذاك لم يكن طائفياً، كما يحلو للناس البسطاء أن يفسّروه، بين السنّة والشيعة العلويين، بل كان صراعاً طبقياً بحتاً، وفق نظريّة كارل ماركس التي تحدّث عنها في كتابه (المسألة اليهودية) والتي تقول بأنّ الطّبقة الرجعية عندما تحارب الطبقة الفقيرة تتذرّع بالدّين وبالطائفيّة. فسكّان الجبل الساحلي فقراء، ويتطلّعون إلى الحرّيّة والمساواة. إذن يجب قمعهم بأيّة وسيلة أو ذريعة.

وهل كان أصحاب السيد المسيح والنّبي محمّد إلا فقراء؟؟!!وهل كان أنصارهما إلّا الفقراء والعبيد والمحتاجين؟!. ولذلك سعى المتموّلون من كلّ الطوائف وتآمروا ضد سلمان المرشد الذي كان، كما يقول المؤلّف أبو علّوش، ضد

الإقطاعيين والمتموّلين الكبار الذين كانوا يمتصّون دماء فئات الشعب لدرجة أنّ قرى متعددة استجابت لدعوات التبشير المسيحي، وهي وسيلة استعمارية قديمة، طمعاً بأكياس الطحين المقدّمة من الدوائر الفرنسية، لإطعام الأهالي الفقراء وأولادهم الجائعين.

والجدير بالذكر أنّ المرشد وَقَفَ ضد هذه الحركات التبشيريّة الاستعمارية أيضاً، ومنع تسلّلها إلى مناطق جماعته. وبذلك حارب النفوذ الفرنسي، في الوقت الذي كان فيه معظم الزعماء، ومن كل الطوائف تقريباً، يتسابقون لعرض خدماتهم على فرنسا وحلفائها، وعلى أذيالها من الطبقة الرجعية الحاكمة، وهذا ما أكّده المؤلّف أبو علّوش في كتابه الذي نحن بصدده... وقد أيّده في ذلك المعنى الشاعر السفير عمر أبو ريشة عندما اتّهم جميل مردم بك رئيس الوزراء السوري في مرحلة من تلك الفترة، بالجبان المجرم، بسبب مشاركته في التآمر على فلسطين وشعبها المشرّد.

ولكي تستطيع الرجعيّة السورية أن تتخلّص من المرشد، الرجل الثائر الذي يحاول أن يستعيد لأبناء الريف الساحلي شيئاً من المكانة الاجتماعية، والكرامة الإنسانيّة، لجأ المحافظ عادل العظمة، بالتعاون مع الزعيم شريتح إلى الخديعة والاحتيال،

فقد كَلَّفا مدير الريجي أحمد نهاد السيّاف، وهو من رفاق الزعيم الوطني الكبير إبراهيم هنانو، أن يبلغ المرشد أنّهما مع صحبهما يرغبون بتناول طعام الغداء إلى مائدته في بيته بقريته جوبة برغال يوم الجمعة ١٣/أيلول/١٩٤٦م. فوافق المرشد على تلبية طلبهم بالرّغم من الشكوك التي انتابته تجاهه. واستدعى ولده الأكبر فاتح من الجامعة الأمريكية في بيروت كي يساعده في الترحيب بهؤلاء الضيوف وخدمتهم.

وقد استعدّ أبو فاتح وجماعته لتقديم أفضل ما يملك من ضيافة لهم، وحسن ترحيب بهم. لكن الرجعية السورية الممثلة بالمحافظ وعبد القادر شريتح كانت قد دبّرت له ولعائلته مكيدة على غرار العصابات الصهيونية، إذ بدأت إحدى سيارات الأمن بإطلاق الرّصاص على بيت المرشد وحارته. وسمعت صوت الرّصاص السّيّدة أم فاتح المسمّاة هلالة محمود داؤود حسن، فأطلّت فرأت أحد الجنود يطلق النّار عليهم، فخافت على ولدها فاتح، فأطلقت النار على الجندي مطلق النار فأردته قتيلاً. عندئذ أطلق زوجها سلمان عليها النار فقتلها، قائلاً لها: قَتَلْتِني يا أم فاتح. وسواء أكانت هي التي قالت له: اقتلني يا أبا فاتح أم لا، فقد قتلها كرد فعل على قتلها للشرطي

ليحميها من اعتداءات رجالات الحكومة الحاقدين[1]. وقد بادر رجال الأمن فوراً إلى اعتقال جميع أفراد الأسرة المرشدية. وقدّموا للمحاكمة بعد شهرين من التحقيق المزيف المجرم حيث خضعوا لأشدّ وسائل التعذيب، كالصدمات الكهربائية على الطريقة النازية، ونسوا أنّ المرشد نائب في البرلمان السوري، وأنّه يتمتّع بالحصانة النّيابيّة... لكن لا حصانة للفقراء الضعفاء. فرفعوا الحصانة عنه في جلسة خاصّة للبرلمان. وفي المحكمة تولّى مهمّة الدفاع عن سلمان المرشد المحامي الشهير يوسف تقلا، بالإضافة إلى المحامي بهيج تقي الدين

---

(١) و حول رواية مقتل أم فاتح وأسبابه كما أوردها الأستاذ عبد الكريم ،

يقول الأستاذ حيدر مرشد : إنّ هذه الرواية عن أم فاتح غير صحيحة وهي لم تقتل أحداً أبداً ولم تكن قريبة أصلاً من مكان الاشتباك الذي كان على جبل العزرا بينما هي كانت في الحارة والمسافة بينهما كبيرة . وهي التي قالت له " سلمان اقتلني لحسن ما ياخدوني هنّي" . وأحسن توضيح لهذا الأمر وتبرير هو ما أجاب به إمام المرشدية ساجي مرشد لأحد الكتّاب الغربيّين بقوله : " القول أنّ سلمان قتَلَ زوجته أمّ فاتح لأنّها هيَ التي أمرت بالكمين ، معلومة خاطئة . فأم فاتح لم تأمر بالكمين ، ولكنّه وقد قرّر الاستسلام ، قتلها ، لكي لاتقع في أيدي رجال الدرك . ولمّا كان الانتحار محرّماً دينيّاً ، بحيث لا تستطيع أمّ فاتح أن تُقْدِم على الانتحار ، لم يكن مفرّ من أن يقتلها سلمان ".

الزّعيم الدرزي اللبناني، الّذي لاحظ فوراً أن اتّجاه الدولة يميل للحكم على المرشد بالإعدام لتتخلّص الرجعيّة من أيّ رقيب يحاسبها على ظلمها وتعدّياتها على أبناء الجبل المطلّ على الساحل.

لقد استطاع المؤلف أبو علّوش أن يشرح للقارئ لماذا تكتّلت جميع الفئات الحاكمة من الزعماء الإقطاعيين ضدّ سلمان المرشد... وذلك لأنّه كان الوحيد من زعماء الساحل السوري الّذي حارب فرنسا، بينما كان الآخرون عملاء صغاراً ينفّذون أوامر المحتلين. ولذلك نفته السّلطات الفرنسيّة إلى الرقّة (منذ بداية دعوته، وعمره لم يتجاوز الثمانية عشر عاماً)، حيث رحّب به وجهاؤها آل العجيلي وآل الشوّاخ، بينما كانوا هم يتمتّعون بنعيم السلطة والهيمنة على مقدّرات البلاد. كما أنّ جماعته وأنصاره لم يتجنّدوا في صفوف الجيش الفرنسي. ولذلك فقد ضغط رجال الحكم الرجعيّون على المحكمة لتحكم عليه بالإعدام زوراً وجوراً. ونفّذوا فيه الحكم، فتمّ شنقه بعد صدور الحكم بأيام قليلة.

وقد علّق المرحوم فارس الخوري في كتاب (أيام لا تُنسى) تأليف مرافقه الخاص محمد الفرحاني فقال: (إنّ سلمان المرشد

لم يدَّعِ الألوهية، لكنّ شعبه كان يطيعه وينفّذ أوامره. حتّى ولو كان هو الذي ادّعى الألوهيّة، فليس في القانون السّوري ما يوجب إعدامه بهذه التّهمة). ويتابع فارس الخوري فيقول: (إنّ إعدام سلمان المرشد كان ظلماً وحسداً، والذي ظلمه هو سعدالله الجابري.. الذي شرّد أولاده غدراً).

وينقل المؤلف عن السيّاف في مذكّراته فيقول بأنّ المرشد لم يرفض للحكومة أيّ طلب... كما يذكر السّيّاف ذاته في مذكّراته أنّه طُلب إليه أن يشهد ضدّ المرشد في المحكمة العدليّة لقاء تعيينه سفيراً مفوّضاً برتبة وزير، مع شيك مفتوح... فرفض. فأقيل من إدارة الريجي باللاذقية وعاد إلى بلده حلب. كما أنّ عناصر الحكومة السورية وزعماءها الرجعيين كانوا يحقدون على المرشد. فبعد إعدامه الجائر الظّالم من غير حق، ادّعوا أمام النّاس والصحافة بأنّهم أعدموه فوراً كي يُخيفوا بذلك سلطان باشا الأطرش في عرينه بمدينة السويداء. لكن الأطرش لم يخف، فظلّوا هم ظالمين.

واستمرّ حقد الحكّام السوريين الرجعيين حتّى بعد ذهابهم إلى غير رجعة. وقد انتقل هذا الحقد إلى الدكتاتور أديب الشيشكلي الذي أرسل مندوباً مجرماً عنه وأقدم على قتل مجيب المرشد

ابن الشهيد سلمان. ولعلّ كلّ قارئ يتساءل: ماذا فعل مجيب؟ والجواب هو: إنّه لم يفعل أيّ شيء، لكن الدكتاتور أراد أن يرضي زعيم اللاذقية الرجعي عبد القادر شريتح وحليفه جمال علي أديب الذي كان قد هدّد المزارعين العلويين في منطقة جبلة بأنّه سينفق ملايين الليرات السورية من أجل تهجيرهم من هذه الديار إلى الصحراء كما ذكرنا.

كما أنّ الدكتاتور الشيشكلي لم يتحمّل وجود العقيد محمد ناصر (خيربك) قائد سلاح الطيران السوري، وهو من ريف جبلة (قرية عين شقاق)، وكان يقف ضد تفرّده بالسلطة، فأرسل مجرمين إليه فقتلوه.

ومع أنّ المغدور ناصر كتب بدمائه أسماء القتلة المجرمين، لكن الشيشكلي تدخل مع قضاة المحكمة فأصدرت قراراً بعدم مسؤوليتهم، وخرجوا أبرياء. وضاعت دماؤه الوطنية هدراً، (وذهبت روحه إلى خالقها تشكو ظلم الإنسان لأخيه الإنسان) كما قال الزعيم الوطني الكبير الدكتور عبداللطيف اليونس في مذكراته...

وفي نهاية كلمتي هذه لا بُدّ لي من أن أهنّئ المؤلّف الأستاذ عيسى أبو علّوش على شجاعته في الكتابة عن أحد رموز

النضال الوطني والاجتماعي والطبقي المرحوم الشهيد سلمان المرشد (أبي فاتح) الذي بذل دماءه رخيصة فداء لأبناء الجبل الساحلي في اللاذقية. تاركاً للناس السوريين في ذلك الحين واقعاً مخجلاً، إذ أصبح معظم المتعاملين مع المستعمرين الفرنسيين نواباً ووزراء وحكاماً!! (فلا حول ولا قوة إلا بالله).

لقد مات المرشد شهيداً، لكن ها هم الآن أحفاده بعض جنود هذا الوطن يقاتلون الغزاة الغرباء، حلفاء اليهود الذين يقاتلوننا بأموال أعرابية خدمة لإسرائيل.

رحم الله أبا فاتح الشهيد... وشكراً لشجاعة الكاتب عيسى أبو علّوش.

عبد الكريم إبراهيم قميرة

(أبو جهاد)

طرطوس في ٩/٥/٢٠١٦م

مقدمة المؤلف:

تنشّقنا معاً (سلمان وأنا) هواء هذه الدنيا عاماً واحداً فقط هو عام١٩٤٦م قدِمتُ إليها في أوله، وغادرها في آخره.

ولأنّه كان (مالئ الدنيا وشاغل الناس)، فقد تعرّفتُ على اسمه وقت تعرّفي على أسماء أفراد أسرتي وأقاربي وجيراني، لكثرة ما كان يتردّد على مسامعي عبر حكايا أهلي وجيرانهم وضيوفهم.

. وكلّما ازداد وعيي وانتباهي لما يجري حولي . وأنا في طفولتي المبكّرة . كلّما سمعت حكايات عنه وعن عائلته وأولاده وأتباعه ترقى إلى مستوى الأساطير، وحتّى الخرافات. وهي بمعظمها تنحو منحى التحامل عليه، وإدانته وشتمه.

ولأنّنا أبناء محافظة واحدة، وقريتنا (الدالية) لا تبعد عن قريته (جوبة برغال) أكثر من خمسين كيلو متراً، فإنّ أخبار أهله كانت لا تتأخّر بالوصول إلينا. وكانت هذه الأخبار تقابَلُ من أهل منطقتنا إمّا بالتشفي والشماتة، وإمّا بالاستنكار والإدانة.

فإن كانت تحكي عن اضطهاد السلطة لأحد من أبناء سلمان أو جماعته، كانوا يشمتون بهم، ويؤيّدون ما يتعرّضون لهم من ظلم وعسف، وإن حكت عن دفاع المرشديين عن أنفسهم بتعرّضهم لأحد من مناوئيهم، وخاصة من العلويين، أو لأحد

من السلطة، كانوا يستنكرون هذا العمل ويدينونه، ويتمنّون لو تنزل الدولة بهم العقاب الشديد الصارم، وليس القصاص العادل فقط. كانت هذه المواقف متكئة على ثقافة دينية يلخصها البيت الشعري الذي تحفظه العامة وتردّده دائماً، وهو:

اثنان، إنْ عِشْتَ، لا تَقْرَبهُما أَبَداً

الشِّرْكُ باللهِ، والإضْرارُ بالناسِ

لم يكتف سلمان المرشد، بحسب زعمهم، بإحدى هاتين الموبقتين، وهما الشرك بالله، وضرر الناس فقط، بل جمعهما معاً. فهو ادّعى الربوبيّة، أي أنّه أشرك بالله عندما جعل من نفسه شريكاً له. وهو كان يظلم الناس ويلحق بهم الأذى والضرر، فهو معتدٍ عليهم. وقد أورث جماعته هذا السلوك المشين !!

ثم أضافوا إليهما عاملاً آخر أشد خطراً عليهم، وهو أنّ سلمان شقّ صفوف العلويين، وأخرج منهم كتلة بشرية كبيرة أضعفتهم في حالتين: الأولى بخروجها منهم، والثانية بانقلابها عليهم، وعدائها لهم. كان أهل الجبل في ذلك الزمان يعيشون (من قلة الموت) كما كانوا يقولون عن أنفسهم. فالفقر والجهل والتخلّف سادة الموقف. لا يوجد تعليم، ولا وسائل اتصال وتواصل

ونقل، ولا راحة لهم في حياتهم، فالعمل الشاق في أراضيهم الجبليّة الصخريّة والحراجيّة يستهلك وقتهم على مدار السنة.
فكثيرون منهم عاشوا عقوداً من الزمن، ثم ماتوا، ولم يعرفوا أو يدخلوا قرية واحدة خارج قريتهم، فكيف يكون حالهم مع المدينة ؟!.

ثمّ لم يروا (هم وأجدادهم) من السلطات المتعاقبة منذ مئات السنين إلّا الظلم والقهر والاضطهاد، فكيف يغدون الآن مدافعين عن السلطة (الجائرة بحقهم) ضد المرشد وجماعته ؟!
ولكن مَن الذي كان ينقل لهم هذه الأخبار التي كثيراً ما تكون ملفّقة، ويزرع في عقولهم هذه الثقافة الحاقدة الفاسدة ؟! وهم وأمثالهم مَن عنيتهم بقولي: (المُضلَّلون من الفلاحين... الذين كان يجب أن يكونوا منطقياً في صفه حيث مصلحتهم) كما سيأتي تحت عنوان (من هم أعداء المرشد؟!).
لاشكّ أنّ الذين كانوا ينشرون هذه الأخبار في المحافظة خاصة، والبلاد عامة، هم المتضرّرون من (ثورته) وزعامته، كسماسرة التبغ، والمحتكرين، ورؤساء العشائر، والزعماء الذين كان ينافسهم في الانتخابات ويهزمهم، ورموز الإقطاع... وغيرهم. أي أنّ كل ما وصلنا ووصل الناس في داخل البلاد

وخارجها كان رواية الحاكم فقط، ولم يُقدَّر لنا سماع رواية الطرف الآخر ووجهة نظره.

تراكمت في نفسي ثقافة الحقد على سلمان وأتباعه. وعندما كبرت وتعرفت على بعضهم كزملاء في صفوف الدراسة، كنت أنفر منهم، وأحاول ألّا أقيم أيّة علاقة معهم. وكنت حذراً منهم أيضاً، بل وأخشاهم، لأنهم (شريرون ومعتدون وكافرون).

لكن المفارقة اللّافتة كانت أنّني وجدتهم، فيما بعد، طيبين، بسطاء، صادقين، عقلاء، شديدي التقيد والالتزام بالنظام والانضباط. لم أسمع من أيّ منهم كلمة بذيئة. ولا يثيرون مشاكل مع أحد، سواء مع زملائهم الطلاب، أو مع مدرّسيهم وإداراتهم. بعكس الصورة التي كانت مرتسمة في عقلي ووجداني عنهم.

وفي السنوات التالية حاولت التقرّب منهم، والتودّد إليهم، فلم ألقَ الاستجابة المطلوبة. كنت ألاحظ أنّهم يريدون مع الآخر علاقات ذات سقف واطئ، محكومة دائماً بالأدب والأخلاق. كما أنّهم شديدو التكتم في ما يعتقدون، فلا يبوحون بشيء منه لأحد. وسأورد ثلاثة نماذج من تجاربي الشخصية معهم:

١ . في عام ١٩٧٣م أحدثت في ضيعتنا بلدية من الدرجة الرابعة، وكان موظفوها ثلاثة فقط هم رئيس البلدية ومحاسبها ومستخدم.كان المحاسب مرشدياً من قرية الفاخورة بمنطقة القرداحة اسمه نصر سلهب. خدم فيها أكثر من ١٥ سنة لم يثر خلالها أيّة مشكلة مع أحد من المواطنين، بالرغم من مشاكل البلديات الكثيرة مع الناس. ربطتني به صداقة شخصية جيدة، وعلاقة إنسانية مميزة. كانت الزيارات العائلية بيننا قليلة كما كان يرغب، لكن الزيارات المتبادلة بين زوجتينا كانت كثيرة جداً، وخاصة أثناء دوامنا. ومع ذلك لم أستطع الحصول منه على أية معلومة عن المرشدية.

وهنا أذكر (للدعابة) فقط، أن هذا المحاسب كتب يافطة كبيرة تقول كلماتها حرفياً: ((العاملون في بلدية الدالية يشاركون الشعب العربي أفراحه)). كان ينشرها معلقة على شرفة مبنى البلدية المستأجر في كل مناسبة تحل. حتى أن لون قماشها الأبيض تحول إلى اللون الرمادي بسبب القدم، وكثرة الاستعمال، وتعرضها الطويل لأشعة الشمس.

٢ . تعرفت على تاجر ملابس بمدينة اللاذقية، وعرفت أنه مرشدي من خلال تعامله مع الزُبن. فهو يتعامل معهم باحترام،

فلا يثور، ولا يغضب، ولا يحلف. وأنا شخصياً تستهويني هذه المواصفات الإنسانية فصرت أقصده أولاً، فلا أشتري من سواه إذا وجدت حاجتي لديه.

٣- وفي تسعينيات القرن الماضي جمعتنا المصادفة في لجنة واحدة لتصحيح أوراق الشهادتين الإعدادية والثانوية بمدينة اللاذقية. كنا على طاولة واحدة، صديقي من إحدى قرى جوارنا وأنا، مع زميلين مرشديين. توطدت بيننا العلاقات الشخصية كثيراً وقضينا سوياً فترة التصحيح كاملة، وقد امتدت لأكثر من شهر، لم أستطع الحصول منهما إلا على معلومة واحدة فقط وهي أن لديهم عيداً سنوياً كبيراً موعده ٢٥/آب من كل عام، ولا يتخلف عنه أي مرشدي مهما كان نوع عمله ومكانه. ومن لا يستطيع الحصول على إجازة من عمله الوظيفي يتركه بلا إجازة لحضور العيد مهما تكن النتائج.

وعندما طلبنا منهما دعوتنا لنشاركهم أفراحهم في عيدهم هذا، اعتذرا منّا من غير حرج، عن عدم قبول طلبنا، ورحبا بزيارتنا لهم في بيوتهم في أي موعد آخر، لأنّ هذا العيد لا يشارك به غريب، وكل من ليس مرشدياً غريب.

في تلك الفترة كنت قد بدأت أعمال الكتابة في مجالات التوثيق والتأريخ والتراث، إضافة للشعر. وقد حرّضني على الكتابة عن سلمان المرشد وثورته ومأساته، وأثار اهتمامي، ما لمسته من سلوك إيجابي لدى النماذج من المرشديين الذين تعرفت عليهم وذكرتهم آنفاً. ورغبت في تقديم سلمان كنموذج للقارئ العربي عموماً، والسوري خصوصاً، ليحكم له أو عليه، متوخياً الصدق والموضوعية، باحثاً عن المعلومة الدقيقة والصحيحة. فصرت مهتماً بجمع المعلومات والوثائق عنهم، ولكن دون جدوى.

ومرت الأيام والسنون حتى عام ٢٠٠٧م عندما وجدت مذكرات المرحوم أحمد نهاد السيَّاف منشورة في كتاب (شعاع قبل الفجر) عام ٢٠٠٥م، فأقبلت على قراءتها بنهم وشغف مرّات عديدة.

وقد وجدته يشبه إلى حد كبير كتاب (ثورة الشيخ صالح العلي) للمرحوم الدكتور عبد اللطيف اليونس المنشور عام ١٩٤٧م. فكلا الكتابين شكلا أساساً جيداً، وأرضية صالحة، اتكأ عليها من كتب عن الموضوعين لاحقاً، أو من سيكتب. ولولاهما لضاعت معلومات هامة، ومحطات ذات قيمة كبيرة ومؤثرة في تأريخ هاتين الثورتين.

ثم وفي عام ٢٠٠٨م وصلتني نسخة من كتاب (لَمَحَاتٌ حول المرشدية، ذكريات وشهادات ووثائق) لمؤلفه المرحوم نور المضيء المرشد الذي يُعَرِّف المرشدية بأنها ((دين، وليست حزباً سياسياً، ولا نظاماً اجتماعياً معيناً، ولا برنامجاً اقتصادياً...))، ويقول: ((قطعاً لكل تَلَبُّكٍ بالأذهان، ولكل مقولة مخطئة، نضع هذا التعريف))[1].

وفيه يسمح للمرشديين الانطلاق بأفكارهم وآرائهم دون وجل. وسوف أورد التعريف كاملاً في مكان آخر. ثم قدر لي أن أقرأ كتباً أخرى حول الموضوع. ومواضيع على شكل مقالات منشورة ضمن كتب، لكتّاب كلهم متعاطفون مع ثورة المرشد ومظلوميته.

فكرت جدّيّاً بالكتابة عن هذا الموضوع، لأنها تتفق مع رغبتي وقناعتي وإرادتي. ولكنني كنت أصطدم دائماً بنصائح بعض أصدقائي الذين أستشيرهم، بعدم الكتابة، بحجة أنها قد تخلق كذا، وكذا، وكذا. وقد، وقد، وقد...الخ إلى أن جمعتني الظروف في أحد أيام خريف عام ٢٠١٤م في مدينة طرطوس

---

(١) لَمَحَاتٌ حول المرشدية . نور المضيء المرشد . ص ٤٩٥ .

بمجموعة من أدبائها الكبار. كنت الأصغر بينهم سناً ومكانة وقدراً وثقافةً وسمعةً وتحصيلاً. وعندما فاتحتهم بالموضوع، ورغبتي بالكتابة حوله، أبدوا آراءهم الموافقة بحماسة واندفاع، وشكروني حتى لمجرد طرح الفكرة، وأثنوا عليَّ. أعطوني بموقفهم هذا جرعة من الثقة والاندفاع. ولأنني أثق بهم، وبوطنيتهم وبثقافتهم، وبآرائهم المستنيرة السديدة، وبرجاحة عقولهم، فقد حزمت أمري، وقررت البدء حالاً.

وأنا، هنا لا أقدّم بحثاً أو دراسة عن المرشدية (كدين) كما يُعرفّها نور المضيء ابن مؤسسها سلمان، على لسان معلمها ساجي المرشد، وذلك لأن فلسفة الأديان تتدخل في عالم الغيبيات. والبحث فيها قد يدخلنا في متاهات يصعب علينا الخروج منها. ناهيك عما قد تجره من فتق جراح بعضها بالكاد رتق، وبعضها لا يزال مفتوحاً قد تطول جداً فترة رتقه، هذا إذا كنّا متفائلين بحتميّة رتقه يوماً. وأنا أنظر إلى المعتقدات بمنظار التنوع الذي يغني المجتمعات بالتكامل، وليس بمنظار التفاوت الذي يؤدي إلى التصادم.لكنني أتحدث عن مأساة شخصية، ومظلومية مسكوت عنها. ((والمسكوت عنه هو

التاريخ الاجتماعي الممنوع، بحجة الحرص على الوحدة الوطنية))[1].

ثم أتحدث عن رجل عصامي وطني ثائر، خضعت له الدنيا، ثم خانته، وغَدَرَ به ناسها. وأخلصت له شجاعته، وإرادته، وإيمانه، ورافقته حتى اللحظة الأخيرة في حياته. فلم تخنه، ولم تتخلَّ عنه. فها هو يجيبهم، وهو تحت حبل المشنقة المتدلي أمام ناظريه، وهو يمعن النظر إليه ويرقبه، رافضاً تغطية عينيه بالعصابة، منتظراً إدخال رأسه في حلقته، ليلتف حول رقبته، عندما وجهوا له السؤال التقليدي الأخير قبيل تسليم روحه لباريها. ماذا تطلب؟ قال:

((أطلب أن يُلَفَّ جسدي بعلم وطني)).

إن قضية المرشد تعتبر فصلاً مطموساً، وشديد التشوه والتنميط السوري الحديث[2].

لكن، ربما كان أهم ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع (الشائك كما يرونه، والبسيط كما أراه، من حيث الكتابة فيه) بالرغم من التحذيرات الكثيرة والعنيفة التي تلقيتها من هنا

---

(١) مقدمة (شعاع قبل الفجر). محمد جمال باروت. ص ١٢ .

(٢) المصدر السابق. ص ٣٧ .

وهناك بذرائع شتى، هو شعوري الصارخ بحراجة الموقف الذي يواجهنا الآن كمسلمين وعرب، وخاصة في سوريا. فالغرب المتصهين المتهود، وأدواته في منطقتنا من الرجعية والوهابية والإخوانية، بقيادة الإمبريالية العالمية وعلى رأسها نظام الولايات المتحدة الأمريكية، وضعت برامج لها وخططاً لا تحصى، وأهدافاً لإضعاف شرقنا بتفتيته سياسياً، وتمزيقه اجتماعياً، ونهب ثرواته اقتصادياً، وتدميره بشرياً وعسكرياً... فتارة بإثارة النعرات الطائفية والمذهبية، وتارة بإثارة الفتن القبلية والعشائرية والإثنية والإقليمية... وسواها، وإشعال فتيل الاقتتال فيما بينهم حتى إبادة بعضهم بعضاً، واستنزاف قواهم. وتارة أخرى بخلق التنظيمات الإرهابية وزرعها وتوزيعها في بلادنا، وتأمين الأموال لها والتدريب والتسليح. ثم تصنيفها وتقسيمها إلى إرهاب متطرف وإرهاب معتدل، بقصد ذرّ الرماد في العيون، وتضليل شعوب العالم بأن الإرهاب المعتدل هو معارضة وطنية تحمل السلاح بوجه حكامها الظالمين. كل هذا لتأمين الحماية السياسية لهم في المحافل الدولية. كما أنها تضع لهم شعارات براقة خادعة ماكرة يرفعونها بتقديم الدعم والعون والمساعدات لهم؛ إحقاقاً للحق، وإنصافاً للمظلومين من

وقد أعاد الأستاذ[1] حيدر نور المضيء مرشد صياغته على الشكل التالي ((الدينُ رجاءٌ بالله والوطنُ كنفٌ للجميع)) وذلك فقط لأن الدين ليس لله بل هو لنا جميعاً منجاة وحكمة ، أي أكمل الله خلقه الأول للإنسان بإنزال الدين عليه أي أسقاه الحكمة، وأمّا الوطن فهو مكانٌ يعيش به الناس تجمعهم به ترتيبات اجتماعية تنسق عملهم وتسهل حياتهم لا أكثر.

فالوطنية بحق غباء وخبث إن لم تكن في جوهر الخير والحق والحكمة،وهي شعورٌ طيب وصلاح إن كانت في هذه الدائرة وفقط.

---

(١) هو المهندس حيدر نور المضيء مرشد، أحد أحفاد سلمان.

. حاصل على شهادة بكالوريوس درجة شرف بالهندسة من جامعة ليفربول في بريطانيا.

. يدير الآن مكتباً له خاصاً بالتطوير العقاري والاستثمار والإنشاء.

توطئة للبحث:

لم يكن عام ١٩٤٦م عاماً عادياً على سوريا. بل كان استثنائياً بكل شيء، لا يشبه ما سبقه من أعوام، وهي لا تشبهه. ففي مطلعه كانت أسرة فقيرة داخل بيتها الجبلي الطيني البسيط، في إحدى قرى جبال الساحل السوري الشامخة. عبقت هذه القرية بطيب ما أبدعه أبناؤها وأبناء شقيقاتها الأخريات. إلا أنها تميزت عنهن عندما انبرت لرفع راية الجهاد الثوري الوطني، وإعلائها خفاقة في وجه الغزاة الفرنسيين، كمركزٍ جديدٍ للثورة بعد سقوط شقيقتها الجنوبية قرية (الشيخ بدر) في يد الفرنسيين، الغادرين المستعمرين خريف عام ١٩٢٠م، فتوهم المعتدون أن راية النضال هذه قد وهنت، وأن همّة الثوار وقائدهم خمدت. فمنّوا النفس باستسلامهم جميعاً وخضوعهم بلا شروط. لكن أهل قرية (الدالية) وإخوتهم الآخرين، وهمّة قائدهم الشيخ صالح العلي كان لهم رأي آخر مختلف، قلب الطاولة على رؤوس المعتدين، وجعلهم يعيدون حساباتهم مثنى وثلاث ورباع، بل ومئات. وبدؤوا يتحسسون رؤوسهم كيفما اتجهوا، وحيثما خطوا...

أعود فأقول: كانت هذه الأسرة الفقيرة تحتفل بولادة بِكْرِ أولادها، وهو أول حفيد ذَكَرٍ لرب أسرتهم الذي ارتقى شهيداً في إحدى معارك الشرف ضد الفرنسيين، بقيادة الشيخ صالح العلي قبل ربع قرن من الزمان. وهذا المولود الجديد سوف يعيد التوازن الذكوري لهذه الأسرة، فهو رجل المستقبل الواعد، الذي تعول عليه بندقية جده التي هوت عن كتفه ذات يوم مضى. وهذه قضية ذات شأن هام عند أبناء الريف عموماً، وأبناء الجبل خصوصاً. وها أنا الآن، ومنذ أكثر من عشرين عاماً، أمتشق قلمي بدلاً عن بندقية جدي، لأضعه ونفسي في خدمة وطني ومقاومته.أما البندقية فقد أوكلت أمرها لأولادي الشباب.

* * *

كما كانت فرحةً غيرَ مسبوقة تلك التي تعم البلاد من أدناها إلى أقصاها، على إيقاع الأهازيج والدبكات الشعبية، والرقصات التي كاد أن ينساها السوريون الواقعون بين سندان التخلف والجهل والفقر والتفرقة التي مزقت وحدة بلدهم ومجتمعهم بشتى أشكالها وصنوفها، ومطرقة الظلم الاجتماعي، والقهر الذي مارسه عليهم الأجنبي الطامع

بلادهم ثرواتٍ وموقعاً وأدواتِ تشغيلٍ وإنتاجٍ وعسكرةٍ لصالحه، ولمصلحته وحده فقط، على امتداد مئاتٍ من السنين خلت، إلى أن توج نضالهم الطويل، وكفاحهم المرير، بجلاء الأجنبي عن بلادهم الذي حُدّد له يوم السابع عشر من شهر نيسان تاريخاً رسمياً لهذا الإنجاز العظيم، فاعتمدوا هذا التاريخ عيداً وطنياً للبلاد. كاظمين غيظهم، ضاغطين على جراحهم العميقة النازفة، بسبب تقطيع أوصال بلادهم من قبل الأوربيين هذه المرة. فقد خسروا بموجب اتفاقية سايكس بيكو وسواها أقاليم: كيليكيا، والإسكندرونة، وديار بكر وأخواتها، ولبنان، وفلسطين، وشرقي الأردن، والموصل... وغيرها كثير. ولا يزال المصريون حتى الآن يطلقون على سيناء اسم (بَرّ الشام).

إن سوريا الكبرى، أو ما تسمى بلاد الشام، لم تعرف الوحدة السياسية لكيانها منذ سقوط الدولة الحمدانية في حلب منتصف القرن الرابع الهجري، بموت أميرها وقائدها سيف الدولة الحمداني، ومقتل ابن عمه الفارس والشاعر أبي فراس، حتى الآن: أي منذ أكثر من ألف عام. ومنذ ذلك التاريخ قسمت إلى ولايات متعددة، أو صارت بعض أجزائها كياناتٍ تابعةً لولاياتٍ أخرى. وحتى عندما وحدها الفاطميون مع مصر، ومن

بعدهم الأيوبيون وخاصة صلاح الدين، ثم المماليك، فإنها كانت تتبع جزئياً أو كلياً لمركز الدولة في مصر، إلى أن احتلها الأتراك العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول في أعقاب معركة (مرج دابق) الشهيرة عام ١٥١٦م، فأخضعوها مدة أربعة قرون ونيِّف لأغبى استعمار عرفه تاريخ البشرية. ذاك الذي قدم للإنسانية أشهر تراث عرفته حضارته، وهو (الخازوق).

* * *

وفي موقع آخر من سوريا، بل في مواقع عديدة، كانت تحاك المؤامرات، وتتراكم الافتراءات، وتكثر الأكاذيب والتحايلات، وتتلوّن الادعاءات، وتنصب الأفخاخ والشباك، وتهيأ ساحات التصادم والعراك، ضد رجلٍ جبليٍّ ثائرٍ على الفقر والجهل والإقطاع، حتى ضجت بسمعته الأصقاع، وعَبَرَ صيته البوادي والبحار وشاع، وصار له في الأساطير باع.

كان يرسم لكل منازلة خطتها المناسبة، فحيث ينفع السلم كان يسالم، وعندما يحتاج الأمر للصدام يصادم، ومتى يثمر التهديد يكتفي به ولا يقاوم.

لكن من كانوا بمواجهته لا يرحمون، وليس لهم من وازع ديني ولا رادع أخلاقي فيُردَعون، إلى أن بلغت أحقادهم عليه ذروتها، وامتطوا بالخديعة سنامها، عندما دعوا أنفسهم للغداء إلى مائدته: فنكثوا بالعهود، وحشدوا له العيون والدرك والجنود، وباغتوه وهو يحضر طعامهم بكرمه المعهود، وصدقه النابع من قلب ودود.يا لهول المفاجأة من قلة الشرف، فليس مَنْ قرأ، ومن سمع، كمن رأى وعرف.

هنا الموقف الحاسم، والقرار الحازم. هنا تُعرف بالمواقف الرجال، وليس بغوغائية القيل والقال. فقرر ألا يصافح، ولكن جاء دور الفداء يا أبا فاتح. وبلا تردد يقرر فداء أهله وعشيرته بنفسه، فيقتل امرأته أم فاتح حفاظاً على العرض والشرف، ويسلم نفسه لطالبيه المنافقين الذين لن يهنأ لهم عيش، ولا يهدأ لهم بال، حتى يروه معلقاً يتأرجح في حبل المشنقة، على بعد أيامٍ قليلةٍ من إلقاء هذا العام آخرَ أوراقِ مفكرته.

مَنْ هو سلَمان المرشد ؟

((كان مرشد (والد سلمان) . وهو من عشيرة العمامرة . (نسبة إلى جدها عمّار الذي ينتهي نسبه إلى الغساسنة)، فلاحاً بسيطاً، له حارة وبعض الأرض والماشية من المعزى (الماعز) كبقية ساكني الجبال تلك الأيام، يؤدي عنها في كل سنة نذراً كبيراً، يتوافد للنذر الناس من القرية وبعض الجوار.

وقد ولدت له زوجته (غالية) المولود الوحيد سلمان سنة ١٩٠٧م، ثم توفيت بعد ذلك بقليل، فاتخذ مرشد زوجةً جديدةً رُبِّيَ الصبيٌ عندها.

ولَمَّا فَقَدَ مرشد بصره حمد الله أنه لم يأخذه منه حتى صار بوسع سلمان القيام على شؤون البيت. وهكذا أُلقي عليه وهو صبي عبء العمل في الأرض وغيرها منذ حداثة سنه.

بدأ سلمان وهو ابن ستة عشر عاماً يتكلم بحقائق لا يعلمها على هذه الصور البديعة حتى مشايخ القوم أنفسهم. وبشّرهم بقرب قيام وعد الإله القديم عن قيام القائم الموعود. وأنّ الله سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً.

كان يُنذر الناس ليرجعوا بقلوبهم إلى الله، ويتوبوا عن الأعمال السيئة، ويسلكوا سبيل الفضيلة. وكان يخاطب كلاً بمفرده: المشايخ والوجوه والعاديين من الناس. كما كان يدعو إلى

المساواة بين المواطنين السوريين في الحقوق والواجبات بغضّ النظر عن الدين أو المذهب أو الطائفة أو الطبقة. فتزامنت صرخته هذه في عام ١٩٢٣م مع الثورات السورية الداعية إلى الاستقلال))[1].

انتشرت أخبار الصبي، وتناقلها الناس، وبدؤوا بالتوافد إليه وخاصة من ثلاث عشائر هي: العمامرة والدراوسة والمهالبة، فوحّدها في عشيرة واحدة هي الغسّانية، وكانت منتشرة في قرى كثيرة على مساحة سورية حتى الحدود مع فلسطين. ثم توافد إلى سلمان ما يقدّر عددهم بثمانين ألفاً يعلنون دخولهم في أتباعه. وقد سُمّي هذا التوافد (يوم الدخول). وأحيا سلمان مناسبة لاحتفال بني غسان باتحادهم هذا عام ١٩٢٣، وصارت مناسبة تحتفل بها العشيرة سنوياً في ١٢ تموز من كل سنة[2].

---

(١) لمحات حول المرشدية . نور المضيء مرشد . ص ٣٣ . ٣٥ .

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤.

بداية اللمعان والمعاناة:

كانت الثورات الوطنية ضد المستعمر الفرنسي في الساحل السوري ومنطقة الشمال الغربي من سوريا، وهي ثلاث، قد خَفَتَ وهجها في عام ١٩٢٣ عندما تألّق نجم سلمان في (يوم الدخول) وشاعت أخباره. فثورة الشيخ صالح العلي قد توقفت باستسلامه بتاريخ ٢/حزيران/١٩٢٢ بعد قرار الحكومة الفرنسية بالعفو عنه. وثورة عمر البيطار في منطقة الحفة كذلك. وثورة إبراهيم هنانو توقفت أيضاً بمغادرته منطقتها إلى الأردن، والقبض عليه في مدينة القدس من قبل الإنكليز وتسليمه للفرنسيين الذين نقلوه إلى حلب لمحاكمته بتهم الشغب التي لفقوها ضده، أمام محكمة شكّلوها بأنفسهم لهذه الغاية. لكن المحكمة نفسها برّأته منها جميعاً وأخلت سبيله.

كان توقّف الثورات الثلاث يعود بأسبابه الرئيسة إلى خيانة تركيا الكمالية لهذه الثورات عندما اتفقت مع فرنسا المحتلة للبلاد. فحصلت (أي تركيا) من الأراضي السورية على منطقتي كيليكيا ولواء اسكندرون، مقابل أن توقف دعمها لهذه الثورات ضد فرنسا. وبهذا تكون فرنسا قد أعطت ما لا تملك لتركيا التي لا تستحق.

ومنذ عام ١٩٢٠ قامت فرنسا بتقسيم سوريا إلى دويلات طائفية ومنها (دولة العلويين في اللاذقية) التي دعم قيامها معظم القيادات العلوية والزعامات الروحية والسياسية. وكذلك فعلت العائلات المسيحية والسنية.

في هذه الأجواء السائدة انتشرت أخبار (الصبي) سلمان (كان هذا لقبه لصغر سنه) في الآفاق. فخافت فرنسا أن تشكّل ظاهرته حالة يقتدى بها في كل المناطق السورية، فتقوم الثورات في وجهها، وتدغدغ مشاعر الشباب شعارات حركته المطالبة بالعدالة والمساواة بين المواطنين جميعاً، ورفع الظلم عنهم، فقرّرت أن تُنزِل به العقوبات، وتضغط عليه، لينفر الناس منه ويتخلّوا عنه. فاعتقلته مع جميع وجهاء عشيرته الغسّانية وأوقفتهم في (بابَنّا) مركز القضاء قبل أن ينتقل إلى الحفة، وحقّقت معهم مدة ثلاثة أشهر، ثم أخلت سبيلهم جميعاً. وفرضت على سلمان إثبات وجوده في بابَنّا مرة واحدة كل خمسة عشر يوماً. وكان يصلها في كل مرة ماشياً على قدميه من قريته جوبة برغال إلى بابَنّا.

وكانت هذه أول عقوبة مباشرة له من المستعمر الفرنسي، ولم يتجاوز عمره السادسة عشرة. غير أن النتائج جاءت بعكس

المرجو منها، فجماعته ازدادوا تعلقاً به، وتمسكاً بزعامته، وحرصاً على أفكاره. تنامت في نفوس أبناء العشيرة الغسّانية الكراهية للفرنسيين، حتى أن سكان قرية العاليَّات قرب حمص أعلنوا التمرد، فهاجمتهم القوات الفرنسية بالمدرعات وقتلت منهم نحو (١٠٠) مائة مواطن واعتقلت (١٠٠) مائة آخرين من الرجال قضوا في سجونها أكثر من سنتين مع التعذيب والإهانة[١].

حَمَّلت فرنسا سلمان مسؤولية ثورة العاليَّات فقررت معاقبته بنفيه إلى مدينة الرّقة البعيدة آنذاك.

---

(١) لمَحَات حول المرشدية، ص ٣٧.

نفي سلمان إلى الرقّة:

بتاريخ ١٤/أيار/١٩٢٥ قامت فرنسا بنقل سلمان بحراً من اللاذقية إلى اسكندرون، ثم توجهوا به نحو حلب ماشياً على قدميه، تحرسه خيّالة الدرك. وبعد تجاوزهم مدينة حلب لاقاهم بعض رؤساء العشائر ومنهم رئيس عشيرة (الوِلْدَة) الذي أهدى سلمان مهرته ليركبها. ولم يستطع الدرك منعه من ركوبها خشية إثارة عشيرة (الوِلْدَة) ذات البأس الشديد والنخوة.

وفي الرقة أنزله آل العجيلي ضيفاً عزيزاً مكرّماً عندهم، ثم رتّبوا له ضيافة محترمة عند أقربائهم من آل الشوّاخ الحبيب حيث تزوج من فتاة منهم اسمها جميلة بنت موظف البلدية محمد نظيف حيث ولدت له ابنة أسماها فتحيّة على اسم أخيها غير الشقيق فاتح الذي ولدته زوجة سلمان الأولى هلالة بنت الشيخ محمود داؤود حسن من قرية دير ماما، وكانت حبلى به أثناء النفي فلم تتمكن من مرافقة زوجها إلى منفاه[1]. استمرت فترة النفي سنتين كاملتين ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧،

---

(١) لمحات، ص ٤٣

وهي نفس فترة قيام الثورة السورية الكبرى ضد فرنسا بقيادة سلطان باشا الأطرش، فهل من علاقة بين الحَدَثَيْن ؟!

ما هي المرشدية؟

المرشدية: دعوةٌ تعليميةٌ، وثقافةٌ روحيّة[1].

تعريف المرشدية، كما أورده نور المضيء سلمان المرشد[2].

وهو يذكر أنه اختار هذا التعريف من تعليمات ورسائل المعلم ساجي المرشد لأتباعه ومريديه بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٩ حيث كان ملازماً له. وقد أخذها منه مباشرة. يقول: ((قطعاً لكل تلبُّكٍ بالأذهان، ولكل مقولة مخطئة، نضع هذا التعريف: المرشديةُ دين[3]، وليست حزباً سياسياً. هي منهجٌ أخلاقيٌّ طاهرٌ بقصد اكتساب رحمة الله ومواصلة عزّته، وليست نظاماً اجتماعياً معيناً، ولا برنامجاً اقتصادياً. هذا المنهج الأخلاقي، والمسلك النفساني، والمنطق العقلي، متأتٍّ عن وجدانيةٍ مقتبسةٍ من منجاة الله. فالمرشدية فعلُ منجاةٍ وتعظيم للارتفاع إلى الحياة، وليست سوى ذلك. فهي تُعْنَى أي تعتني بطهارةِ السريرةِ لا بقوانين الإدارة. وهي تبارك كل ما من شأنه تهيئة إكمال الفرد، وإبراز جمال المجموع وترفض كل ما من شأنه

---

(١) لمَحَات حول المرشدية. نور المضيء مرشد. ص٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٤٩٥.

(٣) كل ما بها يتحدث عن الدين فقط. (وهذا الهامش لصاحب التعريف). المؤلِّف.

إعاقة كمال الفرد وتشويه جمال المجموع. يهمُّها أن يكون الفرد إنساناً عزيزاً، يتمتّع باستضاءة فكرية، وطهارة قلبية. أن يصل ويكمل الفرد بالأصالة الإنسانية الفاضلة. ومن هذه الأصالة أن ينطلق إلى الأصالات العليا...

والأصالة تتمثل في خمسة أشياء:

١- ضميرٌ طاهرٌ مُستجلى من الإيمان بالله، والانسجام مع صفاته القدسية.

٢- فكرٌ وامضٌ من التماسِّ مع الحقيقة.

٣- قلبٌ نابضٌ بالطموح إلى الكمال الروحي، وإرادة الحياة.

٤- قدمٌ ثابتُ الصفِّ مع قضايا الحق.

٥- ويَدٌ ممدودةٌ بالخير للناسِ أجمعين.

هل كان سلمان ثائراً ؟!

كثيراً ما أثار هذا الموضوع جدلاً بين الناس عندما انقسموا حوله إلى فريقين اثنين: فريق يرى فيه ثائراً وطنياً حقيقياً، يسعى لإنصاف الفلاحين الفقراء والأخذ بيدهم، عارضاً حججه وشواهده المدلّلة على صحّة رأيه. وفريق آخر يتّهمه بالشغب وإثارة الفوضى وزعزعة الأمن والاستقرار في منطقته، ويسوق براهينه وذرائعه المعتمدة في غالبيتها على الروايات الرسمية للسلطة الحاكمة ومن يسير في مسارها.

ولكن، كي نجيب عن هذا السؤال بدقة وموضوعية، علينا فهم معنى الثورة ...

يذكر القاموس المنجد في الصفحة ٧٥ ما يلي:

ثار: ثَوْراً وثَوَرَاناً: هَاجَ

ثَوَّرَه وأثارَهُ واستثارَهُ: صَيَّرهُ يثور.

الثورة: الهَيَجان. (انتهى شرح القاموس).

كان هذا في المفهوم اللغوي للكلمة.

أمّا في المساوقة الاصطلاحية بين الشعوب، فالثورة هي العمل لتحقيق الانقلاب على الواقع الفاسد لتغييره واستبداله بوضع

أفضل لمصلحة جماهير الشعب. استناداً لما تقدم، وبالتحليل والتفسير أقول:

إن الثورة إمّا أن تكون نفسية أو جسدية، وفي الحالتين تبدأ بالهيجان النفسي المتمرد على الظلم، والرافض له. ويترجَم إمَّا باللسان أو بالقلم. فباللسان: يكون عبر شرح المواقف مشافهة، بالأحاديث أو الخطابات أو المحاضرات أو المناقشات والحوارات، وما شابه ذلك.

أمّا بالقلم: فيكون عبر منشورات أو بيانات مكتوبة، أو كتب تحتوي نظريات ووجهات نظر كاتبها، مع ذكر أساليب المعالجة وأدواتها ووسائلها. وفي الحالتين (اللسان والقلم) يكون الهدف إثارة المشاعر، واستنهاض الهمم، واستحضار أدوات التغيير ووسائله.

لكن الثورة الجسدية تأتي تتويجاً للثورة النفسية، ونتيجة طبيعية لها. وتُترجَم على شكل حراك جماهيري هائج، قد تتجاوز فيه الجماهير الثائرة حدود المرسوم لحراكها عندما تتفلّت من قيود الانضباط والتنظيم، فتجنح إلى الفوضى والتخريب، وهنا تخرج عن قيم الثورة الحقيقية التي تبغي الانقلاب على الواقع الفاسد واستبداله بالأفضل الذي يخدم مصالح الجماهير،عندئذ تتحول

إلى الثورة المضادة من حيث تدري أو لا تدري. وهذا (الجنوح الفوضوي) له أسباب كثيرة لا أميل إلى تفصيلها في هذا المقام تجنباً للإطالة.

في الحالة التي نحن بصددها الآن، فإن سلمان المرشد كان ثائراً حقيقياً، ولثورته أهدافها، ويعرف ما يريد. لكنّه في الأداء لم يتجاوز حدود الثورة النفسية في شقها الأول (اللسان). ولو أراد غير ذلك لأمكنه فعله، إنه وإن لم يكن قادراً على الكتابة (لأنه أمي) فقد كان بين يديه من يقدر على ذلك لو طلب منه.كما أنه لم يطلب من جماهيره ومريديه التحرك العنفي في وجه السلطة الحاكمة القائمة والصدام معها، ولو طلب منهم ذلك لفعلوا أيضاً. وحتى العصيان لم يلجأ إليه، واكتفى بالأساليب السلمية فحسب إلّا في حالات قليلة اضطرارية، ولو أنه فعل غير ما فعل لكان هناك كلام آخر مختلف.

ربّما لأنه كان معجباً بأسلوب الزعيم الهندي الثائر المهاتما غاندي في مقاومته الاستعمار البريطاني لبلاده باتّباعه مبدأ (اللاعنف). حتى أنه كان يلجأ إلى القضاء القائم يومئذ كما في قضية أراضي قرية سطامو وغيرها. ذلك القضاء الذي كان يديره خصومه ويوجهونه كما يشاؤون حتى أنه هو نفسه راح ضحية فساد هذا القضاء وتسييسه.

كان سلمان المرشد يخوض صراعاً طبقياً حقيقياً غير متكافئ القوى . وهذه طبيعة الأشياء في حالة الثورات .، استخدم أعداؤه ضده جميع أسلحة الطائفية والمذهبية والعشائرية والمناطقية، وكانت شديدة الفعالية والتأثير آنذاك. إضافة إلى الكذب والتدليس، وقلة الشرف، ونقض العهود والمواثيق، وتوظيف أجهزة سلطة الدولة ومؤسساتها... وغير ذلك. ما أدى لانتصار (عنفهم) على (لا عنفه)، حتى أنهوه مُعَلّقاً متأرجحاً في حبل المشنقه.

هل كان سلمان وطنياً ؟

بداية، دعني أوضح معنى الوطنية.

يقول القاموس المنجد في اللغة والأعلام[1] ما يلي:

وطن: وَطَنَ يَطِنُ وَطْناً بالمكان: أقامَ بـه. وَطَنَ البَلَدَ: اتَّخذه وَطَناً.

الوطن: جمعه أوطان: منزل إقامة الإنسان وُلِدَ فيه أم لم يولد. (انتهى).

وبإضافة ياء النسبة إلى الوطن يصبح الوطنيّ وفي المساوقة الاصطلاحية بين البشر، فالوطنية هي حب الوطن، والإخلاص له ولاءً وانتماء. وأكثر ما يظهر هذا في سلوك الفرد وعمله عندما يتعرض الوطن للمحن والأزمات. فالمواطن الذي يعمل على خدمة وطنه وحمايته والدفاع عنه والإعلاء من شأنه، ويرى أن مصلحته الشخصية تتحقق بتحقيق المصالح الوطنية الجمعية لأنه جزء منها، يكون وطنياً.

أما المواطن الذي يفضّل مصلحته الشخصية الفردية على المصلحة الوطنية الجمعية، يكون غير وطني وإذا ما تمادى

---

(1) المنجد، الطبعة ٣٦ / دار المشرق . بيروت ١٩٩٧ ص ٩٠٦

أكثر ووصل إلى حد التعامل مع أعداء وطنه ضد وطنه ومصالحه، يصبح عندئذ متآمراً عليه وخائناً له، وليس غير وطنيّ فحسب. بعد هذا التوضيح الذي رأيت أنه لابد منه خدمة للبحث، أعود إلى الإجابة عن السؤال فأقول:

كثيرة جداً، بل تكاد لا تحصى الأقوال التي نقلت عن سلمان، والأفعال التي نسبت إليه، والتي تؤكد جميعها أنه كان صناعة استعمارية فرنسية، وأنه منتج غربي بامتياز.

أوجدوه وعظّموه خدمة لمصالحهم في سوريا والمنطقة، ليضربوا به القوى الوطنية السورية الثائرة في وجههم. ردَّدوا هذه الأقوال كثيراً وكرّروها حتى ترسّخت في أذهان الناس وصارت من المسلّمات والبديهيات.

ولأنني أجهد نفسي بحثاً عن الحقيقة والإنصاف، فلابُدّ من ذكر بعض المواقف والأفعال التي قام بها سلمان ووصلت إلينا، كي يستقيم ميزاننا حول الرجل، فلا تكون . مسبقاً . إحدى كفّتيه مليئة ثقيلة وازنة (طابشة) ضد الرجل، في حين تكون الكفة الأخرى فارغة خفيفة (فايشة) لمصلحته:

١-قام سلمان بزيارة مدير الريجي الجديد باللاذقية أحمد السيّاف في مكتبه . على غير المعتاد . لأن السيَّاف كان من رفاق الثائر الوطني إبراهيم هنانو[١].

٢-أقدم سلمان على صفع مختار قرية (عين جندل) لأنه عارض تنفيذ أعمال مدير الريجي أحمد السيِّاف، وأمره بضرورة تنفيذ أوامره وتعليماته فور صدورها، لأنه كان من رفاق هنانو[٢].

٣- قام سلمان بتوحيد ثلاث عشائر هي: العمامرة والدراوسة والمهالبة بعشيرة واحدة هي الغسّانية. وأي عمل توحيدي لأية جماعة بشرية هو خطوة على طريق الوحدة الوطنية[٣].

٤- ثار سلمان ضد طغيان وظلم أغنياء المدينة لأهل الجبل، وحرّر قرية سطامو من آل شريتح الذين

(١) شعاع قبل الفجر . محمد جمال باروت . ص ١٢٨

(٢) المصدر السابق. ص ١٣٠

(٣) المصدر السابق. ص ٧٤

اغتصبوها من أصحابها الفلاحين الفقراء في عهد الاستعمار العثماني[1].

٥-مَنَعَ سلمان عائلات الجبل من إرسال بناتها للخدمة في بيوت الأغنياء بمدينة اللاذقية، حيث كانوا يستخدمونهن للخدمة وللجنس، وأعاد كثيراً منهن إلى بيوتهن[2].

٦-بعد توقيع معاهدة عام ١٩٣٦ بين الحكومة السورية والحكومة الفرنسية التي تقضي بجلاء القوات الفرنسية عن سوريا، جرت الانتخابات النيابية في سوريا عام ١٩٣٧ باستثناء محافظة اللاذقية (الساحل السوري بأكمله) التي كانت فرنسا تتعاطى معها كدولة مستقلّة. ثم قرّرت الحكومة إجراء الانتخابات فيها يومي ٢ و ١١ تشرين الأول ١٩٣٧. فتشكّلت قائمتان تتنافسان في الانتخابات، الأولى سُمّيت القائمة الوطنية أو (الوحدوية)، (وهي تدعو إلى وحدة الساحل مع سوريا)، وكان على رأسها سلمان المرشد. والقائمة (الانفصالية) التي شكّلتها فرنسا من أعوانها، وهي تدعو إلى انفصال الساحل عن

(١) على محك الفكر . عبد الكريم إبراهيم قميرة . ص٢٥

(٢) لمحات حول المرشدية . ص٦٦

سوريا. وبتاريخ ٢٦ تشرين الأول ١٩٣٧ أعلنت النتائج بفوز القائمة (الوحدوية) بكامل أعضائها، وسقوط القائمة (الانفصالية) بكامل أعضائها[1].

٧-لتأكيد النصر بانتخابات عام ١٩٣٧ اجتمع سلمان مع معظم نوّاب محافظة اللاذقية ووقّعوا ((وثيقة تضامن وإعلان انضمام الساحل))، (أي إلى سوريا)، وهم من مختلف الطوائف في المنطقة. وتتألّف الوثيقة من سبعة بنود، سوف أذكر البندين الخامس والسادس حرفياً:

((خامساً: نحن متضامنون على تأييد الوحدة السورية اللامركزية والمعاهدة والاستقلال التام الناجز للبلاد السورية دون أية سيطرة أجنبية على الإطلاق.

سادساً: نحن متضامنون مع كل حكومة سورية تحترمنا وتحترم حقوقنا الإقليمية وتقاليدنا العشائرية، وتحترم الوحدة والمعاهدة والاستقلال الناجز .

٢٩ /آذار/ ١٩٣٨

(١) لمحات حول المرشدية . ص٦٧

حقل التواقيع:

١ . سلمان المرشد ٢ . شوكت العباس ٣ . جبره الحلو

٤ . عمر البيطار ٥ . الياس الجرجس ٦ . محمد جنيد

٧ . أمين رسلان ٨ . يوسف الحامد ٩ . علي ناصر

شهاب ١٠ . جانم خضور ١١... لم نستطع قراءة اسمه)).

٨-خرقاً لمعاهدة عام ١٩٣٦ من قبل الحكومة الفرنسية المعقودة بينها وبين حكومتي سوريا ولبنان والموقّعة بتاريخ ٩ أيلول ١٩٣٦، ونقضاً منها لمعاهدتي الاستقلال معهما المعقودتين عام ١٩٤٣، فقد أنزلت فرنسا قوات عسكرية على أراضي سوريا ولبنان دون موافقة حكومتيهما، فانطلقت المسيرات الشعبية في مختلف المدن السورية مطالبة بجلاء الفرنسيين عن سوريا. وعقد البرلمان السوري جلسة بتاريخ ٢١ أيار ١٩٤٥ حول هذا الموضوع. وقد افتتحت كلمات النواب بكلمة النائب سلمان المرشد. ولأنه كان أمياً فقد كلّف زميله النائب فخري البارودي بإلقائها، وهي: ((إني أضع نفسي وعشائري وأموالي تحت تصرف الأمة

والحكومة.وإذا كان هناك خلاف بيني وبين الحكومة فأنا وطني قبل كل شيء، وعلى استعداد تام للقيام بكل ما يتطلبه الوطن، وبكل ما توجبه سيادة البلاد واستقلالها))[1].

وقد جرى تصفيق حار. وبعد ثمانية أيام قامت القوات الفرنسية بعدوانها الشهير على البرلمان السوري عندما قصفت مبناه بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٥ وقتلت حاميته.

٩-برقية سلمان إلى الرئيس شكري القوتلي ابتهاجاً بالجلاء[2]:

نَصُّ البرقية:

((جوية برغال ١٩٤٦/٥/٦

صاحب الفخامة شكري بك القوتلي رئيس الجمهورية المعظّم:

ظروف قاهرة حالت دون مثولي بين يديكم لأشارككم الاغتباط بما نالت البلاد بفضل نضالها الدامي الجبار تحت قيادتكم من استقلال كان وسيبقى دائماً الهدف الأسمى الذي نبتغيه في الحياة. إن الأجيال القادمة تتطلب منا عملاً متواصلاً وتضحيات مستمرة، أراها تدعوني لأجدد لفخامتكم عهدي

---

(١) الجريدة الرسمية العدد ٣٨ تاريخ ٢٣/آب/١٩٤٥ . وشعاع قبل الفجر ٢٣١

(٢) شعاع قبل الفجر . ص١٥٤

السابق من أنني وأبنائي والشعب العلوي كلنا جنود نستميت في الدفاع عن وطننا العربي المقدّس تحت زعامتكم. وقد أوفدتُ ولدي لينوب عني بالتعبير بما يعجز القلم عن تصويره من ارتباطنا الوثيق بالمثل العليا التي تدينون بها وكرستم حياتكم في سبيل تحقيقها.

وفقنا الله لما فيه خير البلاد

((سلمان المرشد))

١٠- احتلال جوية برغال:

في مطلع عام ١٩٤٥ كان سلمان رهن الإقامة الجبريةفي دمشق. فقامت قوة فرنسية بالتعاون مع ضباط إنكليز، وبمساندة قوات سورية باحتلال قرية جوية برغال بعد احتلال المرتفعات المحيطة بها حتى جبال الشعرة.

وعندما سمع سلمان الخبر توجه إلى رئيس الجمهورية وطالبه بسحب هذه القوات وإنزالها من الجبال. وكاد البرد الشديد في شهر شباط أن يفتك بالقوات المتواجدة في جبال الشعرة العالية. وبعد إقامتها عدّة أشهر تمَّ سحب القوة من قرية جوية برغال[1].

---

(١) لمحات حول المرشدية ص١٠٠ وما قبلها

١١- قاد الفلاحين الجبليين من منتجي التبغ والتنباك في تمرُّد سلمي بالمكان، فحرّضهم على عدم تسليم إنتاجهم إلى شركة (الريجي) الفرنسية التي كانت تشكّل دولة داخل الدولة، وتأخذ (تشتري) منهم إنتاجهم بالأسعار الزهيدة التي تفرضها. (ويا وَيْلُو وسَوَاد لَيْلُو) الذي كان يتجرّأ عليها ولا يسلّمها كامل إنتاجه. فأمَّن سلمان لهم الحماية حتى خضعت (الريجي)، وابتاعت منهم إنتاجهم بالسعر الذي حدّدوه[1].

١٢. قضية تحويل الجيش[2]:

أرادت الحكومة السورية أن تؤسّس الجيش الوطني للبلاد، وكان العلويون يشكلون نسبةً كبيرةً من تعداد العناصر السوريين الموجودين في ما كان يُسمّى (جيش الشرق) الفرنسي. فطلبت الحكومة من العسكريين السوريين ترك الجيش الفرنسي والالتحاق بالجيش الوطني، لكن هؤلاء لم يستجيبوا لطلبها. فأرسلت لهم زعماء عشائر العلويين ووجهاءها إلى ثكناتهم لإقناعهم بالالتحاق بالجيش الوطني.

---

(١) رسالة العلم والعلماء. محمد حسن هلال. ص١١٢

(٢) لمحات حول المرشدية ص١٠٦ وما قبلها

فقـال لهـم الجنـود: أنـتم لا تمونـون علـى بيـوتكم، فكيـف تطلبـون منّـا هـذا؟ ومـا هـي الضـمانات التـي تسـتطيعون تقديمها لنا لحمايتنا ؟! وردُّوهم خائبين.

لـم يبـق أمـام الحكومـة إلا سـلمان تلجـأ إليـه لإنقاذهـا مـن ورطتها التـي تتخبط بهـا. ففـي ربيـع عـام ١٩٤٥ جـاء وزيـر الداخلية صبري العسلي ومعه بعض الوزراء إلى سلمان في مكـان إقامتـه بدمشـق يرجونـه تلبيـة هـذه المهمـة الوطنيـة، ويطلبـون منـه الاجتمـاع سـوية مـع رئـيس الجمهوريـة. فـتمّ الاجتمـاع، وطلبـوا مـن سـلمان بإلحـاح ورجـاء الـذهاب إلـى السـاحل لإقنـاع الضـباط والجنـود المتطـوعين فـي الجـيش الفرنسـي تركـه والالتحـاق بـالجيش العربـي السـوري الـوطني. فوعدهم سلمان بإرجاع الجيش إلى أحضان البلاد.

تمت ترتيبات نزول سلمان إلى الثكنة بين الحكومة السورية والإنكليز والفرنسيين، فقابل وفودهم، وكان يرافقه العقيد محمد علي عزمت قائد الدرك بالمحافظة ((الذي اعترف بقيام سلمان بهذا العمل الوطني ضمن شهادته بمحاكمة سلمان في المجلس العدلي لاحقاً)). فقال سلمان لممثلي الضباط والجنود الذين التقاهم: ((مْبَلي وَبَيّي بْتِطلْعوا بتلتحقوا بجيش

البلاد وما بيصير عليكم شي)).أي (تخرجون يا أولادي من الجيش الفرنسي وتلتحقون بالجيش الوطني. متعهّداً لهم أنه لن يجري عليهم أي اعتداء). فأجابه الجنود: ((أنت كلامك على راسنا)).

وغادروا ثكناتهم بالسيارات الشاحنة إلى قراهم، ولم يلتحقوا بمراكز التطويع.

ثم بدؤوا يتوافدون إليه في قريته جوبة برغال يطلبون منه تشكيل جيش منهم بقيادته شخصياً. لكنه رفض طلباتهم المتكررة الملحاحة هذه، قائلاً لهم: ((أنتم جيش الوطن كل الوطن)).

١٣ . أكذوبة حدوث ثورة وعصيان[١]:

يقول الرئيس (الرئيس رتبة عسكرية تعني رتبة الرائد الآن) محمد معروف رئيس المخابرات باللاذقية: ((إن المقدم أديب الشيشكلي استدعاه إلى مكتبه في اللاذقية وأخبره أن أوامر القيادة تأمرهم بالتحرك فوراً والتمركز بقلعة المهالبة، لأن سلمان المرشد يحضّر لثورة وتمرد، فاستغربتُ الأمر، وكذلك

---

(١) أيام عشتها . محمد معروف ط١ . ٢٠٠٣ ص ٦١ . ٦٥

الشيشكلي، لأن المرشد كان قبل ثلاثة أسابيع (أي في الأسبوع الأخير من شهر آب) مشاركاً في العرض الذي أقامته القوات المتمركزة باللاذقية، إلى جانب زعماء ووجهاء المنطقة احتفالاً بالجلاء.

وبعد تمركزنا استأذنت المقدم أديب الشيشكلي لاستطلاع الأمر بنفسي، فأخذت مصفحتين وتقدمت بهما إلى مدخل القرية (جوبة برغال) فلم أشاهد ما يدل على عصيان، ولم أسمع صوت إطلاق نار. وسألت فقيل لي إن سلمان المرشد قد دعا المحافظ وبعض القيادات إلى طعام الغداء هذا اليوم الجمعة بقصد غدرهم والإيقاع بهم!! ومن بينهم قائد الدرك وأعوانه.

عدتُ وأخبرت أديب الشيشكلي بما رأيت وسمعت وقدّرت. ولو أن المرشد أراد المقاومة فإن الجيش لن يستطيع الانتصار عليه قبل ثلاثة أشهر على الأقل بسبب وعورة الطبيعة، وولاء رجاله له. زارنا الزعيم عبدالله عطفه قائد الجيش، في قلعة الفاخورة وتفقّد الجنود، وطلب من المقدم أديب الشيشكلي الانتقال والتمركز في جوبة برغال على أن يكون قائداً عاماً لجميع القوى الموجودة من جيش ودرك وخيّالة. وعُيّنتُ معاوناً

الشيشكلي ورئيساً للمخابرات. وقبل وصولنا القرية كان سلمان قد وصل اللاذقية مخفوراً))[1].

هذا ما أردتُ التذكير به، ولو أنني أقدِّرُ أن غيره أكثر بكثير.

فإذا كان من قام بهذه الأعمال وأمثالها ليس وطنياً، فمن هو الوطنيّ ؟!

والآن صرتُ أتفهّم موقفك يا أبا فاتح في نهايةَ المحاكمة أمام المجلس العدلي، والنطق بالحكم، عندما شكرتَ المحكمة لأنها برأتك من تهمة الخيانة العظمى، بالرغم من حكمها عليك بالإعدام، ورفضك طلب الاستعطاف. وكذلك أتفهّم معنى قولك، بعدما استمعت لقرار الحكم: (إذا كنتُ أنا أستحقّ الإعدام، فمَن لا يستحقّه ؟!).

كما أنني أتفهّم معنى طلبك أن يُلَفَّ جسدك بعلم الوطن الغالي بعد الإعدام.

(١) لمحات حول المرشدية ص١١٨

من هم أعداء سلمان المرشد؟

ناصبت الزعيم الجبلي سلمان المرشد العداءَ قوى تعجز الجبال الرّواسي عن مواجهتها والانتصار عليها. فواجهها وانتصر. انتصر عليها لأن نهجه باقٍ، وفكره مستمر. وهل يموت الثائر بموت جسده ؟ فهل مات فكر السيد المسيح (ع) بقتل جسده على خشبة صليبه ؟! وهل مات نهج الإمام الحسين (ع) بقتله وحزّ رأسه ؟! وهل مات الفكر العروبي بتسميم الرئيس جمال عبد الناصر وموته ؟! وهل مات فكر المقاومة في سوريا والمنطقة بموت القائد المقاوم حافظ الأسد، أم نراه يزداد توهُّجاً وتسعيراً ؟! أمّا أعداء المرشد، بحسب ما أرى، بعد اطلاعي عبر قراءاتي المتواضعة فهم:

١ ـ دهاقنة الشعوبيين والموالي، المتكتّلين تحت اسم (الكتلة الوطنية)، وهي بالحقيقة غير وطنية. وقد استخدموا لها هذا الاسم للتضليل. وهم بمعظمهم ليسوا من أصول سورية، حتى ولا عربية، بل أكثرهم من أصول تركية. أمسكوا بتلابيب السلطة الحاكمة في سوريا. فمنهم رؤساء الجمهورية، والوزراء ورؤساؤهم، والمحافظون، وقادة جهاز الدرك، (مؤسسة الجيش الوطني لم تكن قد أحدثت بعد).والممسكون

بالمفاصل الهامة للسلطة...الخ وهم بكلّيّتهم خريجو مدرسة الانتداب الفرنسي. وكثير منهم بدأ خدماته عند العثمانيين.

٢ـ رموز الإقطاع في سوريا الذين يشكّلون أساس النظام السياسي، فيقهرون الفلاحين الفقراء، وهم غالبية الشعب السوري، وخاصة في المحافظات التي قاد فيها المرشد الفلاحين وحرّروا بالقوة بعض القرى منهم مثل: سطامو بمحافظة اللاذقية، وفاحل بمنطقة تلكلخ، والعاليّات بمحافظة حمص، والخندق في منطقة الغاب بمحافظة حماه. وخاصة بعدما انتشرت عدوى ثورة الفلاحين هذه فوصلت إلى السويداء والجزيرة ودير الزور... وغيرها.

٣ . نقل سلمان الزعامة بمحافظة اللاذقية، لأوّل مرّة في التاريخ، من المدينة إلى الجبل، فجُنَّ جنون زعماء المدينة، وهم القوة السياسية يومئذ.

٤. حارب الاحتكار، فتألّبت عليه قوى المحتكرين.

٥ . حُسّاده من زعماء العشائر العلوية الذين خلخلت زعامته أركان عروش زعامتهم.

٦. المتمشيخون الجهلاء الذين يُثرون على حساب الفقراء باسم (الزكاة) في الدين، لمّا كشف عوراتهم وجهلهم عندما أجرى

امتحاناتٍ دينيةً وفحوصاً لأمثالهم في عشيرته (الغسّانية) فسقط معظمهم، فخافوا من انتقال عدوى الامتحانات إليهم في عشائرهم، فتُقطعُ أرزاقهم، وينتهي نفوذهم.

٧. وسائل الإعلام المتاحة يومذاك، وهي الصحف والمجلات.

٨ . جميع المؤسسات الحكومية، وكل ما له علاقة رسمية بالدولة.

٩. السماسرة من تجار الدخان (التبغ) ومَن على شاكلتهم.

١٠-(المُفَسْفِسون)، الفاسدون، المفسدون، الذين ينقلون الأخبار الكاذبة، أو المُلفّقة، بقصد تسعير نار الفتنة، مقابل أجور مادية، وأحياناً يكتفون بالأجور المعنوية، أي (الرضى عنهم) من مُشغِّليهم.

١١. العاملون بلا كلل لفصل محافظة اللاذقية عن الدولة السورية الأم.

١٢. الجهل، الذي كان متمثلاً بالصراعات العائلية والعشائرية والمذهبية والطائفية، بين الأهل من أبناء الشعب الواحد.

١٣-والتخلف، المتمثل بتجهيل الشعب لتبقى الأمة متخلفة ضعيفة، تتقاذفها أهواء الطامعين بها. فعمل على شق الطرق، وفتح بعض المدارس على نفقته، معتمداً على

عضلات أتباعه ومناصريه. وعمل على مَدِّ جسور التواصل الاجتماعي والسياسي بين أبناء العشائر والمذاهب والشرائع، لتعميق اللحمة الوطنية السورية. وزواجه بامرأة سنية من مدينة الرقة كان ضمن إطار هذه الثقافة التي أراد تعميمها في المجتمع السوري، فحجَّم كل زعماء البلاد وقياداتها، وكشف تقصيرهم، وضيق أفقهم.

١٤-المُضلَّلون من الفلاحين الفقراء المظلومين، من مختلف العشائر والطوائف، ومنهم مَن هم من أقاربه، كان يجب أن يكونوا . منطقياً . في صفه، حيث مصلحتهم.

إن جميع من ذكرناهم آنفاً كانوا يعملون، بشكل مباشر أو غير مباشر، برعاية وتوجيه وتخطيط، وتحت مظلة القوى المستعمِرة للبلاد (سوريا) من الفرنسيين والإنكليز. وبما يخدم مصالحهم فقط، وهم يهيّئون المسرح لزرع (خنجر إسرائيل) في قلب الأمتين العربية والإسلامية.

كلُّ هؤلاء كانوا أعداءك يا أبا فاتح، إنهم الشرّ بجميع أشكاله وألوانه.

إن مَن يُلقي نظرة مُتفحّصة على كتلة أعداء المرشد، الضخمة جداً بكميتها ونوعيتها، يستنتج أن شاباً جبلياً

فقيراً، ليس سليل زعامة، ولا غنى، ولا إقطاع، ولا مجد، ولا يتمتع بتمايز تعليمي، فهو ليس من حملة الشهادات العالية، وليس من خريجي الجامعات المرموقة. ولم يسافر خارج بلده ليكتسب معارف، ويطّلع على تجارب قادة الشعوب في العالم، وخاصة الحركات الثورية التحررية، لا شك أنه متميز بالفطرة، لأنه لم يحصل على شيء من مقوّمات التمايز اكتساباً، في سنه المبكر، وبيئته الجبلية المتخلفة الفقيرة.

ثم لو لم يكن متفوقاً نوعياً على أقرانه، بل وعلى جميع بني زمانه، لما احتاج أمره لتجييش كل هذه القوى ضده. لقد تعوّد الناس، وخاصة الأغنياء منهم، عبر العصور، النظر لكل فقير نظرة دونية بشكل عام، فهو ضعيف، وغير مُؤثّر، ولا يُعوّل عليه، ولا يُحسَب له أي حساب.

لكن تجارب الشعوب أثبتت أيضاً أن جميع الثورات الشعبية، والحركات التحررية العالمية، التي شهدها تاريخ البشرية، وهدفت لتحقيق العيش الكريم لشعوبها، كان الفقراءُ وقُودَها وأدواتِها وقادتَها، لأن لدى الفقراء الاستعداد الدائمَ للتضحية والبذل والفداء.

ومحمد رسول الله (ص) الذي كان جُلُّ أصحابه من الفقراء، عندما نظّمهم، وزرع في نفوسهم مبادئ الحق والعدالة، وعقيدة الإخلاص. وعندما ساروا على هذا النهج (مخلصين)، صاروا قادة العالم وقدوةَ البشر. وأنا أظن، بل أعتقد جازماً، أنه لو قُدِّرَ لهذا الرجل (القائد) سلمان المرشد أن يعيش ولو عشرين سنة أخرى، لكان هناك كلام آخر، وخريطة مغايرة.

صدى حركة سلمان في الإعلام:

كان إعلام ذلك الزمان مقتصراً على الجرائد والمجلات تقريباً. وهي إمّا أن تكون مملوكة من حكومات الدول، أو من السائرين في ركاب رجالاتها وحكامها، وفي الحالتين كانت ناطقة باسم السلطة بغالبيتها، وخاصة في وطننا العربي (وعلى الأخص في سوريا) الذي كان قد انتقل حديثاً من تحت (شلاّل) الاستعمار العثماني إلى تحت (مزراب) الاستعمار الأوروبي، وكلاهما كاذب ومنافق ومخادع وظالم.

(من خلال مطالعاتي ومعلوماتي المتواضعة، لم أقرأ عن استعمار في التاريخ أكثر غباء، وأشدّ ظلماً واضطهاداً للشعوب التي استعمرها، من الاستعمار العثماني. ولذلك قلت: (من تحت الشلال، إلى تحت المزراب)، أي من تحت الأكثر إلى تحت الأقل. أي أنني قلبت المثل القائل: (من تحت الدّلفة إلى تحت المزراب)، أي من تحت الأقل إلى تحت الأكثر، كي لا أخفي (فضل!!) العثمانيين علينا). وكانت حركة سلمان في بدايتها قد تركت صدى، بل أصداء متفاوتة الشِّدّة في داخل البلاد وخارجها. وجاء التفاوت في الأصداء انعكاساً لنوعية وحالة المواقع التي ارتدّت عنها أصوات هذه الحركة، ففي

أمّا في الخارج، فقد أشار إلى سلمان المؤرخ الروسي الشهير فلاديمير لوتسكي في كتابه (الحرب الوطنية في سوريا ١٩٢٥ ــ ١٩٢٧ صفحة مشرقة من النضال العربي ضد الإمبريالية الفرنسية) في الصفحة ١٤٧ منه: (وأخيراً اندلعت في كانون الأول ١٩٢٣ الاضطرابات مجدداً في منطقة اللاذقية، حيث ظهر في قرية جوبة برغال الفقيرة (نبي) من الفلاحين هو سلمان المرشد. دعا هذا الراعي، ابن السادسة عشرة، الفلاحين إلى حمل السلاح من أجل طرد الأجانب من سوريا. وخلال الإعداد للانتفاضة أقام الصّلات مع فصيل الثوار الذي يقوده عمر البيطار. ولقيت (الديانة) الجديدة على الفور صدى واسعاً بين جماهير الفلاحين، واعتنقها الآلاف منهم) (أكتفي بهذا الاقتباس أيضاً).

- وكتبت المجلة الإيطالية (Oriente:Moderno) (الشرق الحديث) عن سلمان عام ١٩٢٤ معتمدة على صحف في القاهرة وبيروت وسوريا: (وأقتبس كذلك):

(نبي جديد في منطقة العلويين):

هناك شاب من جوبة برغال أعلن مُؤخَّراً أنه مُزوَّد من الإله. فوفد إليه جمهور غفير من المُريدين والأتباع... الذين انتقلوا من الديانة العلوية (النصيرية)...

إنه عبارة عن شاب يبلغ من العمر ستة عشر عاماً، ذو طبيعة إنسانية، سلس، ليّن الجانب، دمث الأخلاق، وقليل الكلام كتوم. يوصي بالإخلاص والصدق، وبعدم الحلفان. ويدعو إلى اللطافة والوداعة والوفاء ونصرة المظلومين والمضطَهدين)[1].

- وتحت عنوان: ((غاية دعوة النبي الجديد)) كتبت جريدة (الحقيقة) الصادرة في بيروت بتاريخ ١٣ كانون الأول ١٩٢٣ ما يلي: ((إن الشاب اللاذقاني (من منطقة اللاذقية) صاحب هذه الديانة الجديدة لا يزال مُعتقَلاً وموقوفاً...))[2].

- وكتبت صحيفة (سوريا) في ١٥ كانون الأول ١٩٢٣ نقلاً عن المجلة الإيطالية (الشرق الحديث): (... فإنَّ هدف هذا الشاب، وخطورة دعوته، تكمن في أنه رأى أن يشكّل جماعات مسلحة لمقاومة الفرنسيين بهدف إجلائهم عن سوريا. إضافة

---

(١) لمحات ص ٤٠

(٢) لمحات ص ٤٠

إلى ما تقدّم فإن هذا الشاب لم يكن مسروراً من تغيير العلويين لمذهبهم (إشارة إلى البعثات التبشيرية المسيحية التي كانت تستجلب الناس إلى التنصير عن طريق الإمدادات من طحين وزيت...الخ).

وقد أراد توسيع دائرة لطافته ومحبته، فدعا جماعات عمر البيطار (حليف الشيخ صالح العلي في ثورته ضد الفرنسيين قبل ذلك) لمقاومة الفرنسيين. ولو نجحت تلك الخطط لكانت الثورة أكثر دموية من كل الثورات السابقة. وليس من المُستبعَد أن يكون هنالك ارتباط قوي ومتين بين هذه الحركة والحركة التي تظهر في الحدود الشمالية). (إشارة إلى ثورة إبراهيم هنانو)[1].

- ثم صدر عدد آخر من مجلة (الشرق الحديث) بتاريخ ٢/شباط/١٩٢٤ فيه مقال عن سلمان بعنوان: (النبي الجديد للعلويين) أقتبس منه: ((إنّ قصة هذا النبي أو (المرشد) لم تنته بعد، بالرغم من سجنه وتوقيفه، فقد استمر أتباعه بالتدفّق أفواجاً إلى قريته التي ولد فيها (جوبة برغال) حيث أصبح

(١) لمحات، ص ٤٠

منزله مقصداً مقدّساً للحجّاج... وهناك أكثر من عشرة آلاف شخص قدموا من (كيليكيا) حيث اعتنقوا المعتقد الجديد. وكذلك العرب (عرب الجوار) اعتنقوا دعوته. أما الوجهاء الذين أُوقِفوا معه في سجون اللاذقية فقد أُطلق سراحهم، بيد أنهم باتوا يخضعون لمراقبة صارمة))[١].

.وعدد آخر من مجلة (الشرق الحديث) صدر وفيه مقال عن سلمان تحت عنوان: (النبي العلوي أُطلق سراحه) أقتبس منه: ((إن النبي الشاب قد أُطلق سراحه وعاد إلى قريته، وقد استُقبل بتظاهرات تكريم شعبية حاشدة، وإن الازدياد السريع لعدد أتباعه أثناء اعتقاله قد جعله يصبح قائداً جماهيرياً بعد أن كان فلاحاً بسيطاً. لقد افتتن به في السجن جميع المساجين ورجال الشرطة، وأعجبوا بشخصيته التي كانت غاية في الطيب وكرم الأخلاق)). (وقد نقلته عنها جريدة: (صدى الأحوال) .بيروت. كما أنه مذكور في (زحلة الفتاة) بعددها بتاريخ ١١ آذار ١٩٢٤)[٢].

(١) لمحات، ص ٤١

(٢) لمحات، ص ٤٢

ـ إضافة لما تقدّم، فقد اهتمت به مرات عديدة المجلة الإيطالية (الشرق الحديث)، وتحدثت عنه (أي سلمان) في أعدادها: طبعة شهر كانون الثاني ١٩٢٤ صفحة ٣٩ ـ ٤٠، وطبعة شهر شباط ص١٠٣، وطبعة شهر آذار ص١٠٤[١].

ـ كما كتبت عنه الصحف المصرية ومنها (المنار، ومجلة القاهرة، والألف باء في ١٩٢٣/١٢/٨)[٢].

ـ وكتبت جريدة (سوريا) في ١٣ كانون الأول ١٩٢٣ تقول: ((إن مُريدي سلمان وتابعيه كانوا يقدّمون له كثيراً من المجيديات كهدايا)). (قيمة المجيدي التركي عشرون قرشاً سورياً، أي ما يعادل أربعة فرنكات)[٣].

هذا غيض من فيض وسائل إعلام ذلك الزمان التي تناولت حركة المرشد على الصعيد الداخلي والإقليمي والدولي. بعضها تعرّض لها وتناولها باهتمام حيادي موضوعي لا يخلو من الإعجاب. وذكرها بعضهم بانحياز فوصفها بالثورة ضد الإمبريالية الأوروبية التي تستعمر الشعوب وتقهرها.

---

(١) نفس المصدر ص ٤١

(٢) نفس المصدر ص ٤٠

(٣) نفس المصدر ص ٤٠

وآخرون جاؤوا عليها بكيدية وتحريض، فبالغوا في تضخيم مساوئها، وأنكروا عليها أيّاً من وجوه الخير. وهذه طبيعة الأشياء في هذه الدنيا المتعدّدة المناهل والمشارب. فبعض أهلها يرون بأبصارهم ويحكمون بعواطفهم، وبعضهم يرون ببصائرهم ويحكمون بعقولهم. ولكل حججه وذرائعه وأعذاره.

تعليق نور المضيء المرشد على أقوال المجلة الإيطالية (الشرق الحديث) المنقولة عن صحف عربية:

(أنقلها حرفياً كما أوردها، من دون أي اقتباس):

((نلاحظ أن في كل ما ورد من مقالات في الصحف يتمحور على قومة سلمان ضد فرنسا وسجنها له بعد ذلك. وتركيزاً على لطافته وتعامله الطيب مع الجميع. وأن تزايد أتباعه كان بسبب محبته. وهذه المقالات تعطينا فكرة عن الصدى الذي كان لصيحة سلمان خارج البلاد في السنوات الأولى لدى سماعهم بها، منه الصحيح، ومنه ما هو ليس صحيحاً، ومنه ما هو ليس كامل الصحة كقولهم عن الاختبارات والتجارب التي كانت تجري على الداخل في جماعة سلمان، كما صوّرت الشائعات الأمر يومها. وأيضاً المبالغة الكبيرة بما كان يصل للصبي من هدايا وعطاءات. وتسميته بالنبي، وهو لم يكن يُسمّى بالنبي، لا في عشيرته ولا في سوريا كلها. بل كان يُلقَّب في البداية بالصبي في عشيرته وفي غيرها، ثم بعدها بالأفندي أو زعيم العشيرة.

أمّا كلمة الدين الجديد فمن الغريب كيف وضعتها المجلة ؟ فهي تصوّر سلمان وجماعته إسلاماً، وضد كل ما هو ليس إسلامياً (حسب قولها)،

((فكيف يكون دينهم جديداً إذاً ؟!))[1]

---

[1] لمحات، ص٤٢

يلفت الأستاذ حيدر مرشد الانتباه هنا "أنّ المرشديّة كدين جديد لم تبدأ إلّا بعد مقتل سلمان بخمس سنوات وذلك عندما باشرها ابنه مجيب."

سلمان المرشد يشارك أبناء طائفته التصدي للنشاط التبشيري (الاستعماري) في جبال العلويين:

يقول السيد أحمد نهاد السيَّاف إن محافظ اللاذقية إحسان الجابري حدثنا عن نشاط التبشير المسيحي في جبال العلويين برئاسة الأب (ميريه)، وتوجيه الأب (شانتور) رئيس المبشرين اليسوعيين في بيروت، في محاولة لتحويل كثير من أبناء المذهب العلوي إلى الديانة المسيحية.

وأشار المحافظ الجابري إلى موقفه المعادي لهذه الحركة الاستعمارية، ودعوته رجال الفكر والدين من فتوى أصدرها مفتي العلويين بإعلانه أن لا فرق من حيث الجوهر في الديانة الإسلامية بين السنيين والعلويين. ودحض كل ادعاء بعدم التزاوج بين أبناء المذهبين، بل وشجع عليه(١).

والمقصود هنا الفتوى التي قدمها الشيخ سليمان الأحمد ووقع عليها الشيخ صالح ناصر الحكيم والشيخ عيد ديب الخيِّر عام ١٩٣٨م ونصها ما يلي: ((قولوا: "آمنا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون".

(١) شعاع قبل الفجر جمال باروت. ص ١١٩.

رضيت بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن الكريم كتاباً، وبمحمد بن عبدالله (ص) رسولاً ونبياً، وبأمير المؤمنين عليّ (ع) إماماً، برئت من كل دين يخالف دين الإسلام. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. هذا ما يقوله كل علوي لفظاً واعتقاداً، ويؤمن به تقليداً أو اجتهاداً)).

وتعود خلفيّة هذه الفتوى إلى المضاعفات الخطيرة التي كادت أن تؤدّي إلى فتنة طائفية، والتي أثيرت أمام المحكمة الشرعية السنية باللاذقية عام ١٩٣٨م اعتراضاً على فرض نفقة يطلبها سنيٌ من أخويه لأبيه، أمّهما علويّة تزوجها أبوه قبل أمّه السنيّة. واحتجّ المحامي بهذه الأقوال لمنع النفقة، مدعياً اختلاف الدين. وقد أخذ القاضي الشرعي بأقوال المحامي على علّاتها، وقرّر قطع النفقة (لاختلاف الدين)، وقد أثارت هذه الفتوى ضجّة كبيرة في الأوساط الإسلامية وفي مقدّمتها مشائخ الطائفة العلوية وزعماؤها. وقام قضاة العلويين ومفتوهم: (يوسف الغزال، علي حمدان، عيد ديب الخيِّر، صالح ناصر الحكيم، صالح إبراهيم ناصر (وربّما هو إبراهيم صالح ناصر)، يونس حمدان عباس، حسن حيدر، عبد الرحمن بركات، علي عبد الحميد، ومفتي العلويين في قضاء صهيون) بدعم من بعض الزعامات الدينية

السنّية بمدينة اللاذقية، وفي مقدمتها الشريف عبدالله آل علوي الحسيني عميد الأسرة الهاشمية، بتوقيع بيان وصفوا فيه ما جاء في ادعاء المحامي، وإقرار القاضي الشرعي له بـ (البهتان المفترَى على العلويين أهل التوحيد)، و(أنّ صفوة عقيدتنا ما جاء في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه).

كما نشر الرؤساء الروحيّون للطائفة العلوية في صافيتا: (ياسين عبد اللطيف يونس، الشيخ علي حمدان قاضي المحكمة المذهبية الشرعية بصافيتا، الشيخ محمد محمود، الشيخ محمد رمضان، شوكت العباس، الشيخ عبد الحميد معلا) بياناً يصفون به ما جاء في أقوال المحامي بـ (محض الكفر الصريح. وإن المسلمين العلويين بإجماعهم المطلق يستنكرونها أشد الاستنكار، ويبرؤون منها ومن مثيريها إلى الله ورسوله (ص)".

كما أصدرت الزعامات العشائرية العلوية في ٩ آب/أغسطس ١٩٣٨م بياناً وصفت به ما نسبه المحامي إلى الطائفة العلوية بأنه (المفتريات الكافرة) وهم: (سلمان المرشد، علي شهاب ناصر، منير العباس، صقر خير بك، إبراهيم الكنج، علي محمد كامل، أمين رسلان)[1].

---

(١) شعاع قبل الفجر، ص ٢١٣ . ٢١٤ .

تأجيرُ أو بيع البنات:

من الظواهر التي كان يعيشها العلويون، فتشكّل لهم مآسي وظلامات تقضّ مضاجعهم، وتستنفذ طاقاتهم الأخلاقية وكراماتهم، وتقيدهم بأصفاد الذل والمهانة، وتحييهم حياة دونية مهينة، يتفنّن أغنياء المدينة وزعرانها بممارستها عليهم بفوقيّة وعنجهيّة، فيتقبّلونها بخنوع وإذعان تحت ضغط الحاجة والفاقة، كانت ظاهرة بيع بناتهم القاصرات لتجّار النّخاسة الوضيعين الذين يتاجرون بهنّ للخدمة في بيوت الأغنياء الرأسماليين للعمل، ثم يضيفون المتعة الجنسية أيضاً. وكانت تتمّ بإحدى طريقتين: إمّا التأجير أو البيع.

فالتأجير يكون لأجلٍ مُسَمّى، خمس سنوات مثلاً يقبض والد البنت أجرها عن هذه المدّة ثم لا يراها. بالرغم من وجود شرط زيارتها لرؤيتها مرّة واحدة كل سنة.

أمّا البيع فيكون بقبض ثمنها كاملاً عن باقي عمرها. وكلاهما (الأجر أو الثمن) كان زهيداً. وفي الحالتين كان والدها لا يراها بعد إتمام الصفقة، إلّا ما ندر.

وقليلات جداً البنات اللواتي تمكَّنَّ من العودة إلى أهلهنّ. وكانت معظم حالات العودة تتمّ بطريقة المغافلة والهروب.

ما أثار حفيظة عقلاء العلويين وزعمائهم ومثقفيهم وأدبائهم.

فكانت هذه الظاهرة واحدة من المآسي التي دفعت الثائر سلمان المرشد للقيام بثورته المجلجلة لإنصاف شعبه.

ونعرض فيما يلي أنموذجاً واحداً من ردود أفعال الأدباء العلويين تجاه هذه الظاهرة المشينة، كما وصفها الشاعر الكبير الأستاذ صلاح الدين أسعد علي /الحارة/ بأسلوبه الشعري الرائع عبر قصيدته (سوق العبيد) المنشورة في ديوانه (ظلال بلا جسد) ص٧٩. إنها ثورة الفكر بالقلم.

سوق العبيد:

((رأيتها، ولكنّها ليست دمية، وإن تكن كالدميةِ جَمالاً وصِغَراً... إنها طفلةٌ شاحبةُ اللونِ مُمزّقَةُ الأثواب، يقودها نَخّاسٌ وَحْشٌ بعَصَا فرعونيةٍ كما تُقادُ الحِملانُ، وكان قد اشتراها من أبيها الفقيرِ الجاهِل، فيالَعارِ الإنسانيةِ تُباع إناثُها وتُشْتَرَى، وتدوس كرامةَ حوّائها نِعالُ النَخّاسين من بني آدم ولا يهتزّ لها ضمير !!

دَعوهـا وَخـدَها تَـذْكُو لَهيبَـا ... وتمـلأُ مَسْـمَعَ الـدنيا نَحيبَـا

دَعُوهـا رَهْـنَ أحـلامٍ تَلاشَـتْ ... تُـؤَبِّنُ كُوخَهـا النائيالحبيبَـا

لقَـد تَرَكَـتْ بـه أُمّـاً تَلَظَّـى ... علـى جَمَراتِـهِ أَلَمـاً مُـذيبَا

وصِنْواً لم يَزَلْ في المَهْدِ طِفلاً ... صـغيراً كـان شـارَكَها الحَليبَـا

وَدُوراً قـد بَنَتْهـا مِـن رِمـالٍ ... وخِلْـفَ التِّـينِ والحَمَـلَ اللَّعُوبَـا

ولُبَّـاداً علـى العِـرْزالِ فيـه ... جَنايا هاـ دُمـىً وحَصـىً وَثَوبَـا .

سـتذكُرها غـداً ليلـى وهِنْـدٌ ... وتَلْتاعـانِ شَـوقاً أَنْ تَغيبَـا

ويصـعقُ أحمـدٌ مِمّـا اعْتَرَاهـا ... ويخـبِطُ سـائلاً عنهـا الـدُّرُوبَا

ولِـمْ لا ؟ والحبيبـةُ أَنْهَلَتْـهُ ... صـغيراً مِـن مَعِـينِ الحُـبِّ كُوبَـا

سَـيَبْكيها ولكـنْ دُونَ جَـدْوَى ... ويَنْـدُبُها ولكـنْ لَـنْ تُجيبَـا

لقَـد ضـاقَ الزمـانُ علـى أَبيهـا ... فسـارَ لبَيْعِهـا يَئِسـاً كَئيبَـا

مَشَتْ وَلَهى تعَثَّرُ في خُطاها تَــوَؤُمُّ الظُّلْــمَ والبيــتَ الغَريبَــا

تَميلُ منَ الطَّوَى يُمنَى ويُسرَى تكَــادُ مــنَ التَّلَــوُّع أن تَــذُويَا

ألاَ شُلَّتْ يَمــينُ مَــنِ اشْــتَرَاها أَمَـا يَخْشَـى مِنَ اللهِ الـذُّنُوبَا ؟!

دَعَاهَـا كـي تُرافِقَـــهُ فخافَــتْ فَخَضَّـبَ بالـدِّمَا منهـا القَضـيبَا

فَرِفْقـاً إنَّــهُ جَسَــدٌ عَــرِيٌّ كَسَـاهُ الفَقْـرُ والبَلْـوَى شُـحُوبَا

لقَـد أَدْمَيْتَــهُ رَكْــلاً وَضَــرباً أَمَا تَخْشَى غَدَاةَ غَدٍ حَسيبَا ؟!

لِبَلْوَاهـا تَحَجَّـرَ كُـل قَلْــبٍ فَيَاللّـــهِ مــا أَقْسَــى القُلُوبَــا.

أَيَــا فَتَيــاتِ حَــوَّاءٍ لَتَكْفــي تِجـارَتُهُمْ بِكُــنَّ أَسَــىً وَعَيْبَــا

فَــذُدْنَ عَــنِ الكرامــةِ أَيَّ ذَوْدٍ وثُـرْنَ علـى النَّخاسَـةِ أَنْ تَؤُوبَـا

وذُونَ المَجْـدِ فابْـذُلْنَ الغَـوَالي وحــارِبْنَ ابْــنَ آدمَ أوْ يَتُوبَــا

دَعُوهـا وَخـدَها تَـذْكُو لَهِيبَـا وتَمْـلأُ مَسْـمَعَ الـدنيا نَحِيبَـا

دَعُوهـا رهـنَ أَحْـلامٍ تَلاشَـتْ تُـؤَبِّنُ كُوخَهَـا النائيالحَبيبَـا)).

نشرت في جريدة (البلاد) بتاريخ ١٥ تشرين الأول، سنة ١٩٥٤ .

الثائرون الثلاثة والعدد (٣٧):

أشهر ثلاثة ثائرين علويين عرب سوريين في العصر الحديث، ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس، بين عامي ١٨٨٥ . ٢٠٠٠م في إطار العدد (٣٧).

قيل عن صُنَّاع التاريخ شيء كثير. وقيل عن التاريخ نفسه أكثر. لكن ربّما كان أهمّ قول وأدقّه يتناسب مع مقام حديثنا هنا هو: (التاريخ لا تصنعه الصدفة).

تخرج علينا مراكز الأبحاث والدراسات العالمية، والمختبرات العلمية ودور التأليف والنشر، ومراكز التواصل الاجتماعي... وغير ذلك، بين الفينة والأخرى، وأحياناً كل يوم، لتسفّه رأياً، أو تنقضَ قانوناً، أو تُكذِّبَ نظرية...الخ، كانت فيما مضى من المسلّمات. وليس قانونُ ثبات الأرض ودوران الشمس حولها آخرَها... ولكن، هل أعاد (غاليليو) إلى الحياة اعتذارُهُم له بعد إعدامه بمئات السنين، لنقضه هذا القانون، وخروجه عليه؟!.

شهدت الأعوام المائة وخمسة عشر الممتدة بين عامي (١٨٨٥ . ٢٠٠٠م) ولادةَ وموتَ ثلاثة رجال متميزين، لعبوا أدواراً هامة في صناعة تاريخ سوريا الحديث، على مختلف

الصعد، وفي شتى المجالات: السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والبشرية، والعقائدية...الخ.

كما شكّل كلٌ منهم ـ بشخصه أو بظاهرته ـ محطّة في مسار تاريخ سوريا المنكود على امتداد قرون طويلة، بفعل تدخل الأجنبي في جزئيات حياتها اليومية، وحياة أبنائها.

فما إن يظهر بريق أمل لهم في آخر النفق المظلم، حتى تتدفع الغيوم المتلبّدة لإخفاء هذا النور المأمول وطمسه، وإعادة الأمور إلى ظلامها الدامس، وربّما إلى الأسوأ، أو الأكثر سوءاً...وهكذا.

فأراد هؤلاء الثلاثة، كلٌّ في زمانه، وعلى طريقته، ومن موقعه، وبما يستطيع، أن يدلي بدلوه الإصلاحي، فعسى ولعلّ...

١ ـ المحطّة الأولى:

المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي، المولود عام ١٨٨٥م:

عندما توفي والده الشيخ علي سلمان (المريقب) عام ١٩٠٥م كان عمره (٢٠) عشرين سنة، فحلَّ محلَّ والده في إدارة شؤون أهله ومنطقته روحيّاً ودنيويّاً، ولم يكن كبير إخوته.

فبدأ يناوش القوات العثمانية الاستعمارية الموجودة، التي كانت تعتدي على الفلاحين الفقراء في قراهم الجبلية المتخلّفة الغفيرة.

ثم شارك القوات الوطنية السورية والشعب السوري بملاحقة فلولهم المتقهقرة شمالاً في نهاية الحرب العالميّة الأولى عام ١٩١٨م.

ولم يتنفّس الشعب السوري الصعداء، ومنهم العلويون في الجبال السّاحلية، حتى جاءت القوّات الفرنسية واحتلّت الساحل السوري . عدا الجبال . من الناقورة جنوباً حتى كيليكية شمالاً بتاريخ ١٩١٨/١٠/٨م.

فعاد إلى ميدان الجهاد مُجدَّداً، وأعلن الثورة على الفرنسيين الغزاة بتاريخ ١٩١٨/١١/١٥م التي استمرّت حتى تاريخ ٢/حزيران/١٩٢٢م، تاريخ استسلامه بعدما اضطرّت فرنسا للعفو عنه وعن رفاقه بعد ثلاث سنوات ونصف من الثورة المستمرة[١].

وبذلك يكون عمره عند استسلامه (٣٧) سنة. وقد عاش بعد ذلك حتى ١٣ نيسان ١٩٥٠م.

---

(١) وقد ألّفتُ كتاباً عن هذه الثورة وسواها من الثورات السورية بعنوان (صفحات مجهولة من ثورة الشيخ صالح العلي)، ونشرته عام ٢٠٠٧ (المؤلّف).

٢. المحطة الثانية: توجد روايتان حول سنة
الثائر الكبير سلمان المرشد: كما أوردها أحمد نهاد
ولادته. الأولى في عام ١٩٠٩م الصفحة ٢٨،
السيّاف في مذكراته (شعاعٌ قبل الفجر) منذر
والثانية في عام ١٩٠٧م كما أوردها الباحث
الموصلي في كتابه (البحث عن الحقيقة) الصفحة ٧١.
فإذا ما اعتمدنا الرواية الأولى يكون عمره ٣٧ سنة عند
إعدامه عام ١٩٤٦م.

٣. المحطة الثالثة:
القائد الكبير الرئيس حافظ الأسد. المولود عام ١٩٣٠م.
تخرّج في الكلّيّة الجويّة كضابط طيّار.وإبان قيام دولة
الوحدة بين سوريا ومصر باسم الجمهورية العربية المتحدة
في ٢٢/شباط/١٩٥٨م نُقل للخدمة في الإقليم الجنوبي
(مصر). وعندما وقع الانفصال في ٢٨/أيلول/١٩٦١م
أعيد إلى سوريا وسُرِّح من الخدمة،فبدأ العمل سرّاً مع رفاقه
من الضباط البعثيين لإسقاط نظام الانفصال وإعادة دولة
الوحدة. كان عضواً في اللجنة العسكرية التي فجّرت الثورة
صباح يوم ٨/آذار/١٩٦٣م. على إثرها عُيِّن قائداً للقوى

الجويّة والدفاع الجوّي في الجيش العربي السوري. ومنذئذ أخذ يلعب أدواراً قياديّة سياسيّة وعسكرية هامة في سورية. وفي ٢٣/شباط/١٩٦٦م شارك بقيادة حركة سياسية داخل حزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان ممسكاً بالسلطة في البلاد، وصار بعدها وزيراً للدفاع إضافة إلى عمله، ورقّي من رتبة العقيد إلى رتبة اللواء، إلى أن قاد الحركة التصحيحية بتاريخ ١٦/تشرين الثاني/١٩٧٠م التي جعلت منه رئيساً منتخباً للجمهورية العربية السورية اعتباراً من ١٢/آذار/١٩٧١م.وبقي يشغل هذا المنصب حتى وفاته بتاريخ ١٠/حزيران/٢٠٠٠م.

فإذا حسبنا المدة الزمنية بين تقلّده المناصب الهامة في الجيش والدولة عام ١٩٦٣م وبين وفاته، تكون المدة ٣٧ سنة أيضاً.

ولكن، ما العلاقة بين أشخاص هذه المحطّات الثلاث؟!

الجواب: هناك شخص رابع يشكّل لهم القاسم المشترك الأعظم، وربما الرابط الحقيقي بينهم، هو المجاهد الوطني علي سليمان الأسد.

ففي المحطة الأولى، عندما سقطت قرية الشيخ بدر، مركز ثورة الشيخ صالح العلي، بيد القوات الفرنسية الغازية خريف

عام ١٩٢٠م، انتقل قائد الثورة إلى منطقة الشمال واتخذ من قرية الدالية مركزاً جديداً لثورته. ومن هناك أرسل رسالة إلى المجاهد علي سليمان الأسد يطلب عونه ومساعدته. فاستجاب له، ولبّى طلبه فوراً بأن أرسل له (٦٠) ستين بندقية حربية و(٢٤) أربعة وعشرين صندوق ذخيرة مُحمَّلة على ظهور البغال، وتم التسليم والاستلام في قرية الدالية[١].

وفي المحطة الثانية، وبتاريخ ١٣/٩/١٩٤٦م، أي نفس يوم الهجوم على حارة سلمان المرشد في قرية جوبة برغال والقبض عليه، كان علي سليمان الأسد الوحيد بين زعماء ووجهاء عشائر المنطقة الذي رفض طلب الحكومة بمشاركة بعض رجاله لمرافقة الحملة العسكرية لقتال المرشد[٢].

(كي لا يعطي هذه الحملة شرعية شعبية، ولا يؤمّن لها غطاء علوياً). المؤلِّف.

وكان في العام السابق مطلع /١٩٤٥م/ قدَ رفض استقبال أي من الفارين الذين حاولوا حرق حارة سلمان المرشد بتوجيه من

---

(١) صفحات مجهولة من ثورة الشيخ صالح العلي، ص ٦٣ / عيسى أبو علّوش. نقلاً عن جريدة تشرين السورية، العدد /٦٥٠٢/ تاريخ ١٨/٤/١٩٩٦.

(٢) البحث عن الحقيقة. منذر الموصلي. ص ١٨٣

إقطاعيي مدينة اللاذقية ودعمهم وتشجيعهم، ففشلوا وفرّوا للاحتماء بالقرداحة والنواصرة(١).

ناهيك عن الصداقة الشخصية التي كانت تربطه بالمرشد(٢).

وأنا شخصياً أضيف عاملاً آخر هو الأهم بنظري، قياساً على تجربته مع صاحب المحطة الأولى الشيخ صالح العلي، وهو أنه، أي علي سليمان الأسد، كان مقتنعاً أن سلمان المرشد كان ثائراً وطنياً عروبياً. وأن الضجة المفتعلة التي أثيرت حوله كانت للقصاص منه، ولتأديبه، ولتخويف غيره به، لأنه كان مدافعاً عن الفقراء الضعفاء، في وجه الإقطاعيين الأغنياء الأقوياء.

أمّا في المحطة الثالثة: فبطلها الرئيس حافظ بن علي سليمان الأسد.

والمجاهد علي سليمان الأسد كان واحداً من الزعماء العلويين القلائل، في المجالين الديني والدنيوي، الذين وقفوا بشموخ وطني، وشجاعة إنسانية، يدعمون ثورة الشيخ صالح العلي بكل ما يستطيعون من مال وسلاح ورجال، ومعلومات

(١) البحث عن الحقيقة منذرالموصللي ص ١٨٤ .

(٢) البحث عن الحقيقة، ١٨٣

استخبارية... وغير ذلك. لقد كان، ومعه نفر من وطنيي القرداحة وحولها، يتقصّون أخبار القوات الفرنسية أينما تواجدت، فيرصدونها ويبعثون أخبارها إلى الثوار. كما كانوا كثيراً ما يشكّلون حلقات الاتصال والتواصل بين ثورتي الشيخ صالح العلي، وعمر البيطار في الحفة.

وها هو، أي علي سليمان الأسد، يخرج بعد نحو ربع قرن من الزمان على ما يشبه إجماع الزعماء العلويين ضد المرشد، بحدود الممكن. فإنْ لم يكن قادراً على حمايته ونجدته، فقد كان قادراً على رفض المشاركة بقتاله والعدوان عليه، حتى ولو كان بطلب من الحكومة، وهذا ما فعله.

بالوقت الذي كانت فيه غالبية الزعماء العلويين، وغيرهم من زعماء السنة والمسيحيين، تتدلى أعناقهم ذابلة، ذليلة، مسترخية، حتى لتكاد رؤوسهم تسقط من بين أكتافهم إلى ما بين أقدامهم، على باب الحاكم الفرنسي، كما كانت قبله على باب الوالي العثماني، تتسوّل منصباً، أو نفعاً مادياً، أو حماية مدفوعة الأجر، بل والأجر مسبوق الدفع. بطل محطتنا الثالثة هذا، تربى في كنف هذا المجاهد الأبي على الفضيلة،

والأخلاق الكريمة، والتعاليم الإسلامية السمحة، فعاش كارهاً الظلم، مقدّراً البطولة، متماهياً في الوطنية والعروبة.

لهذا نراه ما إن يتقلد مهام رئاسة الجمهورية العربية السورية حتى يبادر لإصدار بعض المراسيم التي تمجّد البطولة، وتكرّم المجاهدين، وترفع الظلم عن المظلومين، ما يعمل على تعزيز الوحدة الوطنية، وتمتين اللحمة الشعبية، بين أبناء الوطن الواحد. فالوطن لجميع أبنائه، لهم ما له، وعليهم ما عليه.

فيصدر المرسوم التشريعي رقم ٤٨ تاريخ ١٨/٧/١٩٧٢ القاضي بمنح لقب مجاهد أو مجاهدة لـ(١٢٧٧) مواطناً سورياً شاركوا بالثورات ضد المستعمر الفرنسي بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٢٨ (في كل سوريا). مع راتب شهري تقاعدي مقداره (١٢٥) ليرة سورية يُورَّث أصولاً[1].

أمّا حول المحطة الثانية فإنني أقتبس ممّا قاله نور المضيء المرشد ما يلي:

- "وبعد قيام الحركة التصحيحية توقّف النفي والإقامات الإجبارية، وحظر التجوّل، واضطهاد المرشديين. وفُكَّ أسر

---

(١) صفحاتٌ مجهولةٌ من ثورة الشيخ صالح العلي. ص ١٤٥

المنفيين في دمشق، ورجعوا إلى مناطقهم أخيراً. كما ألغيت قائمة الأسماء الممنوع خروجهم إلى لبنان عن الحدود، وأصبح الذهاب إلى لبنان وغيره مفتوحاً لمن أراد"[١].

ـ "إنّ قيام الرئيس حافظ الأسد على سدة الحكم في سوريا ساعد كثيراً في اتساع دائرة توظيف المرشديين بوظائف الدولة، ولم يعودوا يُمنعون من الوظيفة... وقد أخبرونا في اللاذقية تلك الأيام أن هنالك في الريجي حوالي ثلاثمائة امرأة مرشدية متوظّفة فيها وبدأ عدد المرشديين في الوظيفة يزداد سنة بعد أخرى في اللاذقية"[٢].

بالعودة إلى بداية هذه الفقرة ـ والعَوْدُ أحمد ـ ومقارباتي للمحطات الثلاث أقول:

إذا لم تكن المصادفة (الصدفة) هي التي ربطت بينها بالكيفية التي وردت، فَمَن تُراهُ فَعَلَ ذلك ؟!

ثم ما الذي أومَنِ الذي، صَنَعَ من (صبيّ)، جبليٍّ، فقيرٍ، أُمّيٍّ، راعٍ، يتيم الأُم منذ ولادته تقريباً، سَلمان المرشد؟! وكيف ؟! وأخيراً، كيف التقى هؤلاء الأبطال الثلاثة عند العدد ٣٧ ؟!

---

(١) لمحات حول المرشدية ـ نور المضيء المرشد، ص ٤٣٩

(٢) المصدر السابق ـ ص ٤٤٣

ولماذا هذا العدد بالتحديد، وليس سواه ؟!

وهل من جواب عند المهتمين بعلم الأعداد والأرقام؟!

حافظ الأسد والمرشديون:

عندما قامت دولة الوحدة بين سوريا ومصر في ٢٢ شباط ١٩٥٨ باسم الجمهورية العربية المتحدة نُقلت أعداد كبيرة من ضباط الإقليم الشمالي (سوريا) للخدمة في الإقليم الجنوبي (مصر) وكان منهم النقيب الطيار حافظ الأسد الذي عُيِّن في إحدى القواعد الجوية بالقاهرة كطيار مقاتل ليلي.

وبعدما وقع الانفصال بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٦١ أعيد هؤلاء الضباط إلى سوريا، فقام قادة الانفصال بتسريح أعداد كبيرة منهم، كان النقيب حافظ الأسد واحداً من هؤلاء المسرّحين.

وقد أخبرني الدكتور محسن الخيِّر[١]، وهو بعمر حافظ الأسد، ومن قريته (القرداحة)، بل من حارته، ومن أترابه. وقد عاشا طفولتهما معاً، وربطت بينهما صداقة متينة، وعلاقة خاصة. قال لي: (عندما سُرِّح حافظ الأسد من الخدمة العسكرية ابتعد عنه الناس لأنه كان تحت المراقبة الدائمة، وهذه حال الدنيا،

---

[١] الدكتور (الطبيب) محسن الخيِّر، عمل في عهد الرئيس حافظ الأسد أميناً لفرع حزب البعث العربي الاشتراكي باللاذقية فترتين طويلتين منفصلتين. وأنهى خدمته في وظائف الدولة سفيراً للجمهورية العربية السورية في دولة الهند في عهد الرئيس بشار الأسد.

وطبيعة الأشياء عند البشر في الغالب، لكن المرشديين حافظوا على علاقاتهم الطيِّبة معه، وقدموا له كل المساعدات الممكنة طوال فترة الانفصال).

وأنا شخصيّاً أقدِّر أن هذا الموقف من المرشديين تجاه حافظ الأسد، ربما كان نوعاً من رَدّ الجميل لوالده علي سليمان الأسد على مواقفه الإيجابية تجاه سلمان المرشد في محنته.

لكن، وبعد قيام الثورة التي قضت على حكم الانفصال بتاريخ ٨ آذار ١٩٦٣ وكان حافظ الأسد من قادتها الأساسيين تخطيطاً وتنفيذاً، وكان الانفصاليون قد سجنوه مرتين خلال فترة حكمهم القصيرة التي لم تكمل السنة ونصف السنة. لكنه كان طليقاً أثناء قيام الثورة.

أقول: بعد قيام الثورة بدأ حافظ الأسد يتبوّأ مواقع قيادية هامة في الجيش العربي السوري، ويرتقي المراتب والرتب بسرعة، فلم ينسَ مواقف المرشديين منه، وأفضالهم عليه.

وعندما أصبح وزيراً للدفاع استطاع إلغاء تعليمات اضطهاد المرشديين التي صدرت زمن الانفصال وما قبله، وذلك بنشر (بلاغ) هذا نصه[1]:

((يلجأ بعض رجال الأمن إلى توقيف من يُسمّون بالمرشديين بحجّة انطباق أحكام المادتين ٣٠٧ و٣٠٨ من قانون العقوبات عليهم.

ولمّا كانت المادتان المذكورتان لا تعاقبان إلّا على الانتساب إلى جمعية سرّيّة غايتها إثارة النعرات المذهبية والعنصرية، والحض على النزاع بين الطوائف. ولمّا كان من تسمَّوْا بالمرشديين هم فئة من العلويين الذين يشكّلون بحد ذاتهم طائفة يجب أن نحترم آراءها وأفكارها، وبالتالي لا يعتبر من ينتسب إليها أنه يثير نعرات مذهبية، أو يحض على النزاع بين الطوائف، كل ذلك ما لم يصدر قرار من المحاكم المختصة يعتبر المرشدية جمعية سرّيّة لإثارة النعرات المذهبية.

---

(١) حياتي والإعدام . محمد إبراهيم العلي . الجزء الثاني ص٢٤٨. لم أعثر على تاريخ هذا البلاغ. المؤلّف.

لذلك تُلغى جميع البرقيات والكتب والبلاغات السرّيّة السابقة المتعلقة بتوقيف المرشديين وتنظيم الضبوط بحقهم وإحالتهم إلى القضاء، ويتوجب عدم اللجوء إلى تنظيم الضبط أو توقيف أيّ مواطن استناداً إلى هذه الصفة، وإن إجراء مخالفة من قبل رجال الأمن قد يؤدي هو نفسه إلى إثارة النعرات المذهبية.

فنطلب منكم التقيد بهذا البلاغ بكل دقة)). (انتهى البلاغ)

بعد حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ وإقصاء الفريق أمين الحافظ عن رئاسة الدولة، ونائبه اللواء محمد عمران، وقياديين آخرين، توزع القادة الجدد بين ثلاث فئات بالنسبة للموقف من المرشديين:

الفئة الأولى: وهم المعادون لهم، وكانوا قلّة، يمثلهم محمد رباح الطويل وزير الداخلية آنذاك.

أمّا الفئة الثانية: فهم غير مكترثين بهذا الموضوع ولا مبالين به. وهم الأكثر عددياً.

وتأتي الفئة الثالثة: وهم المتعاطفون معهم، الذين ينحدرون مثلهم من بيئات فقيرة، ويجمعهم بهم قاسم مشترك، هو العداء للبورجوازية في الداخل، وللفرنسيين والإنكليز في الخارج.

وكان على رأس هؤلاء اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع وقتئذ، ومعه أكثريّة ضباط الجيش وخاصة من الرتب الصغيرة.

وفي أحد اجتماعات القيادة، وكانوا يتباحثون في وضع المرشديين، قال وزير الدفاع للمجتمعين: ((المرشديون لا يريدون إلّا أن يصلّوا، فما ضرر الصلاة؟ أتقاتلونهم فقط لأنّهم يصلّون أو يجتمعون للصلاة؟ إنهم لم يقوموا بأيّ عمل ضد الحزب أو السلطة)).

ومع ذلك فلم ترفع عنهم كل القيود إلا بعد قيام الحركة التصحيحية بقيادة الرئيس حافظ الأسد بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠. عندئذ ألغيت جميع التدابير المتخذة ضدهم من قبل الحكومات المتعاقبة على سوريا منذ إعدام سلمان عام ١٩٤٦ في عهد شكري القوتلي وحتى تاريخه، حيث رفعت قوائم منع دخولهم إلى البلدان المجاورة وغير المجاورة، عن الحدود البرية والمطارات وسواها، فبدؤوا يدخلون إلى وظائف الدولة المختلفة، ويتطوّعون بالجيش العربي السوري، والكليات العسكرية... وغير ذلك.

كما انخرطوا في الحياة السياسية، والنشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كبقية الشرائح الاجتماعية الأخرى من

مكوّنات المجتمع السوري، على قدم المساواة مع المواطنين السوريين الآخرين. حتّى أن نور المضيء المرشد أصبح من كبار المقاولين في سوريا.

وكان المرشديون يتمتّعون بالجرأة والمواقف المبدئية أكثر من سواهم، فهم الشريحة الاجتماعية الوحيدةالتي رفضت علانية انتخاب أديب الشيشكلي لرئاسة الجمهورية عام ١٩٥٣ بالرغم من عنفه وبطشه، لأنّه هو شخصياً من كلّف الملازم أول عبدالحق شحادة من الشرطة العسكرية بقتل مجيب المرشد، فنفّذ الأمر قبيل مغرب يوم الخميس ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٢ في قرية (الصَّيَر) في الغاب. وقد جرح ابن عم أم فاتح أحمد محمد داؤود في تلك الحادثة.

ففي انتخابات عام ١٩٧٧ فاز لعضويّة مجلس الشعب من المرشديين خليل جعفر محفوض عن منطقة الغاب، ونزيه وصفي السعيد عن محافظة حمص. وكانت هذه المرّة الأولى التي يدخل مجلس الشعب ممثلون عن المرشديين في عهد حكم حزب البعث العربي الاشتراكي[١]. وفي الانتخابات التالية

(١) حياتي والإعدام ج٢ ص ٢٤٩ .

صار لهم ثلاثة مقاعد في مجلس الشعب، واحد عن محافظة حمص، والثاني عن منطقة الغاب، والثالث عن محافظة اللاذقية الذي شغله المهندس بهجت سعد[1].

وعندما بدؤوا ينخرطون في الجيش بكثرة تعرّف عليهم رفعت الأسد قائد سرايا الدفاع، فأغراهم بالتطوع في السرايا . وكانت وحدة متميزة . فصاروا يشكّلون فيها قوة كبيرة من ضباط وصف ضباط وأفراد[2].وعندما تشكّلت سرايا الدفاع كان اسمها الكامل (سرايا الدفاع عن الوطن وحماية الثورة).في شهر آذار من عام ١٩٨٤ تعرّض الرئيس حافظ الأسد لوعكة صحية أدخل على إثرها مشفى الشامي بدمشق، فاستغل شقيقه رفعت الأسد هذه الحالة وحاول القيام بحركة انقلابية ضد شقيقه الرئيس، مدفوعاً بتحريض من بعض القيادات المدنية والعسكرية في الدولة. فوقف المرشديون إلى جانب الرئيس، وأبلغوه موقفهم سراً وهو في المشفى عبر رسالة شفهية وصلته من ساجي المرشد بواسطة أحد الأصدقاء يقول فيها: ((إن أراد سيادة الرئيس أن نعلن موقفنا معه فنحن على استعداد أنا

---

(١) حياتي والإعدام ، ص ٢٥٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٥١ .

وفاتح والنور (نور المضيء) أن نقف على باب القصر الجمهوري حاملين البنادق لحمايته))[1].

كما أعلنوا أنهم سيكونون أوفياء مع من رفع عنهم الظلم والحيف، ولا مساومة مع أحد على هذا الموقف، وهم جاهزون للتضحية من أجل ذلك بكل ما هو غالٍ ونفيس، إحقاقاً للحق، وإثباتاً للوفاء، وطلبوا مقابلة السيد الرئيس لإبلاغه هذا الموقف مباشرة.

حضر المقابلة مع السيد الرئيس منهم كل من (ساجي وفاتح والنور) المرشد، وهم أكبر أولاد سلمان. فقالوا له: ((عندما تعاونّا مع رفعت كنّا نظنّ أنّ ذلك بعلم وموافقة سيادتكم، ونحن لن نكون إلّا معكم. وإننا جاهزون لتنفيذ ما تطلبه منا، بل ما تأمرنا به)). فقال الرئيس: ((فعلاً كنت على علم. بما يجري بينكم وبين رفعت، وأنه كان بتوجيهي ومباركتي، وأن رفعت كان مطيعاً لرئيسه، أمّا الآن فقد تغيّر الأمر وبات يُقادُ من آخرين))[2].

---

(1) حياتي والإعدام، ص ٢٥٢ .

(2) حياتي والإعدام، ص ٢٦٤ .

وطلب منهم أن يعلنوا موقفهم هذا داخل السرايا وخارجها. كما طلب من نور المضيء أن يخبر رفعت شخصياً بموقفهم.

أعلن العسكريون المرشديون داخل سرايا الدفاع على الملأ، وبصوتٍ عالٍ أنهم مع الرئيس حافظ الأسد، وأنهم سيخرّبون جميع الآليات، بما في ذلك الدبّابات، التي تكون بين أيديهم إذا ما تحركت قوات السرايا نحو دمشق أو هاجمتها. وسوف يطلقون نيرانهم على قوات السرايا الأخرى المتحركة. وهم ينفّذون أوامر الرئيس فقط، والرئيس هو الذي أصدر لهم هذه الأوامر التي لا تقبل المناقشة.

فأُسقط في يد رفعت الأسد عندما سمع هذا. وعندما وصل نور المضيء لإخباره بأوامر الرئيس قام باعتقاله فوراً . كما كان مُتوقَعاً . كما اعتقل العديد من وجهاء المرشديين. ثم أدخل ثلاثة آلاف من العسكريين المرشديين وضبّاطهم إلى السجون، ما اضطر الرئيس للاتصال برفعت ليأمره بإطلاق سراح نور المضيء وجميع المرشديين فوراً. ويحذّره من إلحاق الأذى بأي مرشدي[1].

---

(١) حياتي والإعدام، ص ٢٦٥ و٢٦٦

وبعد يومين أطلق رفعت الأسد جميع المسجونين المرشديين. ثمّ ذهب برفقة شقيقهما جميل الأسد إلى بيت السيد الرئيس فقبّل يده معتذراً، طالباً الصفح عنه والعفو والغفران(١).

وفي عهد الرئيس بشار الأسد استمرت هذه العلاقة الحميمية بين المرشديين والسلطة القائمة في سوريا، فقد استقبل الرئيسُ نورَ المضيء وكرّمه. وكان أخواه ساجي وفاتح قد غادرا هذه الدنيا قبيل تسلمه السلطة بقليل، حيث توفي ساجي بتاريخ ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٨، ثم لحق به فاتح بعد أقل من سنة وخمسة أشهر، أي في ٦ آذار عام ٢٠٠٠(٢). بينما تقلّد الرئيس بشار الأسد مقاليد السلطة بتأديته القسم الدستوري أول مرة بتاريخ ١٧ تموز عام ٢٠٠٠م.

ثم لحق نور المضيء بشقيقيه بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ٢٠١٥م.

ثم دخل المرشديون الوزارة مشاركين في حكم البلاد. وأنا شخصياً أعرف منهم الوزير الدكتور علي سعد الذي تقلّد منصب وزير التربية في عهد الرئيس الدكتور بشار الأسد.

---

(١) حياتي والإعدام ص ٢٧٠

(٢) لمحات حول المرشدية ص ٤٤٠

نور المضيء سلمان المرشد يثني على محمد إبراهيم العلي(*):

((فعلاً هذا الرجل محمد إبراهيم العلي استطاع أن يعلم الصح من الخطأ بالنسبة إلينا على الأقل. ومن يستطع أن يميّز الصح من الخطأ لهو جدير بالثقة، وأهل للثناء.

لقد قُدِّمَ محمد إبراهيم العلي للموت مراراً، ولم تهدّه هذه المواقف القاهرة، بل تابع مسيره وخط طريقه بعدها دونما أيّ إعياء.

هو أول من عَلِمَ أننا نتيجةً لمواقفنا الصلبة بالنسبة للعهود البائدة قبل سنة ١٩٦٣م أننا خيرُ مَن تصدّى للإقطاع وللظلم، وأننا لم نحنِ الرأس لأي جبّار. ودفعنا بذلك دماءً لها عند الخالدين اعتبار وأيّ اعتبار.

محمد إبراهيم العلي علَّمته مأساته الإنسانية أن يحترم كل مأساة إنسانية ويقدّرها. وقد خلقت في نفسه، كما رأيت، طيبةً ووداعةً عبّرت عنها أفعاله وأعماله، فما رأيته يعتدي على الناس، ولا يستعلي على أحد، وكفى بذلك فخراً)).

(*) حياتي والإعدام، الجزء الثالث، محمد إبراهيم العلي، الصفحات (٤٦٣،٤٦٥).

((... تكلمتُ عنه من حيث الطابع الإنساني، وهل هنالك شيء غير الطابع الإنساني على هذه الأرض؟! فعند الطابع الإنساني تَفنى الأوطان والدول. ونعود إلى كلمة الذي شرَّف لقب الإمام عندما تلقّب به، ألا وهو كما تعلمون علي بن أبي طالب، وكلمته هي: "إن لم يكن أخاً لك في الدين، فهو مُسَاوٍ لك في الخلق".

ما رأينا محمد إبراهيم العلي إلا صادقاً في كل تعاملٍ لنا معه. وكان أول مَن كتب عنا بمصداقيةٍ وبجرأةٍ لم يسبقه عليها أحد لربما خلقتها فيه المعاناة التي تصنع الأبطال)).

((... قد أختلف مع محمد إبراهيم العلي بآراء، وقد نتفق في آراء، ولا عيب في هذا، فالصراحة معدن التصافي. وعلّةُ العالم أنه لم يصل إلى هذه الحقيقة بعد، إلا لربما قولاً فقط دون اقتناع. فبينما يظهر بعض الوميض منها على شاشة القول، يختفي كل وميض منها على شاشة العمل. سمعتُ بمحاكمته الشهيرة عندما كنتُ يافعاً، وكنا نسكن يومذاك في حي الميدان بدمشق. كنا نتعاطف معه أثناء سير المحاكمة. لماذا؟... أتسأل مظلوماً لماذا يتعاطف مع مظلوم آخر ؟!

لن أتحدث عن سير محاكمته، فهو رواها وبالتفصيل في الجزء الثاني من كتابه (حياتي والإعدام). ولن أتحدث عن علاقتنا السياسية به، فهو قد رواها وبالتفصيل أيضاً في الجزء الثاني من الكتاب نفسه. ولكن أصادق وأختم على كل ما جاء به عَنَّا في كل الظروف التي ذَكَرَنا بها في هذا الكتاب.

قيل إنه كان لنا الفضل الأول بإنقاذ دمشق من حرب واقتتال سنة ١٩٨٤م أحب أن أُنوِّه هنا بأنه إذا كان لنا فضل في ذلك فقد شاركنا محمد إبراهيم العلي هذا الفضل قلباً وعملاً)).

حَدَثٌ وتعليق:

وقع الحدث يوم الجمعة الواقع في ١٣/أيلول/١٩٤٦م

وملخصه:

كان سلمان المرشد منهمكاً بتحضير الغداء لضيوفه القادمين إليه عربوناً على صفاء الحال، ونقاوة الأجواء بينه وبين رجال السلطة المركزية في دمشق، وفي محافظة اللاذقية.

هذا مانقله إليه صديقه أحمد السيَّاف مدير الريجي باللاذقية مساء أمس الخميس وبات ليلة الخميس . الجمعة ١٢.١٣/أيلول عنده، وغادر في الصباح عائداً إلى اللاذقية؟[١] وكان السيَّاف مُكلَّفاً من محافظ اللاذقية عادل العظمة بنقل هذه الرغبة إلى سلمان... ففعل. ولم يدرْ بخلَد السياف للحظة واحدة أنها خديعة ماكرة من السلطة استخدمته فيها للإيقاع بصديقه سلمان الذي نَفَّذَ عبره قبل ذلك جميع طلبات السلطة بغية خلق جو من المصالحة، وكي لا تتفاقم الأمور وتتطور بينهما، وتصل إلى الانفجار.

(١) شعاع قبل الفجر . أحمد السياف ص ٢٥٧

وكـان الضـيوف المعنيـون بالـدعوة: محـافظ اللاذقيـة، وقائـد الـدرك، ومسـؤولون آخـرون كثـر. أقـول: بينمـا كـان سلمان منهمكـاً بتحضـير الغـداء للضـيوف، نظـر حولـه فـرأى رجـال الدرك والجيش بأعدادهم الكثيرة، وسياراتهم العاديـة والمدرعـة، يحيطون بقريتـه (جوبـة برغال) من كل اتجاه، وينتشرون على الروابي والهضاب المحيطة بها، وفي طرقاتها كذلك.

عندئذ أيقن أنّ ما حدّثتْهُ به نفسه في الليلة الماضية، ونغّصت عليـه نومـه حتـى هجره النعـاس، فـأيقظ صـديقه السيَّاف بعد منتصف الليل ليعرض عليه هواجسه من هذا الغداء المطلوب طلباً، وأنـه يشـعر أن فـي الأمـر خديعـة، معتمداً فـي أحاسيسـه هذه وقلقه على ما يعرفه عنهم من كذب ومكر وخداع، صار واقعاً.

إنّ ما كان ينوقعه توقعاً، ويفترضـه افتراضـاً، قد أصبح حقيقة واقعة ماثلة أمام عينيه، لاشك في ذلك، ليبدأ معها مرحلة غير مسبوقة فـي الصـعوبة والآلام، إنهـا مرحلـة اتخـاذ القـرارات الصعبة الحاسمة.

فيأمر رجالـه بإلقـاء أسلحتهم، وبعدم التصدي لقوات السلطة. وهـذا يعنـي استسـلامه أيضـاً واستسـلام رجالـه. لقد حُسمت

الأمور وانتهى كل شيء. وهو الآن لم يخسر المعركة فقط بل خسر الحرب كلها.

في هذه اللحظة تأتيه أم فاتح مهرولة[١]، تطلب منه بإلحاح: أبو فاتح اقتلني، أرجوك اقتلني كي لا أقع فريسة بين أنياب ومخالب الوحوش من رجال السلطة. إنها هي الأخرى تستجديه قتلها حفاظاً على شرفها وعرضها وكرامتها. وفي المواقف الصعبة كهذه تظهر الرجولة الحقيقية، ويبان الرجال الرجال. وهنا لم تخنه شجاعته ورجولته، فيلتقط بندقيته ويطلق عليها النار، فتسقط أم فاتح (الحبيبة الغالية) قتيلة إلى جواره وأمام ناظريه[٢]. كان هذا الحَدَث..

---

(١) أم فاتح، هي هلالة بنت الشيخ محمود داؤود حسن من قرية دير ماما، ناحية المزيرعة بريف اللاذقية. أنجبت أربعة أولاد ذكور هم: فاتح ومجيب وساجي ونور المضيء، وأنثى واحدة ماتت طفلة. بعد مقتلها دُفنت أم فاتح في قرية جوبة برغال. وقبرها معروف .(المؤلف)

(٢) شعاع قبل الفجر، ص ١٧٠

أمّا التعليق:

هل يعرف سلمان مَن قَتَل ؟!

نعم، ومن دون أدنى شك يعرف مَن قَتَلَ. لقد قتل أم فاتح، وهي حبيبته ومعشوقته، وأم أولاده، وذراعه اليمنى، وقائدقبيته وأسرته بل وعشيرته في غيابه.

هي من كان الرجال إخوتَها، وليست أختَ الرجال فقط .كما يقال .

لَبَّى طلبها وقتلها بتأثير عزة النفس والكرامة والإباء، وبضغط المبادئ وقيم الشرف والعرض والشهامة. قتلها كي لا يراها ذليلة بائسة بين أيدي جلاّديهما من وحوش البشر. قيل فيما بعد بأنه شُنق بدمها بعدما أسقطت عنه المحكمة تهمة الخيانة العظمى.

وهنا أسئلة كثيرة تطرح نفسها تلقائياً: هل بنظر القوانين البشرية الوضعية، وحتى بالقوانين الإلهية، هل يُقتل القاتلُ بالمطلق بدم مَن قَتَل ؟! أم أن لكل حالة قتل ظروفَها وحيثياتها المختلفة عن الأخرى التي تحكم مسارها وإطلاق الأحكام حولها ؟

وهل يكون في جميع حالات القتل العاملُ الجرميُ هو الدافع إليه ؟!

وهل يقتل رجلٌ عاقلٌ مثقفٌ نفسه وزوجته وأولاده في ظروفٍ خاصةٍ جداً.. وهم الأقرب إلى نفسه، وأَحَبُّ الناس إلى قلبه بدوافع جرمية ؟!

لنتابع هذه المقاربة:

وتمر السنون والأيام على سوريا حتى نصل إلى ١٥/آذار/٢٠١١م فيندلع حراك في الشارع بدأ بمدينة درعا، ثم انتشر بسرعة كالنار في الهشيم إلى باقي المدن السورية وقراها، رافعين شعارات خادعة ماكرة برّاقة مثل (الديمقراطية، والإصلاح، ومكافحة الفساد، وإلغاء قانون الطوارئ، وسلميّة، والله أكبر...) وغير ذلك. ليتكشف بعد فترة وجيزة أن الأمر لا يعدو أن يكون مشروعاً استعمارياً غربياً مُعَدّاً مسبقاً، ومخططاً له بإحكام تحت يافطة (الربيع العربي) الذي بدأ بتونس فهرب رئيسها زين العابدين بن علي، ثم انتقل إلى مصر فاستقال رئيسها حسني مبارك، ثم إلى ليبيا فيقتل رئيسها مُعمَّر القذافي وإلى اليمن ليستقيل رئيسها علي عبدالله صالح. وسَوَّقوا له أنه سيأتي على جميع دول المنطقة ويسقط أنظمة الحكم فيها الواحد تلو الآخر.

وعندما وصل الأمر إلى سوريا كشفوا أن الهدف الحقيقي هو تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد، وأن الهدف الرئيس فيه هو إسقاط سورية المقاومة، نظاماً وجيشاً وقيادة ودولة ومؤسسات.

وبدؤوا يجمعون الأوباش المرتزقة من جميع أنحاء العالم، ويدخلونهم إلى سوريا عبر تركيا والأردن ولبنان، ويغدقون عليهم الأموال الطائلة من الدول الخليجية، وأحدث أنواع الأسلحة وأجهزة الاتصالات. ووضعوا في خدمتهم مئات القنوات الفضائية العربية والعالمية، ووسائل الإعلام الأخرى من إذاعات وصحف ومجلات وفيسبوك...الخ.

وقُدِّرَ عدد هؤلاء الإرهابيين بمئات الآلاف من الكفرة الفجرة الذين غسلوا أدمغتهم ووعدوهم بحوريات الجنة !!

وبدأ مسلسل الرعب والتخريب في سوريا على أيديهم، فمن قتل للبشر والتمثيل بهم وبجثثهم وأكل أكبادهم، إلى اغتصاب النساء، وأخذهن سبايا، وبيعهن في سوق النخاسة أو قتلهن. إلى تخريب كل ما هو مفيد في البلاد، من الشجر والحجر والبنى التحتية... وغيرها حتى تمكنوا من دخول معظم

المناطق السورية وتخريبها. وقد قدر عدد الدول المشاركة في هذه الحرب الكونية على سوريا بأكثر من مائة وثلاثين دولة.

في الصباح الباكر من يوم الخميس الواقع في ٢٠١٣/١٢/١١. وكان صباحاً شديد البرودة لأن الأرض كانت مكسوة بالثلوج اقتحم الآلاف من الإرهابيين مدينة عدرا العمالية بريف دمشق بغتة وعلى حين غرة، وبدؤوا مسلسل فظائعهم وإجرامهم بحق السكان الآمنين، بالذبح والتقطيع، وشيّ البشر في فرن المدينة وهم أحياء، وتجميع الساكنين في أماكن خاصة من الشوارع وإبادتهم جماعياً، وسبي النساء...الخ.

في شقة من شقق إحدى البنايات كان المهندس الأربعيني الشاب نزار صالح حسن. وهو من قرية (بسطوير) بريف جبلة ويعمل في وزارة النفط بدمشق. يسكن مع زوجته المهندسة ميسون هاني محلا ووَلدهما الطالب الثانوي (كريم) وطفلهما ابن السنوات الأربع (بِشْر) في أمان واطمئنان، وفي رغد من العيش. فأحوالهم المادية جيدة، وأسرتهم صغيرة مقدور على الإنفاق عليها، وتعليم الأولاد، وتأمين مستقبل واعد لهم. لكن القدر كان له رأي آخر مختلف. طول ذلك النهار وهم يشاهدون الإرهابيين الأشرار من النوافذ يفتكون بالناس من

جيرانهم، وقد رأوهم يمسكون رجلاً من جيرانهم يعرفونه جيداً وهم يذبحونه ويقطعون رأسه ويفصلونها عن جسده. كما رأوهم يمسكون بعض النسوة من شعورهن ويجروهن جرَّ الخراف إلى المذبح.

كانت المشاهد مرعبة، فطلبت أم كريم بإلحاح من زوجها نزار أن يقتلها كي لا تقع فريسة بين أيدي هؤلاء الأوغاد المجرمين. (أي نفس الطلب الذي طلبته أم فاتح من زوجها سلمان).

أدرك نزار وعائلته أن الموت آت إليهم لا محالة، وقد صار بالنسبة لهم أقرب من القريب، فقرروا ألا يستسلموا للإرهابيين، وأن يقاوموهم حتى الموت (الاستشهاد) الذي لا مفر لهم منه: ولن يمكّنوهم من الوصول إليهم وهم أحياء. هذا ما أبلغته أم كريم إلى ابن أخيها نمير محلاّ في آخر اتصال بينهما قبيل استشهادهم بقليل.

كان نزار قد تمكّن من تأمين بعض القنابل اليدوية الدفاعية بطريقته الخاصة تحسُّباً، ودرَّب زوجته وابنه كريم على استعمالها، وخاصة بعدما انتشرت شرور الإرهابيين في البلاد كالوباء.

كما أنه كان مدركاً أن الجيش العربي السوري يستحيل عليه التواجد بقوة في كل الأماكن والنقاط والبيوت لحمايتها من الإرهابيين. بل يستحيل على أي جيش في العالم أن يفعل ذلك مهما بلغ عديده وعتاده. لهذا كان لابدّ من اعتماد مبدأ الدفاع الذاتي، أي أن يتصدّى كل فرد لهؤلاء الأشرار من موقعه، مدنياً كان أو عسكرياً، ويلحق بهم ما يستطيع من الخسائر البشرية والسلاح.

نحو الساعة الخامسة فجراً من صباح اليوم التالي الجمعة ٢٠١٣/١٢/١٢م سمع نزار وأسرته هرجاً وصخباً وقعقعة سلاح على درج بنايتهم الصاعد إلى شقتهم، وكانوا أعداداً كثيرة من المهاجمين الإرهابيين، فنادوا على نزار باسمه طالبين منه فتح الباب والخروج إليهم مستسلماً. فأجابهم: افتحوا الباب أنتم وادخلوا إن كنتم شجعاناً. فأطلقوا النار على قفل الباب واندفعوا بكثافة إلى داخل الشقة ورصاص رشاشاتهم يسبقهم لتأمين دخولهم، لكنهم فوجئوا بالقنابل اليدوية تنفجر بوجوههم وأجسادهم، وهو ما لم يكونوا يتوقعونه. وتقول المصادر بأن ثمانية منهم سقطوا قتلى فوراً عدا الجرحى ما أدى إلى إرباكهم وفرارهم مذعورين.

في اليوم التالي اتصل معي صديقي أحمد علُّوش وهو من الدريكيش مقيم بدمشق، وأخبرني أن الناس هنا يتناقلون أن أحد الإرهابيين ممن كانوا قرب باب الشقة فَقَدَ أعصابه وجُنَّ، فوجه نيران رشاشه إلى رفاقه على طول درج البناية وحتى الشارع، ويقال بأنه قتل منهم أكثر من عشرين إرهابياً عدا الجرحى.

بعد انتهاء المعركة وفرارهم اتصل نزار هاتفياً مع والده يخبره عن المعركة ونتائجها فسأله والده أولاً عن الطفل بِشْر، فأجابه: إنه ميت بجانبي. وعن كريم وأمه قال له: إنهما مُمَدَّدان على الأرض لا يتحركان. وعنكَ أنت ؟ قال له: يا والدي، إن دمائي تنزف من ساقيَّ الاثنتين... وداعاً.

ما أقسى لوعتك يا نزار وأنت تشهد موت زوجتك وولديك أمام ناظريك وسط آلام جراحك ؟! لكنك بشجاعتك ورجولتك واستبسالك أنقذتهم، وأنقذت نفسك من رؤيتهم يُقتلون ويُقطَّعون.

كانت كلمات نزار لوالده آخر كلامه في هذه الدنيا. وعندما حاول شقيقه العقيد سعيد بعد ذلك التحدث إليه فشل ولم يجبه.

وفي الصباح أوعز والد نزار (أبو سعيد) بفتح صالة العزاء، وأخبر جميع من حضروا بما جرى. وفي مساء ذلك اليوم

شاهدتُ المحلّل السياسي والاقتصادي الدكتور حيَّان سلمان على شاشة الفضائية السورية يتحدث عن بطولة نزار وعائلته، ويبدو أنه كان على معرفة شخصية به. ومما قاله فيه: إن نزار حسن أبدع لنا أسلوباً بالمقاومة جدير به أن يحتذى. كما أنه جدير بأن يطلق عليه لقب (الأسلوب النزاري في المقاومة).

في صباح اليوم التالي جئتُ الصالة معزياً، فالتقيت مصادفة بمحافظ اللاذقية أحمد الشيخ عبد القادر على رأس وفد حكومي رسمي، ممثلاً رئيس الجمهورية العربية السورية وحكومتها لتقديم التعازي بالشهداء. فألقيتُ قصيدة شعرية حول الشهادة والشهداء، ونقلت للحاضرين بعض حديث الدكتور حيَّان سلمان حول الموضوع.

وبعد أربعين يوماً أي في ٢٠١٤/١/٢٤ أقيم لهم حفل تأبيني في المركز الثقافي العربي بجبلة (وكان ذلك قبل الدفن الذي تم بتاريخ ٢٠١٤/٩/٢١ بعد تحرير مدينة عدرا العمالية). دُعيتُ للمشاركة بذلك الحفل مع كوكبة من الأدباء والشعراء، فشاركت بقصيدة شعرية استوحيت بعض أفكارها من لقاء أجراه التلفزيون العربي السوري مع الأستاذ نُمير محلاّ ابن أخ

المهندسة الشهيدة ميسون محلاّ زوجة الشهيد نزار، وأعادت بثه جميع المحطات الفضائية السورية الرسمية والخاصة عشرات المرات كاملاً أو مقاطع مختصرة منه. يتحدث في حديث هاتفي طويل مع عمته في نفس النهار الذي سبق ليلة استشهادهم، وفيه تصف له مشاهداتها عبر نوافذ بيتها عن جرائم الإرهابيين. وقد أخبرته أنها وأسرتها قرروا المقاومة حتى الاستشهاد، وأنهم لن يمكنوا الإرهابيين منهم وهم أحياء.

والقصيدة بعنوان (...سوريا الإطارُ).

ومطلعها:

يَحَارُ المرءُ تَوْصيفاً يَحَارُ	**بما أَبْدَعْتَ فِعْلَهُ يا (نزارُ)**

وعن ميسون:

فميسونٌ لها مِن إرْثِ جَدٍّ	**كؤوسٌ بالطهارةِ إذْ تُدَارُ**
تماسَكَتِ المهندسةُ اقْتِداءً	**فما ارْتَعَشَتْ، وما اخْتَلَّ الوَقارُ**
فَلِابْنِ أخيها تهزأُ مِن وَعيدٍ	**و(قَرَرْنا)، تَصيحُ، هو القَرارُ**
(وَداعاً يا حبيبي، سَامِحُونا	**فليس سِوى إلى اللهِ الفِرارُ)**

ولكن، لماذا قاربتُ الموضوعين؟ وما أوجه المقاربة بينهما؟

في المصطلح: **هناك**: يعني في قضية سلمان.

هنا: يعني في موضوع نزار.

أوجه المقاربة:

١-**هناك:** كان يوجد ظالم ومظلوم. فالظالم هوالسلطةالحاكمة،والمظلوم هو الشعب.

وهنا: كان يوجد ظالم ومظلوم. فالظالم هو المجموعات الإرهابية من الداخل السوري، ومن معظم دول العالم التي تدعمهم أنظمتها السياسية السلطوية تمويلاً وتسليحاً وتدريباً، وتؤمّن لهم الغطاء السياسي والرعاية والحماية في المحافل الدولية، وفي المنظمات الرسمية العربية والإقليمية والدولية، كجامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومجلس الأمن الدولي ومنظمات الأمم المتحدة المختلفة.أما المظلوم فهو الدولة السورية، شعباً وقيادة وجيشاً ومؤسسات، لأنهم جميعاً في خندق واحد.

٢. **هناك:** شهداء غير معترف لهم بشهادتهم !!

يقول رسول الله (ص): (مَن مات دون مالِهِ أو عِرْضِهِ أو أرضِهِ فهو شهيد) إن سلمان مات بالإضافة لما ذُكِر . دفاعاً عن أهله وأبناء عشيرته الغسّانية، وعن فقراء قومه العلويين، وعن فقراء

ومظلومي وطنه السوريين. وعبر هذا المفهوم التوصيف فهو شهيد حقاً. لكن ما سحب البساط من تحت قدميه كان تراكم رواية السلطة التي اتّهمته بالتّمرّد، والخيانة الوطنية، وممالأة المستعمر الأجنبي، وادعاء الربوبية، وإشاعة الفوضى وزعزعة الأمن...الخ وتكرار هذه التهم جعلها تستقر في وجدان الناس كأنها مُسلَّمات حقيقية، وبديهيات لا تحتاج إلى براهين، على مبدأ ((رواية الحاكم صائتة، ورواية المحكوم صامتة))[1].

وهنا: شهداء ملأت الآفاق أخبارُ استشهادهم والافتخار بهم.

وجميعهم (هنا وهناك) لُفَّت جثامينهم بعلم الوطن. وهل يُلفُّ به مَن لا يستحق هذا الشرف؟![2]

٣ . **هناك:** دَفْنٌ بلا تشييع.

وهنا: دَفْنٌ بتشييع يزحم المداءات.

---

(١) شعاع، ص ٣٥

(٢) البحث عن الحقيقة . منذر الموصلي ص ٢٣٣

٤ . **هناك:** قبور مجهولة المكان. ويشاع بأنها في مكانٍ ما من أراضي جبل قاسيون الواسعة الشاسعة[١].

وهنا: قبور صارت مزاراتٍ تُقصد للتبرك.

٥ . **هناك:** محافظ على رأس قوى عسكرية، ممثلاً رئيس الجمهورية والحكومة في قتل شعبه وسبيه وإذلاله[٢].

وهنا: محافظ على رأس وفد حكومي رسمي، ممثلاً رئيس الجمهوريةوالحكومة في تقديم التعازي بالشهداء، والمواساة لشعبه.

والسؤال الآن: لماذا جرى هناك ما جرى ؟! ولماذا جرى هنا ما جرى ؟!

الجواب: ببساطة شديدة، لأن :

٦ . هناك: كانت تقود البلاد حكومة غير وطنية، تضطهد شعبها، وتعمل عكس مصلحته.

وهنا: تقود البلاد حكومة وطنية متماهية مع شعبها، لا تعمل إلّا بما يخدم مصلحته، ووفق رؤاه.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٧ت

(٢) شعاع قبل الفجر . أحمد السياف ص ١٦٥

حكام سورياوسياساتهم في الجبلين:

إن جميع رجالات الحكم في سوريا إبان الاستعمار الفرنسي لها بين عامي ١٩١٨ــــ ١٩٤٦م كانوا من مواليد فترة الاستعمار العثماني للبلاد، وكانوا بمعظمهم يعودون في أصولهم إلى عائلات تركية إقطاعية زرعها المستعمر العثماني في بلادنا. بل كان بعضهم من أحفاد ولاتهم وباشاواتهم وإقطاعييهم. وتلقوا علومهم الأولى ومعارفهم وثقافتهم في مدارسه، ووفق مناهجه القائمة على تعظيم الخلافة الإسلامية (العثمانية). لذلك فهم لم ينسجموا مع المجتمع السوري، ولم ينخرطوا فيه، ولم يتزاوجوا معه، بل بقوا منعزلين عنه في لوبيات خاصة بهم. يتعاملون مع المجتمع السوري بفوقية مفرطة، وينظرون له نظرة دونية مجحفة حمقاء. فالسوريون عندهم فلاحوهم وخدمهم وعبيدهم وخرطوش بنادقهم.. ليس إلا.لهذا كان واضحاً في أدائهم اليومي لممارسة السلطة وعملها انحيازهم شبه المطلق لتحقيق مصالح الدول الخارجية في بلادنا، وخاصة الدول الغربية منها، وعلى الأخص فرنسا وبريطانيا اللتين خرجتا من الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ١٩١٨) كأقوى امبراطوريتين في العالم، وخاصة في منطقتنا

العربية وما حولها، أي ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط. وكان ذلك على حساب المشاعر القومية (العربية)، والمصالح الوطنية (السورية). متخذين من الأسماء الطنّانة والبراقة لأحزابهم وتنظيماتهم واجهات خادعة جذّابة لتضليل الجماهير مثل: الكتلة الوطنية، وحزب الشعب...وغيرهما. كما عبّروا بسلوكهم اليومي أنهم غارقون حتى آذانهم بالثقافة الدينية الرجعية العثمانية المتخلفة، القائمة على التعصب الطائفي، المعتمدة مبدأ إلغاء الآخر المخالف. عاملين على إعادة (الخلافة) الإسلامية كما يزعمون. وهذا ما بدا واضحاً في طريقة تعاملهم مع سكّان جبال العلويين وجبل الدروز.

إنّ طريقة تعاملهم مع الثائر الوطني سلمان المرشد وإعدامه، والمراحل التي مرّت بها قضيته، كان تعاطيهم معها أبعد ما يكون عن تعاطي رجال الدولة المسؤولين. ثم إنهم بعد تمكّنهم منه بأساليب الكذب والمكر والخداع والاحتيال، والتّفلّت من قيود الأخلاق والضمير والشرف، انقضّوا . بعد إعدامه . كالذئاب المفترسة الجائعة على أبنائه وأهله وأتباعه ومريديه وأبناء عشيرته، تنكيلاً وتعذيباً وتسفيهاً وإذلالاً ونهباً وإفقاراً،

فكأنهم ليسوا مواطنين في وطنهم، ولا يستحقون العيش أعزة في بلادهم، وعلى ثرى وطنهم.

فبماذا يختلف سلوكهم هذا مع أناس يفترض أنهم مواطنون وهم يقودونهم، عن سلوك الإرهابيين المتعددة أسماؤهم ومرجعياتهم، كداعش، وجبهة النصرة، وجيش الفتح وغيرها مع المواطنين السوريين كافة بدءاً من ٢٠١١/٣/١٥م وحتى ما شاء الله ؟!

وأرادوا أن يكملوا في جبل العرب (الدروز) ما بدؤوه في جبال العلويين. فخلقوا فتنة كادت أن تدمر الجبل وأهله عام ١٩٤٧م متقصدين هدم ذلك الصرح الشامخ الذي بنى لهم مجداً بحجم الكرامة إن كانوا يستأهلون أن يدعوا سوريين. ذلك السلطان العظيم الذي لا يشبه سلاطين سادتهم ومعلّميهم في شيء. ذلك الأطرش السَّمّاع الذي قاد السوريين، كل السوريين الشرفاء في ثورة عارمة بين عامي (١٩٢٥ . ١٩٢٧) تحت عنوان (الثورة السورية الكبرى) ضد أساتذتهم ومشغّليهم ومستوزريهم المستعمرين الفرنسيين.

والآن إلى التفاصيل (بما أمكن من الاختصار).

١ ـ سياستهم في جبال اللاذقية:

((كان زعماء المدينة، من أصحاب المصالح، يذكون الأحقاد المتوارثة بين سكان الساحل وسكان الجبل، ما ترك انعكاساً على الرأي العام الشعبي. فعامّة الناس في المدينة تنظر بحذر وريبة إلى الجبل وكأنه غابة غيلان، إنسانه فرد قذر يمثّل الخيانة والعمالة والإلحاد. معتبرة المدينة رمز الفداء، ومن حقها استباحة الجبل عِرضاً ومالاً باعتباره مركزاً لتسويق الجواري والغانيات. وكأن ذلك حكم أزليّ جعل أبناء المدينة سادة، وسكان الجبل عبيداً وجواري))[١].

هذا ما عرفه أحمد السياف بعد قدومه إلى اللاذقية، وهذا ما قاله. كما أنهم كانوا يعملون جاهدين حتى على تهجيرهم وطردهم من بلادهم وبلاد أجدادهم، من جبالهم التي جاءها كثيرون منهم مُهجّرين من حلب (أصلاً) في عهد السلطان العثماني سليم الأول مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وما بعده. فها هو جمال علي أديب، نائب جبلة في البرلمان السوري، وأكبر الملاّكين بالمحافظة، يخاطب العلويين في

(١) شعاع قبل الفجر . أحمد السياف . ص ١٥١

تصريح يقول فيه: ((إننا سنرصد ملايين الليرات لترحيلكم وتشريدكم من هذه الجبال...))[1].

وكانت سياسة إحسان الجابري[2] (الذي شغل منصب محافظ اللاذقية بين عامي ١٩٣٧ . ١٩٣٩) في إدارة المحافظة مدعاة لسخط العلويين. لذلك وجّه له الشاعر حامد حسن على صفحات جريدة (صوت الحق) رسالة قال فيها: ((نحن غرباء في وطن آبائنا)) وأن الجابري قد قام بـ ((مراعاة الطائفية)).وأنهى حامد حسن رسالته ((أنكون غرباء في وطن الآباء والأجداد؟ أنكون دخلاء غير مرغوب فيهم ؟!))[3].

ثمّ تمادى المحافظ الجابري أكثر، فاعتقل عدداً من نواب المحافظة الموقعين على وثيقة الوحدة التامة اللامركزية إدارياً. فقام النائب سلمان المرشد بالاستيلاء على مزرعة (سطامو)، وتوجيه رسالة إلى المحافظ باسم زعماء العلويين، يأمره فيها بمغادرة محافظة اللاذقية، فغادرها بسرعة[4].

---

(١) شعاع، ص ٢٥٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٣، نقلاً عن جريدة (صوت الحق ٣ ت٢، ١٩٣٨)

(٤) المصدر السابق ...

من هنا نتفهّم أيضاً مثابرة الإقطاعي عبد القادر شريتح، الذي أصبح زعيماً مهماً في اللاذقية بعدما سحبت فرنسا بساط الزعامة من تحت أقدام عائلة آل هارون الوطنية وأهدتها له، ثابر على الافتراء على سلمان والوشاية به، (لأن سلمان كان خارج سيطرته، وكان عبد القادر شريتح يخشاه)[1] وكانت السلطتان المركزية في دمشق والفرعية في اللاذقية تراعيانه كثيراً وتحابيانه على حساب سلمان وأهل الجبال خاصة، وسكان المحافظة عامة، ما استدعى **عقد مؤتمر في قرية (نقورو)** حضره معظم زعماء المحافظة ووجهائها من علويين وسنيين لإظهار امتعاضهم من سلوك السلطة الإدارية تجاه المحافظة. وقد مثّل فاتح المرشد والده سلمان فيه.وفي نهاية المؤتمر أرسل المؤتمرون مذكّرة مطوّلة ومفصّلة عن مطالبهم بتاريخ ١١ نيسان ١٩٤٦إلى المؤسسات الرسمية بدمشق يوضحون بها إهمال رجال السلطة لمحافظتهم، ومنها نسخة إلى رئيس الجمهورية شكري القوتلي أورد منها المقطع التالي:

---

(١) على محك الفكر . عبد الكريم قميرة . ص ٢٥.

((يا صاحب الدولة:

إننا نطلب منكم عدلاً وحقاً، لا إحساناً ولا منّة. نطلب أن تحقّق الدولة في عهدكم الغاية من وجودها. نطلب أن نعامل بأحكام كتاب الله، لا بأحكام الغرض المريض، نطلب عدلاً إنسانياً، وعدلاً اجتماعياً، وعدلاً حقوقياً. نطلب أن يُحترم الدستور الذي تُخرَق، ويا للأسف، حرماته صباح مساء. نطلب أن تسلكوا بهذه البقعة السورية سياسةً قوميةً عربيةً صحيحة، لا حزبية ولا طائفية. ونرجوكم أن تعتقدوا أن البلاد قد تعبت من هذه المآسي. فهل يلاقي نداؤنا في الضمائر صدى؟!

قال تعالى: ((أمّا الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض..)) .[1]

وقد وقّعه كل من: إبراهيم الكنج، عزيز هواش، نوري الحجي، الشيخ إبراهيم صالح ناصر، سعيد درويش، خيري صقر خير بك، منير العباس. والمحامين: محمد الفاضل، وماجد صفية،

---

(1) شعاع قبل الفجر ص ٢٥٤ .

وعبدالله المحمودي، والشريف زين العابدين، والشريف فضل[1].

وكان سبق أن رفعوا مذكرتين احتجاجيتين شديدتي اللهجة، بسبب سوء الإدارة وتصرّف المسؤولين. ((الأولى باسم (لجنة القوميين العرب) تحت عنوان (أما لهذا الليل من آخر؟) في شهر آب عام ١٩٤٥. وقد وقّع عليها عدد من الزعامات العلويّة والسّنيّة. وهم وفق الصفات التي عرّفوا أنفسهم بها:

١ . سلمان المرشد (زعيم عشائر الدراوسة والمهالبة والعمامرة، ونائب قضاء الحفة).

٢ . إبراهيم الكنج (زعيم عشائر الحدادين، ونائب رئيس مجلس المحافظة).

٣ . عزيز الهوّاش (زعيم عشائر المتاورة والنميلاتية، ومحافظ لواء دمشق سابقاً).

٤. منير العباس (زعيم عشائر الخياطين، ونائب قضاء صافيتا).

٥ . نوري الحجي (زعيم الأكراد، ونائب قضاء الحفة)

٦ . محمد أمين رسلان (زعيم عشائر الرسالنة، ونائب قضاء صافيتا).

---

(١) شعاع، ص ٢٤٧ .

٧. الشيخ إبراهيم صالح ناصر (نائب قضاء بانياس).
٨. سعيد درويش (نائب قضاء تلكلخ).
٩. خيري صقر خير بك، ونديم إسماعيل، وسليمان أسد (زعماء عشائر الكلبية).
١٠. المحامون: ماجد صفية، والشريف زين العابدين، والشريف فضل (زعماء الجبهة الوطنية في مدينة اللاذقية).

والمذكرة موجهة إلى (معالي محافظ جبل العلويين الأفخم مظهر باشا رسلان)[١].

أمّا المذكرة الثانية فقد وقّع عليها الموقّعون على المذكرة الأولى. وتم توجيهها أيضاً إلى المحافظ بتاريخ ٨ تشرين الأول ١٩٤٥. وهي تنحو كذلك منحى ما سبقها من إظهار سوء إدارة رجالات السلطة، وإظهار مفاسدهم، وتقصيرهم بحق المواطنين، وسلوكهم الطائفي والعشائري المقيت. ((كل هذا ليس إلا امتداداً طبيعياً لسياسة التنكيل والتمزيق والانتقام التي ذاقت منها هذه المحافظة الأمرَّين خلال العهدين العثماني والانتدابي))[٢].

---

(١) شعاع، ص ٢٥٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦

وبالرغم من كل هذا الحراك الشعبي الذي كان يقوده ويتولاه قادة الشعب ونوابه وزعاماته، وما ذُكر ووُثِّق بعضٌ يسيرٌ جداً ممّا لم يُذكَر ولم يُوثَّق . فإن سلوك رجال السلطة والحكم لم يتغير تجاه شعب المحافظة، ولم يقيموا أي وزن لمشاعر الناس ومصالحهم وكراماتهم. إن وجود مثل هذه المذكرات والعرائض وأمثالها يعكس حالة التململ التي كان يعيشها سكان المنطقة الساحلية عموماً، وأهل الجبل خصوصاً، من ظلم حكامهم وعتوّهم وعنجهيتهم. فكأن هذا العهد الموسوم (بالوطني) امتداد لحكم الاستعمارين العثماني والفرنسي.

ومن اللافت أن سلمان المرشد كان دائماً على رأس كل حراك شعبي يبغي تحقيق مصالح الجماهير الشعبية الفقيرة، كما يتّضح من جميع الوثائق التي اطّلعنا عليها، والتي تحكي عن تلك المرحلة من تاريخ سوريا.

لكن، وبالرّغم من كل ما ذُكِر، فإنهم عندما أتمّوا فَتْلَ الخيوط، ونشرَ الحبائل، وجَدْلَ الحبال، قرروا الانقضاض.

سعد الله الجابري يضلّل أحمد السيّاف[1].

يقول السياف: أيقظني رنين الهاتف لأسمع صوت (النائب) علي الحيَّاني يقول: إن رئيس الوزراء سعدالله الجابري حدَّد لك الساعة العاشرة موعداً لمقابلته، والساعة الآن الثانية. وما إن دخلنا عليه، الحيَّاني وأنا، في قاعة رئاسة الوزراء حتى صاح بي: (إن الوطن يدعوك فَلَبِّ النداء).

قلت: وماذا هناك ؟

قال: إن فرنسا تخرج من الباب وتحاول العودة من الشباك. إن جيوشها التي جَلَت عن سوريا إلى لبنان، جاء الدور لتنسحب منه. وهي تعمل لعقد اتفاق مع سلمان لإعادة كيان دولة العلويين، وعلى أن تعود جيوشها الموجودة في لبنان للتمركز في جبال العلويين بكامل رجالهم وسلاحهم وعتادهم تحت راية سلمان. أنت تعلم أننا الآن أضعف من أن نقاوم مخفراً، فما بالك بمقاومة جيوش كانت تحتل سوريا ولبنان إذا ما تجمعت متمركزة في جبال العلويين ؟

فقلت: وماذا تريدنـي أن أفعل الآن، وقـد عملتُ مـع مظهر رسلان (المحافظ) لتقريب سلمان، فيضع كافة إمكانياته تحت تصرفكم ؟وقد لبّى النداء أكثر من مرة، لكن زعماء المدينة قاوَموا حركتنا، واضطر مظهر للانسحاب.

قال:((لا تسأل عنهم، يقطع عمرهم، لقد دلّلتهم فرنسا أكثر من اللازم بشكلٍ ما عدنا نعرف كيف بدنا نرضيهم؟!)).

وتابع الرئيس قائلاً: ((والآن فإن بلادك بحاجة إلى تدخلك السريع للحيلولة دون اتفاقهم مع سلمان)).

قلت: ((وماذا تريدني أن أعمل مع سلمان، وكما ذكرت لك موقف زعماء المدينة منه ؟)) هنا انتصب سعد الله واقفاً وقال بصوت مرتفع يحمل الكثير من الألم والمرارة: ((أنا بصفتي رئيس الوزراء، وبصفتي سعد الله الجابري، أقسم بشرفي أن أصدر عفواً عن سلمان وزوجة سلمان وأبناء سلمان، وكل من يمّت بصلة إلى سلمان، بعد انتهاء دورة المجلس النيابي، وحصول الحكومة على سلطة إصدار المراسيم الاشتراعية. أنت الآن مسؤول عن سلمان وعن فاتح وعن أم فاتح وعن الجبل كله. أما أبناء المدينة فكما قلت لك لا تسأل عنهم)).

للحال، وخلافاً لعادتي أجبته: ((الآن أقول لك ولأول مرة: أنا جندي (رافعاً يدي بتحية عسكرية)) ثم سألته عن شخصية المحافظ الذي سيعيّن في اللاذقية، فأجابني: ((كل من يأتيها هو أنا)). فصافحته مودعاً[١].

ويتابع أحمد السياف فيقول: ((وفي طريقي إلى اللاذقية زرت في بيروت المدير العام للريجي (كوتورييه) وهو فرنسي. وكان ضد تدخلي في قضية سلمان خاصة، وبالسياسة عامة، ونصحني بأن لا أثق بالسياسيين. وقَصَّ عليَّ حديثاً مضمونه أن الجنرال ديغول (قائد القوات الفرنسية (الحرة) الساعية لتحرير فرنسا من الاحتلال الألماني إبان الحرب العالمية الثانية) عندما انتقد تصرفات المستر تشرشل (رئيس وزراء بريطانيا آنذاك) التي لم تُقِمْ وزناً لآراء الجنرال، أجابه تشرشل: ((إنك تتصف بصفات الزعامة، ولكنك لا تتصف بصفات السياسيين، ذلك أن السياسة عاهر، وأنت لا تحسن صناعة العهر)).

فأجبته: ((ولكنها بلادي تتطلب مني التضحية))[٢].

---

(١) شعاع قبل الفجر ص١٤٤ و١٤٥ .

(٢) شعاع، ص ١٤٥ .

هذه بعض النماذج من ثقافة قيادات ومسؤولي ذلك الزمان من أبناء المدينة.

تعليق:

استهوتني كثيراً حكاية استدعاء رئيس الوزراء سعد الله الجابري لأحمد السيّاف مدير الريجي باللاذقية لمقابلته فوراً وسريعاً، فقرأتها بتمعن، وأعملتُ تفكيري بكل كلمة قالها رئيس الوزراء، وبكل حركة تخيلته يفعلها وقدَّرتُها تمثيلاً. فقررتُ إدراجها في سياق كتابي هذا (مختصرة ما أمكن تجنباً للإطالة المملة) تحت عنوان: (سعد الله الجابري يضلّل أحمد السيَّاف) لكن ما لم يدر بخلدي . بدايةً . قيامي بالتعليق عليها بنفسي، لأنني كنت أقدر أن هذا شأن القارئ الكريم، لأن لكلٍّ رأيه وأسلوبه وطريقته في القراءة والكتابة والتعليق... وغير ذلك.

لكنني قررت أخيراً التعليق عليها بنفسي إرضاء لرغبتي، وإشباعاً لفضولي، فعساني أقدم بهذا خدمة متواضعة للقارئ الكريم.

. فلنبدأ باختيار توقيت زمان المكالمة: الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وما يتركه إيقاظ النائم من نومه في هذا الوقت المتأخر من الليل، من تأثيرات نفسيّة عليه تفكيراً

وسلوكاً. ثم الوقت القصير المعطى له (٨ ساعات) فقط، عليه أن ينتقل خلالها من اللاذقية إلى دمشق، بسيارة ذلك الزمان، وعبر طريقه. وأنا شخصياً أقدّر أن الرحلة كانت تحتاج كامل هذا
الوقت.وهكذا تمت برمجة الاتصال.

٢ . لمقابلة مَن؟! لمقابلة رئيس الوزراء، أي الشخصية الثانية في البروتوكول السياسي للدولة بعد رئيس الجمهورية، والشخصية الأولى في السلطة التنفيذية للدولة.

٣ . ولكن، ما دواعي هذا الطلب في هذا الوقت ؟! لم يجبه عن هذا السؤال، ولم يذكر له شيئاً حوله ولكن بالتحليل، يقدّر المرء أن الأمر هام جداً وخطير. ولاشك أن السياف وضع أثناء مسيره تخمينات كثيرة لمواضيع عديدة.

٤ . ولحظة دخول السيّاف وعلي الحيَّاني قاعة رئاسة الوزراء، تلقى السيّاف الصدمة الأولى من الرئيس: (حتى صاح بي). لك أن تتخيل صياح رئيس الوزراء بصديقه السيّاف، دافعاً في وجهه الورقة الأغلى على قلبه، والأسمى في حياة الإنسان الوطني السوي: (إن الوطن يدعوك فَلَبِّ النداء).

وهنا يمارس الضغط عليه بحالتين: حالة الصياح، ولبس بالكلام الهادئ. ومصلحة الوطن. فيندهش السيّاف ويسأل: وماذا هناك؟! فيجيبه الرئيس: إن فرنسا التي خرجت من باب سوريا، تنوي العودة من الشباك عبر (صديقك) سلمان لإحياء كيان دولة العلويين. ونحن الآن أضعف من أن نواجه مخفراً، فما بالك بمواجهة جيوش كانت تحتل سوريا ولبنان ؟!

فقال السيَّاف: ((وماذا تريدني أن أفعل الآن ؟! وقد سعيت والمحافظ مظهر رسلان مع سلمان للتصالح معكم، وفي كل مرّة كان يلبي دعواتنا، لكن زعماء المدينة كانوا يخرِّبون عملنا)).

إذن، يقولها السيَّاف صريحة واضحة: لم يكن سلمان يوماً ضد المصالحة الوطنية، ولا ضد التفاهم مع الحكومة ومع الدولة. بل كان زعماء المدينة هم مَن يعطلون المساعي لهذه المصالحات. فيجيبه الرئيس: ((تجاوزهم، يقطع عمرهن دلَّلتهم فرنسا أكثر من اللازم...)).

(دلّلتهم فرنسا)، يقولها رئيس وزراء سوريا معترفاً بها، وهو العارف بخفايا الأمور بحكم موقعه. فهل يسمع الآن مَن يقولون بأن فرنسا كانت تدلّل سلمان ؟.

٥ . وعندما قال السيّاف: ((وكيف أقنع سلمان بعد كل ما فعله زعماء المدينة معه ؟!)).

انتصب رئيس الوزراء واقفاً وقال بصوت مرتفع كي يثق السيّاف بصدق ما سيقول: ((أنا بصفتي رئيس الوزراء، وبصفتي سعدالله الجابري، أقسم بشرفي أن أصدر عفواً عن سلمان وزوجته وأبنائه، وعن كل ما يمت له بصلة...)).

فهو بصفته رئيس الوزراء، أقسم بشرف سوريا الدولة. وبصفته سعد الله الجابري، أقسم بشرفه الشخصي.

وهنا تلقى السيّاف الصدمة الثانية (الإيجابية)، فصدَّق ما سمع، واعتبر نفسه جندياً، ورفع يده مؤدياً التحية العسكرية لرئيس الوزراء شاكراً إنعامه.

إن تأكيد رئيس الوزراء للسيّاف بضرورة تجاهل زعماء المدينة، والعفو الذي وعد بإصداره عن سلمان وجماعته، أوحى له أن انقلاباً حكومياً حصل تجاه قضية سلمان وأمور المحافظة كافة. وعندما أجابه الرئيس عن اسم المحافظ الذي

سيعيّن للاذقية بقوله: ((كل مَنْ يأتيها هو أنا))، هذا يعني أنه كان ممسكاً، شخصياً، بملف محافظة اللاذقية كاملاً، وأنه مسؤول عن كل ما يجري فيها.

ويغادر السيافُ دمشقَ مرتاح البال مطمئناً.

٦ . ولكن ربما كان أهم درس أخذه من (كونتوربيه) مدير عام الريجي في بيروت هو نصيحته له بعدم الوثوق بالسياسيين. وربما كان يحتاجها في تلك اللحظة أكثر من أي وقت آخر، وقول تشرشل لديغول: ((إن السياسة عاهر، وأنت لا تحسن صناعة العهر)). ثم يصل السيّاف إلى اللاذقية، ويتصل مع سلمان، وينجح في مهمته. غير أن سعدالله حنث بقسمه، وكذب، ولم يف بوعوده وعهوده. وهنا يتلقى السيّاف الصدمة الثالثة (السلبية) وخاصة عندما كُلِّفَ من المحافظ عادل العظمة بنقل رغبته بتناول طعام الغداء، ومعه زبانيته، إلى مائدة سلمان في بيته بالقرية يوم الجمعة ١٣ أيلول ١٩٤٦. وهنا استخدموا السيّاف طعماً للإيقاع بصديقه سلمان، من حيث لا يدري.

ولو جاءنا اليوم مَن يفهم بصناعة (العهر السياسي) لقال لنا: إن سعدالله الجابري لم يحنث بقسمه، ولم يستهن بشرفه

وشرف بلاده، بدليل أنه وعد بإصدار العفو عن سلمان وجماعته بعدما تنتهي مدة الدورة البرلمانية للمجلس النيابي.
وبما أنّ مدتها أربع سنوات، وأن المجلس النيابي عقد جلسته الأولى لهذه الدورة بتاريخ ١٧/آب/١٩٤٣، فإن دورته تنتهي بتاريخ ١٦/آب/١٩٤٧. وبما أن سلمان لم يعش حتى ذلك التاريخ، لذلك فإن سعد الله في حِلّ من قسمه!!! ولو أنه استبدله بالغدر والكذب والتضليل والافتراء حتى أوقع بسلمان قبل حلول موعد قَسَمه.

ومن الجدير بالذكر أنّ سعد الله الجابري نفسه لم يعش حتى ذلك التاريخ أيضاً، إذ إنّه توفي مريضاً بتشمع الكبد بتاريخ ٢٠/حزيران/١٩٤٧، أي بعد إعدام سلمان بستة أشهر فقط[1] وقبل انتهاء الدورة البرلمانية بستة وخمسين يوماً فقط أيضاً.

وأنا هنا أتفهّم حسرة الرجل الوطني أحمد السيّاف عندما (قارن بين قسَمَ الشرف لرئيس وزراء سوريا الجابري، وقَسَم الكولونيل الفرنسي (فوان) يوم جاء إلى الزعيم إبراهيم هنانو

(١) شعاع قبل الفجر ص ٩١ و ١٨٣

ودعاه لاجتماع يُعقد في قرية (كورين) كزعيم للثوار، مع الجنرال الفرنسي (غوبو)، وموقف الكولونيل من الجنرال عندما راودته فكرة الاحتفاظ بهنانو كأسير بقوله:

((سيدي الجنرال، لقد أقسمتُ له بشرف فرنسا العسكري ألّا يمسه سوء، ونحن مُلزمون بما تعهدت به)).

هل يمكن لسعدالله تلميذ هنانو وخليفته أن ينكل بما أقسم عليه ؟...الخ[1].

ونظراً لأن جلاء آخر جندي فرنسي عن سوريا تم بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٤٦م، فإنّ لقاء السياف مع سعد الله . موضوع حديثنا . تمَّ بعد هذا التاريخ، والسياف لم يذكر تاريخ هذا اللقاء. وبما أن الغدر بسلمان والقبض عليه تمَّ بتاريخ ١٣ أيلول ١٩٤٦م، أي بعد أقل من خمسة أشهر على الجلاء، فإنني أعتبر بالتحليل والاستنتاج أنه في ذلك اللقاء زرع سعدالله الجابري أولى خشبات مشنقة سلمان، وآخر فصول المستقبل السياسي لأحمد السيّاف.

(١) شعاع، ص ١٦٦.

٢. سياستهم في جبل العرب:

بعد تجربتهم في جبال اللاذقية، وصراعهم مع سلمان المرشد حتى تمكنوا منه، أرادوا أن يستفيدوا من هذه التجربة في جبل العرب، فلا يكرّرونها بنفس الطريقة والأسلوب، فطرح الرئيس شكري القوتلي أفكار سياسته القائمة على جعل الجبل ((يطيح نفسه بنفسه))[١].

الفتنة التي افتعلها حكام سوريا في جبل العرب:

يقول أحمد السيَّاف عن إحدى جلساته في بيت الآنسة عفيفة صعب في مدينة عالية بلبنان ما يلي:

((... وفي ليلة ريحها صرصر، غزيرة المطر، تحلّقنا حول الموقد التي راحت شقيقتها فطينة تُلَقِّمُها بالخشب لتدفئ شَيْخَيّ العقل والمذهب (الدرزيَّيْن) الموجودين في مجلسها. وإذ بضابط برتبة ملازم أول في الدرك السوري يدخل القاعة مبلَّل المعطف والسدارة ألتقي به للمرة الأولى، هو هلال رسلان، صهر عفيفة، وقائد درك قضاء شهبا ((والذي أصبح فيما بعد محافظاً لحلب، ثم سفيراً لسوريا لدى جمهورية الصين الشعبية)). وعندما استقر به المقام راح يحدّث الحاضرين عن الاقتتال الدائر في السويداء والجبل بين أمراء آل الأطرش

(١) شعاع، ص ٢٨٦ .

وأبناء الشعب بقيادته، وأنه قَدِمَ إلى عالية لقضاء أسبوع يعود بعده إلى دمشق لاستلام خمس مصفّحات سيضعها تحت تصرفه وزير الداخلية جميل مردم ليفتك بالأطارشة))[1].

عندما وصل إلى هذا المقطع من الحديث تململ الشيخان، وبادرت عفيفة بلهجتها الحازمة، ونبرات صوتها القائدة الرائدة قائلة: ((إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا)). وراحت تُردِّدُ ما كُلِّف به أحمد السيَّاف من أداء شهادة مزوَّرة تُلصق الخيانةَ بسلمان، وتُبرِّرُ حكمه بالإعدام، لأن العناصر الجرمية غير كافية لإصدار مثل هذا الحكم، وليجعلوا منه عبرة لسلطان والجبل، والصحراء وشيوخها، والمعارضة. ((اقطع إجازتك يا هلال، وعُد إلى الجبل، وقل لأبناء معروف، قالت عفيفة: إن حكام دمشق وعلى رأسهم شكري القوتلي يريدون ضرب مواطن القوة في هذه الأمة وعلى رأسها جبل العرب ليتسنى لهم حكم البلاد حكماً ديكتاتورياً. فاغمدوا السيوف، وارفعوا الرايات البيض. تحابُّوا وتعانقوا ودافعوا عن جبلكم بحيث لا يصل رأس شكري إلى موطئ قدم سلطان)). ثم اتجهت نحو الهاتف طالبة إرسال تاكسي يُقلُّ هلال إلى دمشق في أوّل رحلة صبيحة اليوم التالي.

(١) شعاع، ص ٢٨٦ .

وفي الليلة الثالثة من لقائنا أذاع كل من راديو دمشق ولبنان نبأ المصالحة وانتهاء الفتنة بين الأشقاء وأبناء العمومة في الجبل. وعُيّن الأستاذ عارف نكدي محافظاً للسويداء. وحافظ الجبل على وحدته، وبقي زعيمه سلطان سلطاناً وقائداً عاماً للثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ إلى أن وافته المنية بتاريخ ٢٦/آذار/١٩٨٢م.

وستراً للخطيئة الكبرى أمر القوتلي ببناء قصر فخم في دمشق شيده في شارع بغداد كهدية لسلطان باشا الأطرش، ربض على جانبيه أسدان نُحتا من الرخام كحارسين له. لكن سلطان (رفض الهدية) وأبى أن يستبدل القريّا بدمشق))[1].

كانت هذه الفتنة في عام ١٩٤٧، أي بعد قضائهم على سلمان في جبال اللاذقية بفترة وجيزة. وبموجب مخطّطهم مسبق الصنع، فقد جاء دور سلطان باشا الأطرش لتصفيته في جبل العرب.

ولكن مَن هي الآنسة عفيفة صعب ؟!

هذه التي تتمتع بكل هذه الصفات القيادية الوازنة ؟ وهذه الجرأة غير المسبوقة ؟ وهذا التأثير الاستثنائي على شعب جبل العرب خاصة، والشعب السوري عامة، وعلى أدباء العرب ومثقفيهم في الوطن وفي المغترب ؟!

الآنسة عفيفة صعب:

هي ابنة أحد كبار أساتذة الجامعة الأمريكية في بيروت، تحمل شهادة ماجستير في التاريخ والعلوم الاجتماعية. وهي إحدى أديبات العرب التي وصفها الشاعر أحمد الصّافي النجفي بأنّه يتحدّى شعراء العرب وأدباءهم، ولكنّه يتحاشى عفيفة.

لقد زارت الولايات المتحدة الأمريكية محاضِرةً في منتدياتها العلمية والسياسية والصحفية عن مأساة فلسطين، وكان في استقبالها على مرفأ نيويورك المغتربون العرب الذين لفتوا انتباهها إلى أنها لم تؤدِّ حسب التقاليد الأمريكية تحية الإجلال والإكبار لتمثال الحرية. فكان أن أجابت:

((أعفيفة وتجهل ذلك ؟! لقد كان بيني وبينه حديث طويل وعميق، لقد قلت له: يا تمثال الحرية، لو ملكتَ الحرية لانحنيتَ أمامي خجلاً من عبث أبنائك بحرية الشعوب))[1].

وبعد انقلاب حسني الزعيم بتاريخ ٣١ آذار ١٩٤٩ قام بتسريح مجموعة من ضباط الجيش والدرك كان منهم صهرها هلال رسلان. فانبرت عفيفة صعب تردُّ على الإجراء بتوجيه رسالة تحذير مطولة ومفصلة إلى حسني الزعيم بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٤٩ أي بعد اثني عشر يوماً فقط من وقوع الانقلاب. جاء في مطلعها: ((يا سعادة الزعيم: إن في تسريح هلال رسلان وأمثاله لنذيراً. إنه نذير بانهزام القيم كيفما تقلّبت العهود على هذه الأمة. إنه نذير انقلاب الانقلاب على نفسه، يحطم سلاحه الماضي المجلوّ وهو أحوج ما يكون إليه...

يا سعادة الزعيم: راجعوا سجل هلال رسلان لتجدوا أن سيرته في الدرك إنما هي ثورة على العتق، على الجهل، على الرشوة، على التلكؤ. سيرة فتى يعمر صدره بالمثل، وقلبه

(١) شعاع، ص ٩٢.

بالإيمان، ودماغه بالمعرفة، وساعده بالقوة، وضعها كلها في خدمة بلاده.

وانه . إذ فعل . لم يحارب من أجل عمر، بل من أجل رب عمر، وأمّة عمر. ولئن خذله اليوم عمرٌ ما، فقد خذل نفسه، وناقض نفسه...))[1]

لعبت هذه الرسالة دوراً سلبياً في نفوس أبناء جبل العرب تجاه الحكم الجديد. كما كان لها تأثير سلبي في سلوك حسني الزعيم الذي صار يحقد كثيراً على الدروز، فقد رفّع جميع الضباط ما عدا بعض الضباط الدروز، وكان منهم الملازم أول فضل الله أبو منصور.

وشكلت رسالة عفيفة صعب المسمار الأول في نعش حسني الزعيم وحكمه[2].

وهنا يقول العقيد علم الدين قواص صانع الانقلابين الأول والثاني، ومشارك في الانقلاب الثالث، وهو علوي من أنطاكية، ويحمل أقدم رتبة بين الضباط العلويين، يقول لأحمد السيَّاف: ((إن تصريحات الرئيس شكري القوتلي ورجالات

(١) شعاع، ص ١٩٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٧ .

حكمه المتكررة، عن نيته في حَلِّ الجيش بحجة أنه من بقايا الاستعمار الفرنسي، وتشكيل جيش بديل عنه (على كيفه)، هذا الجيش الذي كان العلويون يشكلون فيه نسبة كبيرة من عديده، ويشكلون مع الدروز معظم تشكيلاته وقياداته، أدّت إلى تفشي روح النقمة على الحكام في صفوف الجيش العلويين إطلاقاً، وعليه كان عكس ما توخت الحكومة من القضاء على سلمان المرشد وأتباعه، فقد تحوَّل قسم كبير من مستنكري تصرفاته إلى متعاطفين معه. وامتدت موجة العطف وتفاعلت في نفوس أبناء الجبل العلوي، كما كان لتصريحات الرئيس شكري القوتلي تلك ردة فعل تمثلت بحدوث الانقلاب الأول))[1].

وهنا فقرة يرويها أحمد السيَّاف بنفسه عما دار بينه وبين رئيس الوزراء سعد الله الجابري في آخر لِقاء جمعهما. وفيها يُظهر السيَّاف امتعاضه من أسلوب حكام البلاد في تعاملهم مع أبناء الجبليْن. لذلك قرّرت أن أنقلها كما أوردها حرفياً، وبدون تعليق[2].

(١) شعاع، ص ١٩٨.
(٢) المصدر السابق

يقول السيَّاف: ((جاءت تلك الأحداث لتؤيّد الرأي الذي أبديته في آخر مقابلة لي مع رئيس الوزراء سعد الله الجابري حيث قلت: "إنْ تلاشى العهد واستبد الحقد، وكان سلمان أكبر مجرم وسفّاك، ألّا يشفع له أنه نزل عند رغبتنا وامتنع عن التجاوب مع فرنسا في مخططاتها بالعودة إلى جبال العلويين بعد جلائها عن لبنان؟ والآن وقد جلت فرنسا عن لبنان، وتمكنتم من سلمان، افصلوا حقدكم على سلمان عن الجبل، لا تعاملوا أبناءه معاملة سلبية، بل عاملوهم معاملة إيجابية. اربحوهم بالحب لا بالقسوة. إن في البلاد قلعتين وجيشين متمرسين هما جبل العلويين وجبل الدروز يجب ربحهما بالحب. لا تشيعوا الظلم في الجبل. وخيرٌ من إقامة السجون والمخافر، شق الطرقات، وإقامة المدارس والمستشفيات، وخلق المشاريع العمرانية التي تُخرج الجبل عن انعزاليّته. أشيعوا في الجبل الخير والرحمة والعدالة. هذا فراقٌ بيني وبينك، والتاريخ حَكَمٌ بيننا)).

سار حسني الزعيم على خطى أسلافه في عدائهم لأهل الجبلين، ما اضطر صانع الانقلاب الأول العقيد علم الدين قواص للتحضير للانقلاب الثاني. فكان الملازم أول فضل الله

أبو منصور ((الذي راوده الزعيم عن نفسه ذات يوم قبل تسلمه السلطة فرفض[1]، فحرمه من حقه بالترفيع عندما صار الأمر بيده))، كان مكلّفاً بالقبض على الزعيم، نزولاً عند رغبته وإلحاحه أثناء توزيع المهام بين قادة الانقلاب ومنفذيه، ليثأر لكرامته منه، فنفّذ المهمة بنجاح، ونقله مخفوراً إلى سجن المزة حيث قُتل رمياً بالرصاص مع محسن البرازي رئيس وزرائه قبل انبلاج فجر ليلة ١٤ آب ١٩٤٩. وهذا الانقلاب كان بقيادة سامي الحناوي الذي لم تكن له مطامح سياسية. ففي اليوم التالي ١٥ آب ١٩٤٩ سلّم السلطة رسمياً إلى هاشم الأتاسي، وعاد بالجيش إلى ثكناته.

ولكن يشهد لحسني الزعيم أنه أول من اعترف للمرأة بحق الانتخاب، ولو أنه جعله مقصوراً على المتعلمات منهن. وفي عهده مُنعت ألقاب (باشا وبيك وأفندي)[2].

وقد كثر توسط الحكام العرب لدى الزعيم لإطلاق سراح شكري القوتلي من السجن، لكن الزعيم كان يصرّ على تقديم القوتلي استقالته من منصب رئاسة الجمهورية. (وقد انتخب حسني

---

(١) شعاع، ص ٢٠١ .

(٢) مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس ص ٣٠٧ .

الزعيم رئيساً للجمهورية بتاريخ ٢٦/حزيران/١٩٤٩). فكتب القوتلي استقالته على ورقة صغيرة ونصُّها: ((أقدّم إلى الشعب السوري النبيل... استقالتي من رئاسة الجمهورية، راجياً له العز والمجد))[١].

وفي ٢٠ كانون الأول ١٩٤٩ وقع الانقلاب الثالث الذي نفّذه خمسة من الضباط العقداء (برتبة عقيد) هم: عزيز عبد الكريم، توفيق نظام الدين، أمين أبو عساف، بهيج كلاّس، وعلم الدين قواص. ولم يكن للشيشكلي علاقة بما جرى، حتى ولا علم له به. لكنه استدعي من مركز عمله بعد نجاح الانقلاب. وحين قرّر العقداء إذاعة بيان مقتضب باسم حركتهم كلّفوا عزيز عبد الكريم إذاعة البيان لأنه الأقدم رتبة بينهم، والأشهر في أوساط الجيش. لكنه رفض، واقترح تكليف أديب الشيشكلي بإذاعته بصوته وهذا ما حدث[٢].

ثم زحلق رفاقه جميعاً واستأثر بالسلطة وحده لنفسه. وصبّ جام غضبه على سكان الجبليْن، ففي جبل العرب أرسل حتى الطيران الحربي فقصف مدينة السويداء ومدناً أخرى

(١) مذكرات د. عبد اللطيف اليونس، ص ٣٠٩ .

(٢) مذكرات د. اليونس ص ٣١٥ .

بالمحافظة. وفي جبال اللاذقية استمر بملاحقة جماعة المرشد والتضييق عليهم. وهو من كلّف الملازم أوّل عبد الحق شحادة باغتيال مجيب المرشد عام ١٩٥٢م. كما أنه كان قد خطط لاغتيال العقيد محمد ناصر آمر سلاح الطيران في الجيش ليلة ٣١ آب ١٩٥٠ /الساعة العاشرة/ ثم وقف في اليوم التالي، مع كبار ضباط الجيش، يتقبل التعازي به من المعزين. (يقتل القتيل ويحمل نعشه) والعقيد محمد ناصر من قرية عين شقاق بمنطقة جبلة.

وبعد الانقلاب على الشيشكلي عام ١٩٥٤ وهروبه إلى خارج البلاد، لحق به إلى البرازيل ضابط متقاعد من (بني معروف) وصار يتتبّع خطواته، ويرصد تحرّكاته، حتى إذا ما رآه مرة يمشي وحيداً، تعمّد مواجهته وجهاً لوجه، وعندما اقترب منه ناداه: أديب، هيَّا إلى جبل العرب لتحاكم على جرائمك وقتلك الأبرياء. فسحب الشيشكلي مسدسه ليطلق عليه النار، لكن (نوَّاف غزالة) كان أسرع منه، فأطلق عليه عدة طلقات وأرداه قتيلاً، وتوارى عن الأنظار عدة أسابيع، ثم سلَّم نفسه للسلطات

البرازيلية التي حاكمته وحكمت عليه بالسجن، وبعد خمس سنوات أطلقت سراحه[1].

ويقول أحمد السياف ضمن هذا السياق:

((بتاريخ ٢١ أيلول ١٩٤٦، أي بعد (ثمانية أيام) فقط من إيقاعه بسلمان المرشد، وضع محافظ اللاذقية عادل العظمة مشروعاً (لمعالجةٍ اقتصاديةٍ اجتماعيةٍ لوضع حدٍّ للطائفية). مؤلّف من تسعة بنود، يتحدّث فيه عن شق طرق، وفتح مدارس... وغيرها. ويقترح أن تحصّل الحكومة ما تكبدته((في الحركات الأخيرة وتحصيلها من أموال سلمان))!!!.

لكن اقتراحه الأخطر يكمن في أن يكون أئمّة المساجد التي يقترح بناءها في القرى الكبيرة ((أولاً من السنيين لا من العلويين)).

((إنّ رؤية العظمة هي على العموم الشكل الساذج لرؤية قادة الحكم من طراز جميل مردم بك وسعدالله الجابري وشكري القوتلي. ولقد حرصوا على ألّا يكون في الحكومات التي تشكّلت بين العامين ١٩٤٣ . ١٩٤٩ أي درزي أو علوي))[2].

---

(١) مذكرات د. اليونس ص ٣٨٩ .

(٢) شعاع ص ٢٦٦ .

مع التذكير بأنّ منير العباس كان أوّل علوي يتقلّد منصباً وزارياً في ذلك العهد. فقد صار وزيراً للأشغال العامة في حكومتين متتاليتين: الأولى من ٢٠ أيلول ١٩٤١ إلى ١٨ نيسان ١٩٤٢، والثانية من نيسان ١٩٤٢ إلى كانون الثاني ١٩٤٣.

كان حكّام سورية في تلك الفترة مشبعين حتى الثمالة بثقافة الإخوان المسلمين القائمة على مبدأ رفض الآخر بل وإلغائه. كما ذكرنا .. كما كانوا شديدي التّمسّك بالسلطة والاستئثار بها لأنفسهم ومنعها عن سواهم، مهما تطلّب منهم هذا الأمر من ضرب للقيَم الأخلاقية، وانقلاب على الأعراف الاجتماعية والتقاليد المجتمعية الراسخة في عقول الناس، ووجدان الأمة.

ولو أخذنا مثالاً على ذلك ما فعله شيخهم الرئيس شكري القوتلي في محاولاته الدائمة لتأمين استمراره في تقلد منصب رئاسة الجمهورية.

فبعد انقلاب حسني الزعيم عليه، قدّم استقالته من منصبه ليخرج من السجن. وبعد انقضاء مرحلة سلسلة الانقلابات،وعودته إلى منصب الرئاسة منتصف الخمسينات، حصل على لقبين فخريين لم يسبقه إليهما عربي من قبل، ولم

يفز بهما أحد بعده حتى الآن، وهما: (المواطن العربي الأول، وبطل الوحدة)، وذلك عندما تخلّى عن منصب رئاسة الجمهورية السورية تسهيلاً لقيام دولة الوحدة بين سوريا ومصر بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٥٨ باسم الجمهورية العربية المتحدة.

وكم كان جميلاً منه وعظيماً لو أنه ختم حياته السياسية بشرف هذين اللقبين الرفيعين غير المسبوقين ؟! إلّا أن ما فعله كان بعكس ذلك. فهو ما إن سمع بوقوع الانفصال وانهيار دولة الوحدة بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٦١ حتى أطلق صرخة من جنيف، حيث كان يوجد وقتئذ، على شكل بيان يؤيد الانفصال، ويتنكّر للوحدة التي سمي (بطلها). ويمنح المنقلبين عليها نوعاً من الشرعية المزيّفة التي كانوا يحتاجونها في تلك اللحظات القلقة[1].

لكن صرخته تلك لم يكن لها الصدى المطلوب في دمشق كما كان يأمل، ربما لأن صوته كان مبحوحاً بفعل الشيخوخة، أو ربما هو تخريف الشيخوخة أيضاً، فابن السبعين عاماً صار مستقبله وراءه.

(١) مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس ص ٥٤٨ .

(شكري القوتلي من مواليد ١٨٩١ إلى تاريخ الانفصال ١٩٦١ يكون عمره سبعين عاماً).

ويعلق الدكتور عبداللطيف اليونس على بيان شكري القوتلي قائلاً:

((... وتساءلتُ بيني وبين نفسي: هل امَّحت العقائد، وضاعت المبادئ، وتلاشت القيمَ ؟! وهل من المعقول أن ينكر المرء ماضيه، ويتنكر لنفسه ولعقيدته ؟!

وأعترف... بأن نبأ (الانفصال الصاعق) لم يكن أكثر إيلاماً وإيذاءً من أن يقال: إن شكري القوتلي قد أيَّده وأقرَّه. وهو الذي استقال من رئاسة الجمهورية لأجل تحقيق الوحدة))[1].

(1) مذكرات د. اليونس ص ٥٤٨

صبحي الفستق

لماذا أيّد رجال الكتلة الوطنية الانفصال ؟

أنا أعتقد أن نقمة رجال الكتلة الوطنية على دولة الوحدة (الجمهورية العربية المتحدة) كانت لأسباب عديدة، منها:

١ . حلّ جميع الأحزاب السياسية في سوريا كشرط فرضه الرئيس جمال عبد الناصر لقبوله تحقيق الوحدة، التي كان السوريون يضغطون لقيامها، ومن بينها حزب الكتلة الوطنية.

٢ . قوانين الإصلاح الزراعي الصادرة إبان عهد الوحدة، وتحديد ملكية الأراضي الزراعية.

٣ . قوانين (التأميم)، تأميم الشركات الصناعية، والمصانع، وتحويلها من ملكية فرديّة خاصة إلى ملكية جماعية عامة للدولة.

وبذلك خسروا خسارات كبيرة جداً عندما فقدوا كثيراً من ممتلكاتهم وأراضيهم التي قضوا سنوات طويلة من الزمن وهم يسخّرون مفاصل السلطة، ومؤسسات الدولة، في تجميعها وتجييرها لمصالحهم الشخصية الخاصة.

مع العلم أنهم احتلوا، في البداية، مواقع كثيرة، ومناصب عالية في دولة الوحدة. حتى أن صبري العسلي شغل منصب نائب رئيس الجمهورية. وكان واحداً من أربعة

رجال صاروا نواباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة، اثنان منهم من الإقليم الشمالي (سوريا)، واثنان من الإقليم الجنوبي (مصر). وكان أكرم الحوراني (البعثي) النائب الأول بينهم لرئيس الجمهورية جمال عبد الناصر.

لهذا رأينا رجال الكتلة الوطنية أثناء وقوع الانفصال بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٦١ يسارعون إلى تأييده، ويشنّون حملة انتقادات لاذعة لنظام الوحدة. وكان شكري القوتلي بطل هذه الحملة، بل هو أوّل من أطلق حملات الإدانة والتشهير بنظام حكم الوحدة.

فهم كانوا يأملون بالعودة إلى سدّة السلطة مرّة أخرى ليلغوا قوانين التأميم، وقوانين الإصلاح الزراعي ليتمكنوا من استعادة ممتلكاتهم المصادَرَة.

لكن الذي جرى كان بعكس رغباتهم وأمنياتهم. لأن حكم الانفصال الذي لم يكمل في السلطة السنة ونصف السنة، انقضّت عليه القوى الوحدوية الوطنية التقدمية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في ثورة عارمة صباح ٨ آذار ١٩٦٣، فثبَّتت تلك القوانين، وعزَّزتها بقوانين جديدة تضمن مصالح العمال والفلاحين وجماهير الشعب وتحمي

مكاسبهم. وتعمل على تنمية البلاد وتطويرها في شتّى المجالات.

وبذلك غابت الكتلة الوطنية وأخواتها، مثل حزب الشعب، وسواهما، عن مسرح العمل السياسي في سوريا إلى الأبد.

بيان مؤتمر نقورو:

تداعى زعماء ووجهاء محافظة جبل العلويين . كما كانت تسمى . من العلويين والسنّيين إلى مؤتمر يعقدونه في قرية نقورو (وهي قرية جبلية واقعة على طريق اللاذقية . جوبة برغال، تتبع ناحية الفاخورة في منطقة القرداحة الآن)[1] وذلك للمطالبة بتصحيح أوضاع منطقتهم ومعالجة أمورها.

وقد تغيّب سلمان المرشد عن حضور هذا المؤتمر بشخصه، ومثّله فيه ابنه فاتح، بناء على نصيحة صديقه أحمد نهاد السيّاف الذي كان يسعى لتهدئة العلاقات وتبريدها بين سلمان والحكومة[2].

وقد وضع المؤتمرون مذكّرة رفعوها إلى الرئيس شكري القوتلي، مع قرار بتوزيعها على أعضاء وفود الدول العربية التي تشترك في أول مهرجان للجلاء[3].

وأنا شخصياً لم أعثر على وثيقة من وثائق ذلك الزمان تصف حالة الشعب وإهماله من قبل الحكومة كما تصفه هذه الوثيقة

---

(١) شعاع قبل الفجر ص ٢٤٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٣.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٣ .

لذلك قررت إدراجها هنا كما وردت في كتاب (شعاع قبل الفجر) بالرغم من طولها. ومن يستوعب مضمون هذه المذكرة يفهم بعض دوافع ثورة سلمان وأهدافها.

التذكرة التي تقدم بها وفد محافظة جبل العلويين إلى المراجع الرسمية العليا في دمشق في ١٩٤٦/٤/١١ والتي أقرّها ممثلو المحافظة السادة:

١-إبراهيم الكنج: رئيس عشائر الحدادين.

٢-عزيز الهواش: رئيس عشائر المتاورة و النميلاتية.

٣-نوري الحجي: نائب الحفة.

٤-الشيخ إبراهيم صالح: نائب بانياس.

٥-سعيد درويش: نائب تلكلخ.

٦-المحامون: محمد الفاضل، وماجد صفية، وعبد الله المحمودي، الشريف زين العابدين، الشريف فضل.

٧-خيري صقر خيربك: رئيس عشائر الكلبية.

٨-منير العباس: نائب صافيتا، ورئيس عشائر الخياطين.

يا صاحب الدولة:

لقد كان من أماني النفس أن يكون لنداء الحقيقة الذي أرسلته الضمائر الحراص على المصلحة العامة، أثر في الأفئدة

المسؤولة، لا يخفت صداه بين القول الطيب والتأميل المنمق، فإذا بالوقائعتعجم العيدان، وتقيم الدليل على أن وقر الآذان من وقر النفوس. ونحن لا نسوق الكلم ابتغاء وقوعه مواقع الرضى، ولا رجاء نزوله منازل الإصغاء، ولكننا نبتعثه واجباً قومياً عاماً وإن أنكرته الحزبية الصماء، وعبثاً يحاول محاولٌ إقامة اللبس مقام الرضوخ، فالحقيقة، بحمدالله، أقوى من البهتان.

ولطالما لفتنا أنظار الحاكمين في هذه المحافظة، مرة تلو المرة، إلى الأخطاء التي تعاورت أعمالهم، وتغلغلت في أساليبهم، فلم تكن عقبى التنبيه والتحذير والنصح إلا الإيغال والتمادي والاسترسال. وسواء تعمّدوا الإصرار على الخطأ أم جاء عن الصواب عفو سليقتهم، فإننا نسجّل في هذه الصفحات صرخة الألم ونداء الحقيقة، والتياع الحرص على المصالح القومية المقدسة التي تدرج في رمسها ضحيةً رخيصةً على مذابح الغرض الأعمى.

ويتساءل الإنسان عن السر الذي يحدو بالقائمين على الأمر إلى خلع ضروب القدسية من الأخطاء الفوادح التي أضفت جواً قاتماً على حياة هذه المحافظة، وفكّكت أوصالها الزوجية

تفكيكاً، واستساغت فيها خرق الحرمات الخلقية، والحقوقية، والروحية، لحياة الفرد كفردٍ، والمواطن كمواطنٍ، والإنسان كإنسانٍ، ثم أصمّت آذان المسؤولين عن محاولات الفتك والاغتيال، وجعلتها ديدناً يبشّر به قضاة نُصّبوا لمعاقبة الإجرام، وحاولت إيقاد الفتن العشائرية والطائفية، وأذكت نيران العصبيات القبلية وأثارت النعرات الطائفية، وقد نهى عن هذه وتلك دين الله، فكأن هذه الأخطاء تستكمل ما بدأت به سياسات الاستعمار، ترمي من وراء هذه المحاولات الأثيمة إلى إيراد هذه البقعة موارد التهلكة بعدما أذلّ الله سياسة الأجنبي بالفشل، ووقى هذه البلاد آثامها وشرورها، وليتها تورّعت عن بعث الأساليب الموءودة في مناهج الأجنبي السياسية كأنما هذا الجزء الأصيل من الوطن العربي إقليم أساغ الفتح فيه صنوف البغي وضروب العدوان.

إن هذه السياسة المُلفَّقة التي يظن أساطينها أنها أحاج وألغازٌ من سرٍ مكنون، لم تعد سراً حتى على رعاة الضأن، فالأكار في روائس الجبال، والمثقف في أكناف المدن: كلاهما يتساءل: بأي قانون يُحكم ؟ وبأي سنّةٍ يُعامَل ؟ وبأي عين يُنظر إليه ؟ أعلى أساس الدستور ؟ والدستور مداسٌ مرفوسٌ

أم على أساس أحكام دين الله وسنّة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ؟

وأحكام دين الله وسنّة نبيّه (صلى الله عليه وسلم) غدت في هذه الغمرة من الإرجاف كلمات حقٍ وإيمانٍ يُراد بها باطل وبهتان يتاجر بها سماسرة السياسة ذات اليمين وذات الشمال ((يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم كبر مقتاً عند الله أن يقولوا ما لا يفعلون)).

ولم نفتأ منذ أطلّ على البلاد الأمل بالإصلاح في مطلع العهد الدستوري عن لفت أنظار المسؤولين مستصرخين ضمائرهم لوجوب معالجة الطائفية النكراء التي أورثها هذه البلاد استبداد تركي رسا في قواعدها أربعمئة عام، واستعمار انتدابي خيّم ربوعها خمساً وعشرين سنةً. توخّياً لتدعيم الفكرة العربية القومية، وإيماناً بضرورة العودة بهذه الأمة إلى صفاء منابع دين الله القويم، ومحواً لذلك الميراث السيئ الذي خلّفه وراءه المستعمر الغاشم. ومن أمرّ دواعي الأسف الموجع أن يذهب التنبيه بشجب الطائفية واقتلاع جذورها صرخةً في وادٍ ونفخةً في رماد، وأن يستمر العمل الإداري والسياسي والقضائي في شتى أنحاء المحافظة مدرسةً لها وموقداً لإذكائها من أحقر

دائرةٍ إلى أكبرها كأن هذا الاتجاه المريض من مقتضيات المصلحة العامة.

هَبُوا هذا البلد مشركاً أيدعى إلى الهدى بالفساد والضلال ؟ هَبُوه مشركاً فعليكم أن تبشّروا فيه التبشير الحق لا أن تعملوا فيه على أساس التنفير المُستنكَر ؟ هَبُوه مشركاً أيدعى إلى الإيمان بأساليب الشرك أم يُدعى إلى الإيمان بقوله تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة))؟ ولكنها السياسة الخرقاء والحزبية العمياء التي تستبيح في سبيل أغراضها كل ما نهى الله عنه.

ومن الغريب المُضحِك في عصرٍ أصبح فيه الإدراك الإنساني لحقيقة الذات الأساس الأول لكل عمل إنساني في كل ميدان. أن يستقر في خَلَد بعضهم أن سياسة السياط، والظلم والشتم والسباب، والعدوان على كل حقٍ. والإرهاق المنظّم كحجر الفلاسفة، تصلُح دواءً لكل داء، كأنما غاب عن أدعياء الفهم، أن الطبيعة، روحانية كانت أو حيوانية أسلس قياداً للترويض بالحسنى، وأكثر نفوراً عند الإحساس بالإساءة، ولكنهم يأبون إلا محاولة تبديل خلق الله، بالحطّ من قيمة في إنسانيته، إرضاءً لوسوسة النفوس ونفث الأهواء.

لقد كانت السياسة الانتدابية تعمل على إذلال الكرامات في حياة الفرد والجماعة، وعلى التنكيل بها، وكأن السياسة الحاضرة ورثت عنها مواريث كان أحرى بها أن تتركها لخزي الزمان فلا تعمل بدورها على إذلال الكرامة الإنسانية في حياة الفرد والجماعة مقتفية تلك الآثار ولا تجري في هذه المضامير، فتتجرّد من العنصر المعنوي الصالح، وهو أساس فكرة الدولة، ولا تبشّر عمليّاً بفكرة استثمار الإنسان للإنسان، واستغلال حياة إنسان لمنفعة إنسان آخر، مُحاوِلَةً إخضاع النظم الاجتماعية وردّها إلى زمن (الإنسان القطيع).

ولطالما ضجّ ضمير العدالة من الأخطاء الإجرامية التي اقترفها أشخاص مسؤولون في قضاء الحفة وسواه بغية سحق آلاف المواطنين الوادعين. ولطالما ملأ الآفاق ذكر هذه المظالم والاضطهادات، ولعلّها أوّل مرةٍ في تاريخ هذه البقعة الهادئة من الموطن السوري العربي تُسجّل فيها الوقائع الرسمية إقدام أشخاص مسؤولين على حرق الأحياء وقتل النساء والأطفال وهدم القرى على أهليها، وتشريد أبنائها، وزجّ الأبرياء منهم في غياهب السجون، وإصدار مذكّرات توقيفٍ بدعاوى مصطنعةٍ مُلفّقةٍ ضد المخدرات وطلّاب المدارس ورجال الذين

والوجوه، وخرق الحصانة النيابية، كلّ ذلك عملاً بسياسة الكيد والانتقام وجرياً وراء عزل قضاءٍ بكامله عن جسم المحافظة والقضاء على أبنائه.

أمّا هذا الهجوم المنظّم، القاضي بتسليط قوى الدولة العامة من دركٍ وإدارةٍ وقضاء على أصحاب السيادة والوجاهة والنبل في هذه المحافظة واضطهاد أتباعهم ومحاولة الاستيلاء على أملاكهم وتزوير الدعاوى عليهم وعلى أقربائهم بغية الحطّ من كرامتهم وتشويه معنويّاتهم، لا حبّاً بإقرار العدل، ولكن إرواءً لعواطف الضغينة والتشفّي والانتقام في صدور النفر الضئيل من المحاسيب. وأمّا تسخير الدوائر الرسمية ومن فيها لتنفيذ مآرب هؤلاء، وهم قلّة لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة، ووضع مرافق الدولة بين أيديهم، وتسجيل أملاكها الخاصة بأسمائهم، وإنفاق أموالها عليهم، وإفساح المجال أمامهم للإرشاء والارتشاء، وضرب نطاق حديدي حول الرجال المسؤولين لا يطؤه إلّا تلكم القبضة من السماسرة المعروفين الذين لا ترى الدولة إلّا بأعينهم ولا تسمع إلّا بآذانهم، ولا تفكّر إلا بأدمغتهم، ولا تنفّذ غير مشاريعهم النفعية وخطط التفريق والتمزيق والاستثمار التي يضعونها.

كلّ هذه أمور لطالما نصحنا رجال الحكم بضرورة تبديلها، فذهب النصح أدراج الرياح. ولا يعوزنا على ذلك الدليل، فهذه لجنة تفتيشية ترمي بها دمشق دوائر المحافظة حتى إذا ما ظفرت اللجنة بمخازي المجاهدين من المحاسيب والأنصار واختلاساتهم أقاموا العراقيل في وجه تلك اللجنة ليحولوا دون قيامها بمهمتها، وأثاروا حولها وحول أعمالها ضجيجاً ملأ سمع الحكومة المركزية حتى ثار اللّغط أنّ نتائج أعمالها ستذهب ضحيّة الشفاعات. وهذا عقارٌ سُجّل منذ خمس عشرة سنة ونيّف على اسم سيدٍ من أسياد البلاد يُغتَصَب من صاحبه وتقضي المحكمة بإلغاء تسجيله، وهذا محامٍ من بيننا يُثار وتخرق حرمة منزله، ويُساق إلى القضاء بضبطٍ مُصنَّع ثبت عكسه، ويحكمه بالحبس قاضٍ ما برح منذ قدم المنطقة يدعو إلى التفرقة والشقاق، وإثارة الفوارق الطائفية بتكفير المسلمين العلويين، والدعوة إلى التنكيل بهم وإفنائهم. وهذه ضريبة الإنتاج يُعيَّن لجبايتها أتباع المحاسيب وأذنابهم فلا يجرؤ هؤلاء على جباية الضرائب ممّن كان وليّ تعيينهم ولا تُطبّق الضريبة إلا على الفقراء والمساكين وعلى كل من لم يكن مرضياً عنه.

وإن ننسَ لا ننسى كيف هدر الحق في جناية داغريون، وقضايا سيانو، رغم التنبيه مثنى وثلاث ورباع وكيف أن عوامل خفيّة حدت بالمسؤولين إلى طمس جانب الحق فيها تنفيذاً لغايات من نصّبتهم السياسة حاكمين غير مسؤولين.
وهذه دعاوى اللقبة يشترك رجال الإدارة والدرك في تصنيعها وتزويرها وتلفيقها، ويُزجّ في غياهب السجون من جراء هذه الافتراءات أحداثٌ لم يتجاوز أكبرهم السادسة عشرة من عمره.
ولّيتنا نستطيع ألّا ننوّه بالتوقيفات الكيفية التي تجري بين الحين والحين في دوائر الأمن والإدارة والدرك وما برح الأبرياء تعج بهم سجون المحافظة عجيجاً.

أمّا الأموال التي جباها واقتسمها رجال مسؤولون بالعسف والإرهاب في قضاءٍ معين (مصياف) فهي لا تحتاج إلى إثباتٍ، ويؤيّد صحّتها التقارير الرسمية التي رفعت إلى وزارة العدلية من المراجع ذات الاختصاص. وفي قضاء تلكلخ وفي قرية "حدية" تتجاوز السلطة الإدارية اختصاصاتها فتجرّد حملة من رجال الدرك تخترق بها حرمات المنازل، وتسلب المؤن من البيوت قسراً، وتذبح المواشي، وتُشرّد الأهلين في الشتاء القارس، ثم تزج ببعضهم في السجن، سعياً وراء رضى فريقٍ

متنفذ بحجّة إحقاق الحق وإقرار العدالة. ولا مندوحة لنا عن التنويه بما وصلت إليه الفوضى في الدوائر الرسمية وفي علاقاتها بالمواطنين وتسيير مصالحهم، فلطالما يتولى المناصب العامة في دوائر الدرك والأمن والمعارف وإدارة الحصر أشخاص ملاحَقون، أو محكومون، أو أمّيّون، وهذه دوائر الأمن يُحشد فيها من لا خلاق لهم، ويحكمون وضع النظام البوليسي الرهيب، كأننا ما برحنا في عهود التفتيش، ثم يستهين هؤلاء أنفسهم بالقانون، ويُباح حق الاستيلاء عليه: حتى أصبحت جرائم القتل يرتكبها الموظفون علناً وداخل الدوائر الرسمية وحتى أصبح رجال الأمن والقانون أخطر على الأمن والقانون من الأشقياء.

ولطالما أعلنت البلاد غضبتها على هذه المخازي والأخطاء التي لا مردّ لها سوى منح الدولة حق التوجيه السياسي في هذه البقعة لهذا النفر من غير المسؤولين حتى أصبحت الدولة دولتين، وحتى غدا جميع الموظفين عمّالاً عند أفراد هذه الطغمة الجشعة، وأدواتٍ لتنفيذ أهوائها، وإشباع شهواتها.

وقد يشاء الحرص على التقيّد بأحكام الدستور أن تجتمع السلطتان العدلية والإجرائية في شخصٍ واحد فيتولى رئيس

محكمة الاستئناف في اللاذقية وكالة منصب المحافظ حتى يتسنى لشخص موالٍ واحدٍ أن يقبض بكلتا يديه على ناصيتي القوّتين القضائية والتنفيذية، ويتم له في الإدارة إنصاف من خذله القضاء، وتلك لعمر الحق المزيّة الوحيدة لخرق مبدأ توزيع السلطات.

وفي صعيد هذه التجارب، وتحت رواق هذا الجو الغشوم، تنبت النازية نبتة مُدلَّلة غاوية في أجهزة السياسة والإدارة، عاملةً على الاستعاضة في هذه البلاد عمّا فقدته في مواطنها فكأنها بعد أن أضاعت ملكها وخسرت سلطاتها لم تجد تربةً أخصب من تربة الحكم في هذه البقاع. وشاء لها سعد الجدود أن تصيب توفيقاً وتأييداً في هذا الحيّز من المشرق بينما كانت تورّد موارد الهلاك في وطنها الأصيل. وإنه لخليق بالمسؤولين وجدير بهم ألّا يدّخروا وسعاً في قطع دابر كل عمل يخلّ بالقانون والنظام، ويعكّر صفو الأمن كما هو خليق بهم ألّا يقتصر همّهم في هذه الناحية على قمع الشقاوة العلنية التي تعيث فساداً بين سمع الناس وأبصارهم بل جدير بهم أيضاً، أن يعنوا بقمع الشقاوة الملثمة التي تستبيح حمى القانون باسم القانون، وتسوم البلاد الفساد باسم الإصلاح، وتعبث بحرمة

القانون باسم توطيد النظام، وتأبى إلّا أن تعيش مُكرَّمة تحت جناح الحاكمين: تستعلي عليهم متى تشاء، وتختبئ في أكنافهم متى تشاء، وإننا لنستنكر ونشجب إقدام أيٍّ كان على أيّ عمل، لا يتفق والقانون، ولا ينسجم والنظام، سواء كانت شقاوته في الغابة والجبل أو في القرية والمدينة والدوائر الرسمية.

ولا يسعنا في هذا الباب إلّا المقارنة بين الأسلوب الذي اتّبع لغضّ الطرف عن العصابات التي كانت تدير الاغتيالات على اتصالٍ بموظفين رسميين، وعلى علم وتدبير منهم، وكيف كُتم أمرها؟ وطمس شأنها ؟ وعُدِلَ عن تتبّع أفرادها وتعقّبهم، بعد أن أخذ مقام المحافظة عهداً على نفسه بجلاء حقيقة هذه العصابة ومعاقبة أفرادها، ومنهم موظّفون إداريّون لايزالون قائمين على رأس وظائفهم ينعمون بعطف المسؤولين، نعم إننا نقارن بين هذا الأسلوب وبين الأسلوب الثاني الذي حشدت فيه الجنود تحت خفق البنود، وأخذ الصالح فيه بجريرة الطالح، ونتساءل دهشين عن الحكمة من جمع الصيف والشتاء في صعيد واحدٍ.

أهذه هي السياسة الوطنية التي تدّعونها، أم أن الوطنية في عرفكم، لها مفاهيم تنفردون في فهمها على الرغم من المنطق السليم والعقل السليم والرأي السليم والوجدان السليم؟ كلّا ليست سياستكم سياسةً وطنية، ولكننا نُحجم عن وصفها بنعتها الصحيح، ضناً بالمصلحة العامة، وحرصاً على سمعة البلاد التي تعملون باتّباعكم هذه السياسة الخرقاء، على تشويهها وتسويد وجهها وإفساد عنصرها الطيّب البريء.

ويبلغ نظام الحظوة حدّاً ألقيت فيه جانباً رغبات ثلث الأمّة ممثّلة بآراء ثلاثين نائباً وآراء أربعمئة ألف مواطن لتسويد نفوذ بضعة مواطنين، وبهذا ضُرب مثلٌ صريحٌ ليس بعده حجّة لمدَّعٍ، أنّ نظام سيادة الفرد الذي طالما شكت منه البلاد نبش من قبره ليستردَّ عرشه باسم الدستور. إن طغيان فكرة سيادة الفرد تتجلّى بأوضح صورةٍ بالنسبة لما ذكر في حادثة إحالة سماحة مفتي اللاذقية على التقاعد، وهو أصغر مفتٍ سنّاً في الديار الشامية.

ولا يجوز لنا الإغضاء عن تلك الصفقات الجسام والبيوع الضخمة التي تتهامس الألسن بالاشتباه بمواردها ومصادرها، والتي يتمّ بعضها علانيةً وبعضها خِفيةً بين سمع الحاكمين

وأبصارهم، وعلى علم ومساهمةٍ ممّن أشرَكَتهم السياسة في شؤون البلاد العليا.. ولكن الذنوب عندما يقترفها أولو الحظوة تنقلب بتأثير سحر السياسة إلى حسناتٍ.

ويطلّ على هذه المحافظة في قَتام هذه الأخطار السياسية والدستورية والإدارية المتمادية من الحاكمين ومحاسيبهم مشروعٌ إداري تبشّر به السلطات المُلَقّنة مآله قص أطراف هذه المحافظة من الجنوب والشمال والشرق بحجة فكرة التنسيق الجغرافي وإنه لتعبيرٌ جميل.

إلّا أن جماله لا يخفي ما بين ثناياه. أما حقيقته في نظر أنصاره فليست سوى دعوة لإيقاظ الفتنة وإذكاء للحزبية وإيقادٍ للطائفية، أي إنه بمثابة إلقاء النفط على جذوة، لإشعال البيت الآمن المطمئن، وحرق ساكنيه الآمنين في دعة السكون إلى حرمة الحقوق وقدسية الدستور. وما ارتكبوا ذنباً إلا إيمانهم أن للدستور قدسيةً، وأن للحقوق حرمةً، وأن للمواطن حقاً بالحياة، وهو مطمئنٌ على حقه وكرامته وأمنه، وأن الدستور يحمي له هذا الحق وهذه الكرامة وهذا الأمن.

لقد فهم على ما يبدو دعاة هذا المشروع وظهراؤهم أن معنى الدستور أن يضربوا برغبات السكان الذين يعنيهم الأمر وحدهم

قبل كل أحد عرض الحائط، وأن يستهينوا بها فتداس بالنعال دوماً. وما دامت المفاهيم الدستورية على هذه الحال، وبالأسف الشديد، عند الفئات التي أعطيت ملكات التوجيه، فلا يسعنا إلا الجزم بأن الأمر يعنينا قبل كل أحد، ولا يسعنا إلا أن نطلب إجراء استفتاء في هذه المحافظة لمعرفة رأي السكان في هذا المشروع ونردف هذا الطلب بالاحتجاج على كل تدبيرٍ جرى في الماضي أو يقصد إجراؤه في الآتي، دون أخذ رأي السكان الذين يعنيهم الأمر وحدهم قبل كل أحد أياً كان.

أمّا أسطورة الخبير البلجيكي وما تُبطن في طيّاتها من أنباء، وقول بعضهم: إن هذا الخبير لم يؤتَ به إلا ليعلم من شؤون أبناء البلاد أكثر مما يعلمون منها ومن جغرافيتها، فهي أسطورة، وهي أقوال أشبه بالفانوس السحري. نعم إننا نعلم أن الخبير البلجيكي يفكر وهو لا يزال في بلجيكا أن من ضروريات التنسيق الجغرافي في هذه المحافظة تعديل أشكالها وتقسيماتها الإدارية. نعم إننا نعلم هذا علم اليقين ولهذا فإننا نقول للمسؤولين إن هذه "الخبرة البلجيكية" خبرة فيها حشود من الريب "الخبرة البلجيكية" خبرة يُشهد لها عن سابق تعمّدٍ

وتصميم، وهي لا تزال نائيةً، بصواب الحجة فيما أعدَّ لها ليوضع على لسانها عندما تتلاقى وهذه البقعة الطيبة من دنيا العرب. "الخبرة البلجيكية" يُهلّل لها ويُكبَّر إرضاءً لفكرة الهدم المنسجمة مع نزاعات روحيةٍ أرمّها البلى في كل دنيا، واستعصت عليه في نفوس من لا يخشون الله في قومهم وأمتهم.

وهذا مثال من الأمثلة الجمّة التي تصلح قياساً للتدابير والاتجاهات التي تعبث برغبات الأمة أو تسعى لتزييفها سواء في بقعةٍ من بقاعها أو في كلّها الشامل. تقسيمٌ وتجزئة في هذا الوطن الصغير، وتقسيمٌ وتجزئةٌ في الوطن الأكبر، وتهليل وتكبيرٌ للتجزئة والتفريق والتقسيم هنا وهناك وفي كل مكان، وهكذا تصبح رغبات الأمة العربية المتسلسلة مع أجيالها في نموها التاريخي، وإرادتها الصادقة لتحقيق ذاتها وجمع شتاتها عرضةً للاستهانة، وهكذا يحاول المحاولون صم آذان الأمة عن نداء الأجيال وقد دوّت في الزمان طوال التاريخ.

يا صاحب الدولة: إننا نطلب إليكم عدلاً وحقاً، لا إحساناً ولا منّة. نطلب أن تحقق الدولة في عهدكم الغاية من وجودها. نطلب أن نعامَل بأحكام كتاب الله، لا بأحكام الغرض

المريض. نطلب عدلاً إنسانياً، وعدلاً اجتماعياً، وعدلاً حقوقياً، نطلب أن يُحترم الدستور الذي تخرق ويا للأسف حرماته صباح مساء. نطلب أن تسلكوا بهذه البقعة السورية سياسةً قوميةً عربيةً صحيحةً، لا حزبية ولا طائفية. ونرجوكم أن تعتقدوا أن البلاد قد تعبت من هذه المآسي، فهل يلاقي نداؤنا في الضمائر صدى ؟

قال تعالى: "أمّا الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"، فعسى إن شاء الله تكون نتائج هذه التذكرة أعمالاً تقومون بها، تمكث في الأرض، ولا تذهب جفاءً بين الناس...

(انتهى نص المذكرة)

إلّا أن سلمان المرشد نزل عند رغبة صديقه أحمد السيّاف ونصيحته، فأرسل برقية إلى رئيس الجمهورية شكري القوتلي، كتب نصها السيّاف كما قال[1]. وفيما يلي نصها:

((جوبة برغال ١٩٤٦/٥/٦.

---

[1] شعاع، ص ١٥٤ .

صاحب الفخامة شكري بك القوتلي رئيس الجمهورية المُعظّم:
ظروف قاهرة حالت دون مثولي بين يديكم لأشارككم الاغتباط بما نالت البلاد، بفضل نضالها الدامي الجبّار تحت قيادتكم، من استقلال كان وسيبقى دائماً الهدف الأسمى الذي نبتغيه في الحياة. إن الأجيال القادمة تتطلّب منّا عملاً متواصلاً وتضحيات مستمرة، أراها تدعوني لأجدّد لفخامتكم عهدي السابق من أنني وأبنائي والشعب العلوي، كلنا جنود نستميت في الدفاع عن وطننا العربي المقدس تحت زعامتكم، وقد أوفدت ولدي لينوب عنّي بالتعبير بما يعجز القلم عن تصويره من ارتباطنا الوثيق بالمُثل العليا التي تدينون بها، وكرستم حياتكم في سبيل تحقيقها.

وفقنا الله لما فيه خير البلاد... سلمان المرشد))[1].

ويقول السيَّاف: إن وفود الدول العربية، وعلى رأسهم عبد الرحمن باشا عزام أمين عام جامعة الدول العربية آنذاك، فاتحوا الرئيس شكري القوتلي بموضوع مذكرة نقورو بعد أن استلموها، مستغربين ما تضمّنته من شكاوى. فأجابهم الرئيس:

إن موقعيها لا يمثلون سكان المنطقة، بل إن الذي يمثلهم هو سلمان المرشد. معتمداً البرقية المشار إليها آنفاً[1].

وبالرغم من شهادة الرئيس بسلمان أنه وحده من يمثل سكان محافظة جبل العلويين من سنيين وعلويين، فإنه بعد نحو أربعة أشهر فقط من هذه الشهادة، أصدر أوامره إلى الجهات العسكرية والأمنية المختصة لاقتحام حارة سلمان في قريته جوبة برغال والقبض عليه. وبعد ثلاثة أشهر أخرى كان سلمان مُعلَّقاً من رقبته في حبل مشنقة الرئيس ورفاقه، متأرجحاً يلفظ أنفاسه بإشرافهم، وتحت أنظارهم المنتشية الشامتة !!! بمصادقة الرئيس شخصيّاً وتوقيعه على مرسوم إعدامه[2].

(١) شعاع، ص ١٥٤ .

(٢) لمحات حول المرشدية ص ١٤٧

تعليق: أقدّر لو أن سلمان المرشد انضم بشخصه إلى أنا شخصياً أقدّر لو أن سلمان المرشد انضم بشخصه إلى مؤتمر نقورو، ووقّع مذكرته مع من وقعوها، لكان موقفه ضد خصومه. بما فيهم الحكومة . أقوى وأشد صلابة. ولكسب إلى جانبه شبه إجماع مواقف وجهاء وممثلي أهل الساحل السوري في صراعه ضد الحكومة. وأنا لا أميل إلى الرأي القائل بأن أحمد السيَّاف دبَّر أمر هذه البرقية تدبيراً، مستغلاً ثقة المرشد به. والدليل أن السيَّاف كان بنظر أهل الحكم مشروع شريك في المصير للمرشد، وهذا ما بدا جلياً فيما تلا من أحداث تتالت لاحقاً، لأن البرقية التي أرسلها المرشد إلى الرئيس شكري القوتلي كانت مخالفة تماماً للسياق العام الذي تسير فيه علاقاته مع رجال الحكومة والحكم في سوريا منذ سنين طويلة.

قالوا لي عن سلمان:

بعدما اتّخذت قراري بالكتابة عن ظاهرة سلمان المرشد التي انتهت بمأساته، (وأنا أرى أن المرشدية بدأت بمأساته)، بدأتُ حملة مشاورات مع كثير من أصدقائي المثقفين والمهتمين بالشأن العام في محافظتي اللاذقية وطرطوس (أي بيئة الموضوع)، فصرتُ أسمع آراء متباينة، وأحياناً تكون متناقضة. حتى في حالة الموافقة والتشجيع كنت أجد الآراء متفاوتة في الحماسة لاقتحام هذا المسلك الشائك. فاعتبرت أن ذلك بسبب التباين في الرؤى، والتفاوت في المعارف والثقافات... وسوف أكتفي هنا بذكر بعض النماذج من الآراء الإيجابية:

١ . ذكر لي الدكتور المحامي أحمد عمران الزاوي . وكنا في بيته بطرطوس . أن صحفياً مصرياً (نسي اسمه) أخبره قائلاً: ((كنت مرة أجلس مع بعض الزعماء السوريين في بهو أحد فنادق مدينة دمشق، وإذ أطل علينا رجل وسيم بَدين أنيق، ذو هيبة ووقار، ينزل الدرج باتجاهنا. وعندما دخل البهو وقف الجميع يسلّمون عليه باحترام شديد. أدهشتني شخصيته القوية، واحترام الناس له، فسألت عنه،

فقيل لي: إنه سلمان المرشد. عندئذ ازددت شوقاً للتحدث إليه. فتحيّنت الفرصة المناسبة حتى جلست بجانبه. وهنا سألته مباشرة: هل صحيح يا فندم أنك ربٌّ تُعبد ؟! فنظر إليّ مبتسماً وقال: ((إذا نظر لك الجميع باحترام، فمن العبث ألا تحترم نفسك)). قال الصحفي: فأدركتُ عندئذ أنني أمام رجل حادّ الذكاء)).

٢. كما أخبرني الدكتور الزاوي نقلاً عن المحامي يوسف تقلا (الذي كان محامي سلمان وعائلته قبل مأساته، ثم رافع عنه أثناء محاكمته بعدما ألقوا القبض عليه)، أن سلمان المرشد قال لمحاميه: ((لقد وصلتني شكاوى كثيرة من فلاحي قرية "سطامو" يقولون فيها: إن عبد القادر شريتح قد استولى على أراضيهم بالقوة، وكانوا يملكونها وراثة عن آبائهم وأجدادهم، وانتزعها منهم. وبين أيديهم الوثائق والمستندات التي تثبت ملكيتهم لها. أريد منك أن تبدأ البحث فوراً في الدوائر العقارية، والجهات الرسمية لمعرفة الحقيقة. قال المحامي تقلا: وبعد البحث توصّلت إلى أن شريتح لا يملك من أراضي القرية المذكورة سوى(٦) ستة قراريط من أصل (٢٤) أربعة وعشرين قيراطاً.وعندما أخبرت سلمان بذلك

قال: نعطي شريتح حقه (أي ستة قراريط) ونعيد بقيةَ الأراضي إلى ملاّكيها الحقيقيين. ابدأ عملك بهذا الاتجاه)).

٣.وهنا تدخّل الأستاذ الباحث عبد الكريم قميرة . وكان موجوداً . فنظر إليّ وقال لي: ((يا أستاذ، إن سلمان المرشد كان ثائراً وطنياً غيوراً، وكان يقف إلى جانب الفقراء والمظلومين دائماً)).

٤ . وأخبرني الدكتور عبد اللطيف اليونس في بيته بصافيتا أن منير العبّاس قال له: ((سألتُ سلمان المرشد مرةً، وكان صديقاً حميماً لي: هل صحيح أنك ربّ ؟! فأجابني: أنا ربُّ البقر)).

أي الأغبياء الذين لا يفهمون. أي أنه ينفي عن نفسه تهمة الادعاء بالربوبية.

وألفت إلى ملاحظة هامة جداً في حياة الشعوب وتاريخها، وهي أن عظماء الشعوب والأمم هم الذين يختلف فيهم وحولهم بنو البشر، بين محبٍّ وكاره، أو مؤيدٍ ومعارض، أو مُصدِّقٍ ومُكذِّب، أو قابلٍ ورافض، أو راغبٍ في وراغبٍ عن...الخ.

وإذا كان بعض العظماء لم يُقدِّرهم زمانهم حقَّ قدرهم، ولم ينصفهم أهله، فقد يتكفّل المستقبل بذلك، لأن المعطيات تتغيّر، والثقافات تتطوّر، والمعايير تتبدّل باطّراد.

فبعد مرور أكثر من نصف قرن على إعدام سلمان المرشد بدأنا نجد في الأسواق والمكتبات العامة كتباً عديدة ألَّفها بعض المنصفين من الوطنيين الغيارى، تنفض الغبار عن مأساة إنسانيّة يندى لها الجبين، ضلَّلت العقول عقوداً من الزمن، وذلك إنصافاً للحق، وإظهاراً للحقيقة.

إنّ عظمة الإنسان تتجلّى بمقدار ما يستطيع تقديمه، أو ما يحقّقه لأهله وقومه ووطنه وأمّته، أو للبشرية من نفع وخير وفائدة، سواء على الصعيد المادي الخدمي، أو المستوى الروحي القيمي الأخلاقي أو العلمي وسواه. فما بالك بمن يقدّم روحه ودمه فداء على مذبح الحرية والكرامة والسيادة والسؤدد؟!

إن الأعمال الموثّقة، والحكايا المكتوبة، لا تموت بموت أبطالها وصانعيها، لأن عظماء الأمم تحوّلهم أقلام المنصفين، وخيالات المحبين، وتخيّلات المريدين، إلى أساطير ترقد خالدة في الذاكرة الشعبية إلى أبد الآبدين.

وسوف أورد بعض الأمثلة للتدليل على ذلك:

١ . **قالوا عن الشيخ صالح العلي:**

إنه بعد كل معركة مع المستعمر الفرنسي كان يخلع عباءته عن جسمه وينفضها فيسقط منها عشرات المقذوفات من رصاص العدو أصابته فعلقت في عباءته ولم تدخل جسده!!!

وأنه عندما تنتهي ذخيرته كان يذخر بندقيته بدوَّام البلّوط والسنديان ويطلقها فتصيب الفرنسيين بمقتل !!!

وأنه كان يوجّه عصاه نحو الطيران الحربي الفرنسي ويتظاهر بالإطلاق عليه ... فيسقط !!!

وأنه كان محاطاً بهالة من القدرة الإلهية، تحجب رؤيته عن أعدائه، فلا يراه إلا محبوه !!!..الخ.

٢ . **وعن سلطان باشا الأطرش قالوا:**

. إنه كان يحطم الدبابات الفرنسية ومدافعهم بسيفه!!!

- وسأروي هذه الحكاية التي جرت بحضوري:في عام ٢٠٠٥ كنت أتناول غدائي في أحد مطاعم ساحة الشيخضاهر بمدينة اللاذقية، فدخل شابان (يبدو أنهما كانا من موظفي الضرائب). تحدث أولهما إلى صاحب المطعم حديثاً لم أسمع شيئاً من كلماته، لكنني سمعت صاحب

المطعم أكثر من مرة يدعوهما للجلوس (للتفاهم) فكانا يرفضان. ثم علا صوته وصوت محدّثه منهما بنبرة فيها تحدٍّ، غادرا المطعم على إثرها. فوقف صاحب المطعم وسط الصالة منفعلاً، ونظر إلينا (نحن الزُبنْ) وقال بصوتٍ عالٍ، وهو يعني من كان يحادثه: ((إي شو يعني مفكَّر حالو سلطان باشا الأطرش؟!)).

وحكى لي عطا الله الزاقوت (أبو كمال) في بيته ببلدة (القريّا) في جبل العرب مساء ١٠ آذار ٢٠٠٣م، وهي نفسها بلدة سلطان باشا الأطرش.

وكان سبب وجودي فيها يومذاك أنني كنت أُحَضِّر لإصدار كتابي (صفحاتٌ مجهولةٌ من ثورة الشيخ صالح العلي) وكنت أريد معلوماتٍ عن سلطان باشا الأطرش، وصلت القريّا عند غروب ذلك اليوم، فتوجّهت مباشرةً إلى بيته لأجد ابنه منصور الأطرش (أبو ثائر) وحيداً في البيت. تحدّثنا معاً نحو ثلاث ساعات لم ألقَ منه وُدّاً خلالها. ثم اتّصل بأبي كمال وقال له: إن أستاذاً من اللاذقية يريد معلومات عن سلطان الأطرش، أعطه ما يريد. ثم قال لي وهو يودّعني في ساحة بيتهم بجانب النصب التذكاري لشهداء الثورة السورية الكبرى الذي يضم رفاة

قائدها سلطان أيضاً: جئتني ولم أتمكّن من إهدائك شيئاً، وهذا لا يليق بنا. هذه أرقام هواتفي بدمشق، اتّصل بي عندما تأتيها لأرسل من يحضرك إليَّ لأقوم بواجبي تجاهك.شكرته، وغادرت على أمل اللقاء.

وصلت بيت أبي كمال غير البعيد، فاستقبلني بالبشاشة والاحترام. وحكيت له مُلخّصاً عما دار بيننا، فقال: لا تُعَوِّل على كلامه . وتابع: إن منصور بن سلطان الأطرش درس في أوروبا، فتشوّهت أفكاره، وعندما عاد وتسلم مناصب عالية في الدولة كان ذلك إكراماً لوالده. ولمّا أراد الزواج رفض أهل جبل العرب جميعاً تزويجه بإحدى بناتهم لأنه خالف والده سلطان في بعض الأمور، فتزوّج فتاة حمصيّة، وكان عديلاً لطارق عزيز رئيس وزراء العراق في عهد الرئيس صدّام حسين. وعندما شبَّ أولاد منصور وأرادوا الزواج رفض أهل الجبل تزويجهم من بناتهم أيضاً، فتزوّجوا من بنات أخوالهم في حمص.وعن هواتفه في دمشق قال: جَرّبه فلن يرد عليك.

وبعد فترة اتّصلت به من بيتنا في الضيعة، فردَّ عليَّ وأخبرته أنني مسافر غداً إلى دمشق. فقال: اتّصل بي عند وصولك

أرسل من يحضرك إليّ. وفعلاً طوال الأيام الثلاثة التي قضيتها بدمشق لم يردَّ على هواتفي التي كنت أبدّلها دائماً.

وعن إبراهيم هنانو:

ما زلنا نسمع هذه الأهزوجة في جميع أنحاء سوريا، على الرغم من مرور أكثر من تسعين سنة على ثورته:

طياره طارت بالجوّ فيها عسكر فيها ضَوْ

فيها إبراهيم هنانو راكب عَ ضهر حصانو.

ويقول الحاج الشيخ محمد حسن هلال في كتابه (رسالة العلم والعلماء) ص١١٢، ردّاً على محاولة المستعمر الفرنسي تقسيم سوريا إلى دويلات طائفيّة، ومنها دولة العلويين المستقلة في منطقة الساحل السوري، ما يلي:

لكن أهلها أباة الضيم لم يقبلوا بهذا التقسيم الطائفي. واشتعلت الثورات في جبالهم الشماء بقيادة الشيخ صالح العلي والقائد الغيور سلمان المرشد الذي حرق ممتلكات الإقطاعيين المتعاملين مع الاستعمار الفرنسي، ودعا إلى طردهم من هذه الجبال. كما دعا إلى مقاطعة (الريجي) إدارة الحصر والتنباك في اللاذقية التي كانت امتيازاً لشركة أمريكية تستغل تعب الفلاحين والمزارعين لهاتين المادتين

(التبغ والتنباك)، ولم يقبل بيعهما لها إلا بالسعر الذي طلبه الفلاحون ثمناً لغلّاتهم[*]. وهنا لابدّ من التنويه بأن المرشديين لم يرفعوا يوماً سلاحاً في وجه الوطن، أو الدولة السورية، خلافاً لما كان يدّعيه مبغضوهم. وعندما رفعوا السلاح إبّان نكبة سلمان إنما كان للدفاع عن أنفسهم ضد ظالميهم المتمترسين زوراً ونفاقاً خلف المصالح الوطنية وقضاياها، بينما كانت الحقيقة أنهم يعملون لخدمة مصالحهم الشخصية الخاصة، القائمة على الاستبداد والاستكبار وإلغاء الآخر.

أمّا المرشديون فقد كانوا وما زالوا يؤدّون خدمة العلم الوطني إلزاماً وتطوّعاً واحترافاً بمختلف الرتب العسكرية ضمن تشكيلات الجيش العربي السوري والقوى الأمنية المختلفة. ويخدمون الوطن أيضاً بالتحاقهم بوظائف الدولة المدنية باختصاصاتها المتعددة لمشاركة أخوتهم الآخرين، من مختلف أطياف ومكوّنات أبناء وطنهم، في بنائه وتطويره، وإعلاء كلمته، وتحقيق سيادته وسؤدده، والدفاع عنه ضد المعتدين عليه، والطامعين بخيراته. ولهم بذلك من قدوتهم ومؤسّس حركتهم سلمان المرشد أسوة حسنة.

---

[*] إن ما ذكرته حول الشيخ صالح العلي وسلطان باشا الأطرش وابراهيم هنانو، ونظرة محبيهم لهم، كان مثله في التاريخ كثير ، وَصَلَ بعضُه حَدَّ العبادة.(المؤلف)

إضاءة على آل هارون:

لقائي مع المحامي الأستاذ نزار هارون:

بتاريخ ٢٦/١٢/٢٠١٥ قصدتُ الأستاذ المحامي نزار أسعد عبد الواحد هارون في مكتبه المقابل للمتحف الوطني باللاذقية، مستجلياً منه بعض المعلومات الغامضة عنّي حول بعض شخصيّات عائلته الكريمة الوطنية (آل هارون) التي لعبت دوراً مهماً في مسيرة الثائر سلمان المرشد، موضوع بحثي الآن.

كانت المرّة الثانية التي أقابله بها بعد مقابلتي الأولى له صيف عام ٢٠٠٧م بُعيْد صدور كتابي "صفحاتٌ مجهولةٌ من ثورة الشيخ صالح العلي" الذي تحدثت فيه باقتضاب عن شخصيّتين محترمتين من آل هارون هما: والده أسعد أفندي هارون، وابن عم والده النقيب (آنذاك) عزيز آغا هارون. وقد قدّمتُ له نسخة من الكتاب يومئذٍ، فتقبّلها منّي شاكراً ممتنّاً، وأكرمني الرجل.

س١: بدأتُ حواري معه بسؤاله عن أصول العائلة، فأجاب:

ج١: في العهد العثماني، ومنذ نحو (٤٠٠) أربعمائة سنة قَدِمت العائلة من البوسنة والهرسك في أوروبا واستقرّت بمدينة

اللاذقية. وهناك من يقول بأن أصولنا من اليمن، وليست لديّ أية أدلّة موثقة تثبت ذلك... والله أعلم. ومنذ ذلك التاريخ وأبناؤها يتناوبون على السلطة في المحافظة، وبعد الاستقلال في المحافظة والعاصمة.

س٢: وماذا عن تملّكها للأراضي والعقارات ؟

ج٢: كان أبناؤها من كبار ملاّك الأراضي. ولَقَبا أفندي وآغا اللذان حصلا عليهما من السلطات العثمانية تعنيان باللغة التركية (كبار ملاّك الأراضي).

س٣: ماذا عن بعض شخصيات العائلة ؟

أ: عبد الواحد هارون (جد المحامي نزار):

ج٣: كان زعيم العائلة، وصار عضواً في مجلس (المبعوثان) في الأستانة عن ولاية اللاذقيّة العثمانيّة (أي الساحل السوري). وحصل على لقب (أفندي). وقد زوّدني بصورة عن بطاقته لعضويّة مجلس المبعوثان، عليها صورته بالطربوش العثماني.وعليها العلم التركي، وبياناتها مكتوبة باللغة التركية

والحرف العربي[1]، وعليها تاريخ (١٣٣٠ ـ ١٣٣٤) أعتقد أنه تاريخ هجري، لأن العثمانيين كانوا يؤرخون بالتقويم الهجري.

ب: أسعد أفندي هارون (والد المحامي نزار):

بعد وفاة والده عبد الواحد عام ١٩٤١ تابع مسيرته القيادية والسياسية في زعامة العائلة وقيادة المحافظة، فكان وزيراً للصحة في حكومة صبري العسلي ورئاسة شكري القوتلي التي وقعت على بيان قيام دولة الوحدة بين سوريا ومصر باسم (الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٥٨ برئاسة جمال عبد الناصر). وهنا تدخّل الأستاذ أحمد محمّد الأحمد (ابن بدوي الجبل الشاعر الكبير والنائب والوزير) الذي كان حاضراً فأضاف: وأثناء الانفصال بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٦١ اجتمع أقطاب الكتلة الوطنية في بيت أحمد الشرباتي بدمشق ووقّعوا بياناً يؤيّدون به الانفصال. وكان أسعد هارون واحداً منهم. (انتهى).

---

(١)أبطل الجنرال مصطفى كمال باشا (أتاتورك) الكتابة التركية بالحرف العربي (حيث كانت) في جميع دوائر الدولة ومؤسساتها الرسمية اعتباراً من عام ١٩٢١ قبل أن يعلن إلغاء الخلافة رسمياً وقيام الجمهورية التركية مكانها عام ١٩٢٣. وقد شكل جمعية ترتبط برئاسة الجمهورية مباشرة لمحاربة العرب بلسانهم (أي بلغتهم). وفيما يلي ترويستها مترجمة: ((رئاسة الجمهورية، مجمع الإدارة، جمعية محاربة اللغة العربية، تأسست عام ١٩٢١م)).

وسوف أورد هذه الحكاية التي حكاها لي الدكتور عبداللطيف اليونس عدة مرات: (المؤلف).

بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٤٥ أصدر الرئيس شكري القوتلي مرسوماً برقم (٤٨٨) يقضي بمنح المجاهد الشيخ صالح العلي وسام (نوط الشرف السوري من الدرجة الأولى) "تقديراً لخدماته الجُلّى". فتنادى أصدقاء الشيخ صالح بالمحافظة لإقامة حفل تكريمي له يتسلّم خلاله نوط الشرف المذكور، وتشكّلت لجنة التكريم برئاسة أسعد هارون، وكان أمين سرّها عبد اللطيف اليونس.

اجتمعت اللجنة وحدّدت يوم الجمعة ٢٧ نيسان ١٩٤٥ موعداً لحفل التكريم. وقام أمين سر اللجنة بجولة على المحافظات السورية واللبنانية لتوجيه الدعوات للأدباء والشعراء والزعماء ورجال الدين للمشاركة بالحفل.

ثم بدأت الضغوط والتهديدات تنهال على رئيس اللجنة من عملاء الفرنسيين، أعداء الشيخ صالح وخصومه، تطالبه بإلغاء الحفل ... وإلاّ ... فاجتمع مع أمين السر وتناقشا مطولاً، واختلفا بالرأي، فرئيس اللجنة لا يريد أن يعرّض مدينة اللاذقية لأعمال الشغب والتخريب، كما سمع ممّن هدّدوه،

أمين السر لا يريد أن يخضع لهذه التهديدات، خاصة وأنّ البلاد ذاهبة إلى التحرّر والاستقلال. ثم اتّفقا على حلّ وسط وهو عرض الموضوع على محافظ اللاذقية مصطفى الشهابي، والالتزام بما يقوله.

وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي قرع أمين السر باب بيت رئيس اللجنة، كما اتّفقا مساء، ليذهبا معاً إلى المحافظ في بيته قبل توجّهه إلى مكتبه، ففتح له الباب مبتسماً، وقال له: لا داعي للذهاب إلى بيت المحافظ، لقد حُلّ الموضوع وانتهى الأمر. فسأله أمين السر: ومَن حلّه ؟ قال: حلّه الشيخ صالح بنفسه، لقد جاءني في المنام وقال لي: يا أسعد أفندي، أكثروا من تحضير الكراسي فسيأتيكم ضيوف كثر... فضحكا وارتشفا قهوتهما الصباحية وهما في غاية البهجة والسرور.

ثمّ جرى الحفل بموعده المقرر، وفيه قلّد السيد جميل مردم بك رئيس الوزراء الوسامَ للشيخ صالح باسم السيد رئيس الجمهورية[1].

---

(1) يوجد هذا الموضوع مفصلاً، مع صورة الوسام، في كتابنا: (صفحاتٌ مجهولةٌ من ثورة الشيخ صالح العلي).

ج: النقيب عزيز آغا هارون:

هو ابن عم أسعد هارون، أرسله الملك فيصل مع مجموعة من الضبّاط النظاميين، وكان منهم النقيب جميل ماميش من مدينة اللاذقية أيضاً إلى الشيخ صالح العلي ليساعدوه في قيادة الثورة، وفي تنظيم وتدريب مجاهديها.

فقام الشيخ صالح بتعيين النقيبين عزيز هارون وجميل ماميش عضوين في هيئة أركان الثورة. وفي ربيع عام ١٩٢٠ شكّل النقيب عزيز هارون الفوج المِلِّيّ بمدينة حماه وجعل مقر قيادته بمدينة مصياف، وتولّى جميل ماميش قيادة كتيبة الفدائيين في هذا الفوج[١].

كما كان النقيب عزيز هارون ضابط الارتباط للتنسيق بين ثورة الشيخ صالح العلي وثورتي عمر البيطار في الحفة وإبراهيم هنانو في الشمال[٢] وعاش حياته كلّها وطنيّاً ثائراً متمرّداً، لم يتأثّر بوعود المستعمرين الفرنسيين ووعيدهم له، حتى غيّبه الموت عام ١٩٣٣ دون أن يعقب ذرّيّة.

د: علي عبد الواحد هارون:

---

(١) (صفحاتٌ مجهولةٌ من ثورة الشيخ صالح العلي)..

(٢) مما قاله لي المحامي نزار هارون (المؤلف).

أثناء انتخابات عام ١٩٤٣ البرلمانية في سوريا، كان أسعد هارون سجيناً سياسياً، فلم يتمكّن من الترشّح، فاعتمدت الكتلة الوطنية شقيقه علي هارون بدلاً منه في قائمتها. وهو صهر عبد القادر شريتح وزوج ابنته، فاحتلّ مقعداً برلمانياً، ولاحقاً منصباً وزارياً.

(عندما توفي عبد الواحد هارون عام ١٩٤١ سمح الفرنسيون لأسعد هارون بحضور جنازة والده، فأحضروه من سجنه مخفوراً، وبعد انتهاء مدّة التعزية أعادوه إلى سجنه مخفوراً أيضاً)[1].

ومن الشخصيات البارزة والمرموقة في عائلة آل هارون:

هـ: الشاعرة الكبيرة هند هارون، ابنة نديم آغا هارون شقيق عزيز هارون.

و: والشاعرة المبدعة عزيزة هارون، ابنة عمر آغا هارون.

وفي هذا اللقاء أخبرني المحامي نزار هارون أنه كان فتى يافعاً أثناء محاكمة سلمان المرشد، وقد حضر جميع جلسات المحاكمة، وكان يكتب عنها كل ما يراه ويسمعه ويفهمه، وما لا يفهمه، ويرسله إلى والده الذي كان وقتها، سفيراً لسوريا في

(١) (صفحاتٌ مجهولةٌ

إيران. حتى أن والده كتب له مرة يقول: ((هذا يعني أنك تلتهي عن دراستك)).

كما أخبرني فقال: إنني رأيت مرة سلمان المرشد وعلي بدّور يمتطيان جوادين أبيضين، وهما قادمان إلى بيتنا.

وقد أثارت انتباهي دبلوماسيّة حديث الأستاذ نزار وشفافيته، ودماثة أخلاقه، عندما وجّه نقداً لاذعاً، لكنْ بتهذيب، للسيد محمد جمال باروت حول بعض ما أورده في مقدمة مذكرات أحمد نهاد السيَّاف التي أصدرها (باروت) بكتاب (شعاع قبل الفجر) حول خلافات عبد القادر شريتح مع سلمان المرشد وتداعياتها. فهو لم يوافق باروت في كل ما ذكره عن شريتح. وهو (أي الأستاذ نزار هارون) سليل إحدى العائلتين اللتين كانتا تتنافسان على الزعامة في مدينة اللاذقية ومحافظتها في تلك الفترة.

ومن آل هارون يقول أحمد السيّاف:

((آل هارون من كبار ملاّك الأرض الغائبين الذين تميّزوا منذ عهد المتسلّمين في اللاذقية في القرن التاسع عشر بالزعامة، وقد مثّل عميدهم عبد الواحد هارون أقوى زعامة سنيّة في المدينة، فكان عضو القيادة المركزية السداسية لجمعية الاتحاد والترقّي في اللاذقية بعد الانقلاب الدستوري العثماني عام ١٩٠٩ (ضد السلطان عبد الحميد)، وكان أول مسلم في اللاذقية يتعلم اللغة الفرنسية، وعيّنه الكولونيل (نيجر) في مجلسه الاستشاري في مقاطعة العلويين، ليبرز بعد ذلك في زعامة الكتلة الوطنية باللاذقية، إلى أن أخذت زعامة آل شريتح وخاصة عبد القادر تحلّ مكانها بدءاً من ثلاثينيات القرن العشرين))[1].

وقد تعزّزت زعامة آل شريتح عندما تمكّن عبد القادر شريتح من الفوز بمقعد السّنّة عن مدينة اللاذقية في المجلس النيابي في انتخابات عام ١٩٣٧، إلى أن استعاده منه صهره (زوج

(١) شعاع قبل الف...

ابنته) علي عبد الواحد هارون في انتخابات عام ١٩٤٣ كما أسلفنا.

ومن رجالات آل هارون أيضاً: نديم آغا هارون، شقيق عزيز، ووالد الشاعرة هند والوزير الشاب توفيق الذي كان يقود المظاهرات ضد الفرنسيين. والشيخ منح بن أحمد خضر هارون، شقيق عزيز ونديم، وكان شاعراً وخطيباً ملهماً. توفي عام ١٩٤٢م[1].

(١) الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، أدهم آل الجندي، ص ٢٦ ـ ٢٧.



صورة بطاقة عضوية مجلس المبعوثان العثماني لعبد الواحد هارون

تواريخ لها دلالات:

ألقت الحكومة القبض على سلمان بتاريخ ١٣/٩/١٩٤٦[١].

- أصدر الرئيس شكري القوتلي المرسوم الجمهوري رقم (١٠١٠ تاريخ ١/١١/١٩٤٦ القاضي بتأليف مجلس عدلي (خاص) لمحاكمته[٢].

- بدأت أولى جلسات المحاكمة بتاريخ ٢٥/١١/١٩٤٦[٣].

- رفع المجلس النيابي الحصانة النيابية عنه بتاريخ ٧/١٢/١٩٤٦[٤].

- انتهت محاكمته بإصدار المجلس العدلي قراراً بإعدامه ورفيقيه بتاريخ ١٠/١٢/١٩٤٦[٥].

- صادق الرئيس شكري القوتلي على قرار الإعدام بالمرسوم رقم/١١٥٨د/تاريخ ١٤/١٢/١٩٤٦[٦].

- نفذ حكم الإعدام بهم فجر يوم ١٦/١٢/١٩٤٦[١].

---

(١) لمحات حول المرشدية . نور المضيء المرشد . ص ١١٤
(٢) نفس المصدر ص ١٤٥
(٣) نفس المصدر ص ١٤٥
(٤) نفس المصدر ص ١٣٩
(٥) نفس المصدر ص ١٤٥
(٦) نفس المصدر ص ١٤٥

وبهذا تكون:
١. المدة الفاصلة بين بداية محاكمته وصدور الحكم عليه (١٥) خمسة عشر يوماً.
٢. وبين رفع الحصانة النيابية عنه وصدور الحكم عليه (٣) ثلاثة أيام.
٣. وبين صدور الحكم عليه وتصديقه من رئيس الجمهورية (٤) أربعة أيام.
٤. وبين تصديق الحكم وتنفيذه (٢) يومين فقط.

أي أن هذه المسرحيّة الهزليّة المأساوية الظالمة جرت كلها على المسرح السوري خلال (٩٤) أربعة وتسعين يوماً، وهي المدة الفاصلة بين تاريخ إلقاء القبض عليه وتاريخ إعدامه !!!

من هنا وهناك:

يوجد عند المرشديين مناسبة يحتفلون بها سنوياً يسمونها (يوم التأسس والدخول)، وهي يوم توحيد العشائر الثلاث: (العمامرة والمهالبة والدراوسة) في عشيرة واحدة هي الغسّانية، بتاريخ ١٢/تموز/١٩٢٣. وقد أحيا لهم سلمان هذه المناسبة يحتفلون بها كل عام. وتسمى كذلك (ذكرى تأسيس المجتمع المرشدي) أو (ذكرى تأسيس اتحاد الشعب الغسّاني)[١].

ولديهم عيد واحد وحيد هو (عيد الفرح بالله) بتاريخ ٢٥ آب من كل عام الموافق ليوم إعلان مجيب للدعوة يحتفلون به مدة ثلاثة أيام.

. تعدد الطرائق إلى (الله) بعدد الخلائق.

. أبلغ النائب علي الحيّاني أحمد السيّاف طلبَ الحكومة منه: ((أن يشهد زوراً ضد سلمان في المحكمة بما يبرر إدانته والحكم عليه بالإعدام، لأن العناصر الجرمية في دعوى سلمان غير كافية لحكمه بالإعدام. وسلمان سيعدم سياسياً. وهم (أي الحكومة) سوف يربّون به سلطان الأطرش وجبل الدروز،

(١) لمحات حول المرشدية . نور المضيء مرشد ص ٣٤ .

والصحراء وشيوخها، والمعارضة. وعلى إثرها تحضر إلى الشام وتأخذ شيكاً على بياض تملؤه بالرّقم الذي تريده، ثم تذهب وزيراً مفوّضاً إلى أيّة عاصمة تختارها. وفي حالة العكس تكون أنت المسؤول عن حياتك وعن مستقبل عائلتك وأطفالك. أنا نقلت لك ما طلبوه منّي، وناقل الكفر ليس بكافر))[1]، وقد عقّب الأستاذحيدر مرشد قائلاً: (بل ناقل الكفر هو الكافر بحدّ ذاته لأنّه يعترف به، بل ويُشيعُهُ، أي ينشره ويمدُّه).

. وعندما حضر أحمد السيَّاف إلى المحكمة وأدلى بشهادته (كما يعلم وليس كما طلبوا منه) عزلوه من منصبه فوراً وعيّنوا بدلاً منه أديب العَسَلي شقيق وزير الداخلية صبري العَسَلي[2].

. كما عزلوا الأمير عبدالله تامر، وهو (اسماعيلي) وكان قائمقام منطقة الحفّة بعدما أدلى بشهادته في المحكمة، ومدح (سلمان) وأثنى عليه بما لا يستطيعه جماعة سلمان أنفسُهم[3].

---

(1) شعاع قبل الفجر - جمال باروت. ص ١٧٦ .

(2) شعاع قبل الفجر ص ١٨١ .

(3) لمحات حول المرشدية ص ١٣٦

. وكذلك فعل العقيد محمد علي عزمت قائد الشرطة باللاذقية الذي قاد حملة القبض على سلمان، حيث اعترف ((بدور سلمان المجيد بإخراج الجنود من الثكنات الفرنسية وإرجاعهم إلى الجيش الوطني الذي كان يُشكِّل حديثاً))(١).

. ومثلهم فعل الشيخ محمود داؤود حسن والد أم فاتح عندما طُلب إلى المحكمة ليقدِّم دعوى على سلمان لأجل قتله ابنته هلالة. فلمّا صعد إلى منصّة الشهود علِق بصره بسلمان وتهلّل وجهه. فقال له القاضي: ((هل أنت منفعل لأنّك رأيت مَن قتل ابنتك؟)) فأجابه: ((والله لست فرحاً بكم أنتم الذين تحاكمونه، بل إنني مسرور جداً لرؤيته هو . مشيراً إلى أبي فاتح .، وكنت في شوقٍ عظيمٍ لرؤيته))(٢).

كانت هذه شهادات الشهود الذين اختارتهم الحكومة بنفسها للإدلاء بشهاداتهم ضده. وقد رفض سلمان تقديم شهوده عندما طلبت منه المحكمة ذلك، واكتفى بشهود الحكومة.

. كانت فرنسا وبريطانيا تضغطان على الحكومة السورية للتعجيل بتنفيذ حكم الإعدام بسلمان، ولذلك عندما أرسل

---

(١) لمحات حول المرشدية ص ١٣٦ .

(٢) لمحات... ص ١٣٩ .

القائدان الوطنيان الكبيران سلطان باشا الأطرش والشيخ صالح العلي مندوبين عنهما (كلّ على حدة) لمقابلة الرئيس القوتلي ومطالبته بإلغاء حكم الإعدام، رفض مقابلتهما[1].

. بعد تنفيذ حكم الإعدام بسلمان، أرسل تشرشل رئيس وزراء بريطانيا برقية إلى الرئيس القوتلي يهنّئه بها على تخلُّصه من سلمان المرشد[2].

. اتّهم رجال الكتلة الوطنية بقتل رفيقهم في الكتلة ومناوئهم الدكتور عبد الرحمن شهبندر صيف عام ١٩٤٠ (وكان وطنيّاً). ففرّ إلى خارج البلاد (العراق) هرباً من الملاحقة كلّ من: عاصم النائلي وفوزي القباني وجميل مردم ولطفي الحفار وسعدالله الجابري، وكذلك زعيم اللاذقية عبد القادر شريتح. كما فرّ شكري القوتلي، الذي كان وزيراً في حكومة الرئيس هاشم الأتاسي وقتذاك، فرَّ إلى السعودية. وقد شكّل الفرنسيون محكمة خاصة بهذه القضية، قضت بتبرئة جميع المُتَّهمين بها، فعادوا جميعاً إلى البلاد ومنهم عبد القادر شريتح الذي

---

(١) لمحات حول المرشدية ص ١٤٦ .

(٢) لمحات... ص ١٤٦ .

اعتقله البريطانيون فور دخوله سوريا بتهمة العمالة للألمان، ثم أفرجوا عنه عندما عرض خدماته وتعهّد بالعمل لصالحهم[١].

. كانت التهمة الرئيسة ضد سلمان أثناء محاكمته هي التعامل مع المستعمر الفرنسي. وعندما لم تجد المحكمة أدلّة تثبت ذلك، أسقطتها عنه وبرّأته منها. فتلقّى رئيس المحكمة فؤاد المحاسني أمراً من رئيس الجمهورية شخصيّاً بوجوب إعدام سلمان بأيّة طريقة كانت. وقد اعترف هذا القاضي لأولاد سلمان بعد الحادثة بسنوات عديدة معترفاً بذلك بجبنه وبظلم سلمان ظلماً ربما لم تشهد الأيّام له مثيلاً[٢].

. عندما أصدرت المحكمة حكمها على سلمان بالإعدام قال: ((إذا كنت أنا أستحق الإعدام فمَن لا يستحقه؟))[٣].

ـ قال سلمان في إحدى جلسات المحاكمة: ((أنا لا يهمّني الشنق ولا الإعدام، بل يهمّني التهمة المنسوبة إليَّ بأنني عدو الاستقلال))[٤].

---

(١) لمحات حول المرشدية ص ٩٢ .

(٢) لمحات... ص ١٣١ .

(٣) لمحات... ص ١٣١ .

(٤) شعاع... ص ٢٦٩ .

مع العلم أن المجلس العدلي لم يتّهمه بادّعاء الربوبيّة لنفسه، ولم يحاكمه بهذه التّهمة[1].

الشهيد علي سلمان سعيد، من قرية القرمولية، ناحية المزيرعة، أعدم شنقاً مع سلمان. وعندما سألوه السؤال التقليدي الأخير: ماذا تطلب؟. أجابهم: أطلب تقبيل يد الأفندي (أي سلمان).

النزعة الإقليمية الضّيّقة (بعد الطائفيّة) عند سعد الله الجابري:

يقول أحمد السيّاب: ((من جديد يعود إليّ صوت علي الحيَّاني ليطلب إليّ مقابلة دولة الرئيس سعدالله الجابري، وما إن دخلت عليه حتى افترَّ ثغره عن ابتسامةٍ عريضةٍ ماكرة قائلاً: حَلَبي وَلَكْ حَلَبي مانَك شامي... لقد سايرنا سلمان حتى تمكَّنّا منه، فسايرنا أنت وسُبَّه معنا مثل ما عم نسبّه... لكنك بتبقى حَلَبي، رحت بدك تدافع عن الأخلاق والشرف بشكل أحرجت فيه موقفنا. قلت: وهل هذا هو ما تمَّ الاتفاق عليه، أهذا هو قَسَم الشرف بإصدار العفو؟! فقاطعني قائلاً: لقد أدّيتَ واجبك وانتهى... اترك السياسة لي. فقلت: أنا وأنت إلى زوال، وإنّ أخطاء الحكام والمسؤولين تدفع ثمنها الشعوب، والوطن ليس لك ولا لي بل هو للأجيال المتعاقبة عليه منذ البداية وحتى النهاية. افصلوا حقدكم على سلمان عن الجبل، واربحوا أبناءه بالحب لا بالقسوة...[1] هذا فراق بيني وبينك، والتاريخ حكم بيننا. وانسحبتُ دون أن أصافحه))[2].

---

(١) بقية الحديث ورد في مكان آخر . المؤلّف.

(٢) شعاع... ص ١٧١ . ١٧٢ .

عندما سألته المحكمة إن كان يطلب الشفقة، وقف قبل أن يعلن رئيس المجلس ختام المحاكمة ((وأعلن شكره لهيئة المجلس لأنها لم تتّهمه بجريمة الخيانة العظمى، ورفض طلب تخفيف الحكم. وقال: إنه وقد برّأته المحكمة من تهمة الخيانة العظمى فإنه لا يطلب الشفقة ولا يبالي بالإعدام)). ومن هنا تضمَّنت وصية المرشد ((لفّ جسده بالعلم السوري المفدّى))[1].

علي الحياني يكشف للسيّاف، ولكن بعد فوات الأوان، خطّة الحكومة لقتله مع سلمان:

(وقد نقلتُها عن رواية السيّاف مختصرة تجنباً للإطالة) (المؤلف).

يقول أحمد السيّاف: ((في صبيحة أحد أيّام الربيع، وأنا أتنفس الصعداء مع زوجتي وأولادي في منتزه السبيل (بحلب)، أقبل نحوي علي الحيّاني، فانقلب الجو إلى استعادة لمراحل مأساة اللاذقية. فعاتبته زوجتي لموقفه من تكليف الحكومة لي بأن أكون في قرية جوية برغال قبل أن تقع الواقعة، وأتعرّض لخطر ما سيعلق بنفوس العلويين (جماعة سلمان) فيقتلونني أو أُقتل برصاص المهاجمين من الشرطة والجيش)) فتنهّد الحيّاني واندفع قائلاً: ((الآن وقد انتهى سعد الله بوفاته، وانتهى سلمان، سأكاشفك الواقع. إنها خطّة مُدبَّرة قُصِدَ منها وضع أحمد في موقع الخطر، لأنه لا يمكن أن يلزم الصمت. فإن قُتل بقي السر مكنوماً (أي مدفوناً معه)، وعند ذلك سنكتب اسمه على إحدى المصفحات، ونخصّص لأفراد عائلته رواتب شهريّة، ويُصنَّف في عداد الشهداء)). عندها ثارت ثائرة أمّ نضال قائلة: ((الله لا يوفقهم أيتآمرون على رفيق نضالهم؟!)). وعندما عاتبتُه على موقفه المتخاذل (تجاهي) قال الحيّاني:

((الآن وقد أحرجتموني، أصارحكم أنّه لم يكن للحكومة بدّ من تنفيذ تلك الخطة التي أصرّت بريطانيا على تنفيذها...))[1].

ولو أن الحيّاني كشف الخطّة للسيّاف قبل وقوع الواقعة، لتغيّر مجرى الأحداث تماماً. لكن ربّما تلقّى تهديداً منهم بقتله، هو الآخر، إن فعل. لأن قتل مخالفيهم عندهم يُستهان، ويُنعش لهم الأرواح والأبدان، كالماء البارد للظمآن، في حَرِّ شهر حزيران.

(١) شعاع... ص ١٨٤ ـ ١٨٥

وسام جوقة الشرف (الفرنسي):

كان علي بدور أوّل علويّ تمنحه فرنسا (وسام جوقة الشرف) الفرنسي في عام ١٩٢٠[1].

وكان الثاني جابر العباس في عام ١٩٢٠ أيضاً.

والثالث إبراهيم الكنج فيما بعد.

وللقائلين بأن سلمان كان صناعة فرنسية، أَسألُهم: لو أنه كان كما تقولون، فلماذا لم يمنحه الفرنسيون هذا الوسام؟!

ولو أن الأمر كان كذلك، فهل كان القائدان الوطنيان الكبيران الشيخ صالح العلي وسلطان باشا الأطرش، الثائران ضد فرنسا مُذْ وَطِئت أقدامِ جنودها الأرض السورية بتاريخ ١٩١٨/١٠/٨ وحتى انسحاب آخر جندي فرنسي عن ثَراها بتاريخ ١٩٤٦/٤/١٦، تارة بالنار وأخرى بالسياسة، بما يمثّلانه من رمزيّة وطنيّة جهاديّة مقاومة، هل كانا سيلتمسان له عفواً عنه، وإلغاء لقرار إعدامه من الرئيس شكري القوتلي ؟!

---

(١) شعاع... ص ٢٨٣ .

- كان محاميا المرشد يوسف تقلا وبهيج تقي الدين.

((وقد أثار يوسف تقلا (وهو سوري من ريف حمص الشرقي) في الجلسة الثانية للمحاكمة تَعرُّض شهود الدفاع وتَعرُّضه إلى ضغوطات ومضايقات وتهديدات السلطة، وأعلن أمام المحكمة أنه لن ينسخب تحت هذا التأثير، ويتابع المهمة الموكَلَة إليه قياماً بواجباتها ومهامها)).أمّا المحامي الثاني بهيج تقي الدين (وهو لبناني من منطقة الشوف)، وزير الداخلية اللبناني لاحقاً، فقد قال في مرافعته: ((لو قُرئ تاريخ هذا الرجل، واستعرضت حياته السياسية على ضوء الوجدان، لرأينا أن ما نُسب إليه هو على عكس ما انطوى عليه تاريخه))(١).

رفع الحصانة عن النائب سلمان:

تقدَّم عضو البرلمان مظهر رسلان (الذي كان قبل ذلك محافظاً للاذقية) باقتراح إلى المجلس النيابي بتاريخ ٢٨/١١/١٩٤٦ يطلب فيه رفع الحصانة النيابية عن عضو المجلس (الموقوف) سلمان المرشد. فعقد المجلس جلسة خاصة لهذه الغاية بتاريخ ٧/١٢/١٩٤٦ ولم تستغرق إجراءات رفع الحصانة بدءاً من التقدم بالاقتراح وتلاوته وحتى إقراره أكثر من أربع دقائق!!! وتمَّ إقراره بالإجماع دون أيّة مناقشة.

ويقول المختصُّون بأن التصويت في تلك الجلسة يمكن تسميته تصويتاً سلبياً، إذ بلغ عدد الأعضاء المتغيبين عن الجلسة (٤٥) خمسة وأربعين نائباً من أصل (١٢٠) مئة وعشرين نائباً هم عدد أعضاء المجلس. وكان نصّ القرار كما يلي: ((بناء على الأعمال الجنائية التي قام بها نائب الحفّة سليمان المرشد، ومقاومته المسلحة لقوانين الدولة، وتآمره على سلامة الدولة، نقرر رفع صفة النيابة عنه لنتيجة المحاكمة)).

حتى مفردات قرار رفع الحصانة النيابية عنه لم تكن صحيحة ولا دقيقة، لكنها متماشية مع السياق العام لإدانة المرشد وإعدامه.

. قال فارس الخوري الذي كان رئيساً للمجلس النيابي أثناء جلسة رفع الحصانة: ((تمّ إقرار الاقتراح من دون أية مناقشة، وبالإجماع، حيث تمّ التصويت عليه (عبر) أصوات من المجلس تقول (نوافق بالإجماع)، فكان كافياً لاعتباره قراراً بالإجماع))[1].

. وقال فارس الخوري ((إن سلمان المرشد لم يدّعِ الألوهية، ولم يفرض ألوهيّته على أحد من شعبه، لكن شعبه كان يطيعه وينفّذ أوامره. وحتى لو كان هو الذي ادّعى الألوهيّة، فليس في القانون السوري ما يوجب إعدامه بهذه التهمة)). وتابع الخوري قائلاً: ((إن إعدام سلمان كان ظلماً وحسداً وعداء، والذي ظلمه هو سعد الله الجابري)). وقال أيضاً: ((لقد شرَّدوا أولاده غدراً. على كل حال، أنا ما كنت راضياً عن إعدامه))[2].

. قال سعد الله الجابري عن شقيقه إحسان الجابري ما يلي: ((إنه بالغ السوء. وليت السفينة التي حملته إلى سوريا غرقت وخلّصتنا من بلائه))[3].

---

(١) شعاع... ص ٢٧٢ .

(٢) أضواء على الهموم القومية . عبد الكريم قميرة ص ٨٣ .

(٣) أضواء على الهموم القومية ...

تعليق: يا سيادة رئيس الوزراء الغيور، طالما أنك كنت تعرف كل هذا عن أخيك المنحطّ أخلاقياً، والرديء السيئ سلوكياً، والمُتفلّت من القيم الإنسانية إلى هذه الدرجة من الانحدار القيمي، فلماذا مكّنته من رقاب الناس ومصائرهم ؟! ولماذا نصّبته همّاً ثقيلاً على قلوبهم عندما عيّنتَه محافظاً للاذقية ؟! ثم استحقّ أن يخرج منها مطروداً مهزوماً ذليلاً عام ١٩٣٩م. بتهديد وإنذار شديديّ اللهجة والجدّيّة من القائد سلمان المرشد ورفاقه ؟! بعدئذ أخذتك الحميَّة القبليَّة العشائرية الطائفية العائلية، فانتقمت له من طارديه بإنزال أشدّ العقوبات ببعضهم وهو الإعدام، ثأراً لكرامته وشرفه، وأنت تعترف أنه لم يكن يوماً ذا كرامة وشرف !!

- كانت أسرة شريتح قد استثمرت الصفات الفردية لسعد الله الجابري في العصبيَّة المفرطة وحبِّ التسلّط[١].

- كانت عينا سلمان ترقبان حبل المشنقة المتدلّي أمامهما عندما نظر إلى وزير الداخلية صبري العسلي وقال له: ((أهذا جزاء من آمن بشرف عهودكم؟!))[٢].

---

(١) أضواء على الهموم القومية لعبدالكريم قميرة . ص ٨٤ .

(٢) شعاع... ص ١٨٣ .

لم تكن مصادفة أن الأشخاص والقوى والجهات، داخل البلاد وخارجها، الذين وقفوا ضد سلمان المرشد وحاربوه، كانوا هم أنفسهم الذين وقفوا قبله ضد الشيخ صالح العلي بشخصه وبثورته وحاربوه. وأن الأشخاص والقوى الذين كانوا يتحالفون معه ويساعدونه في الانتخابات وغيرها، كانوا بمعظمهم قبله يتحالفون ويتعاونون مع الشيخ صالح العلي إبّان ثورته ضد الفرنسيين، أمثال: علي سليمان الأسد وجماعته في القرداحة، وآل هارون وجماعتهم بمدينة اللاذقية، وعمر البيطار وجماعته في منطقة الحفة. بالإضافة إلى جماهير الفقراء والمظلومين في الساحل السوري وسواه، بالرغم من حجم التضليل الإعلامي الهائل الذي مارسه أعداؤه عليه وعلى حركته وضدهما.

من الثقافة المرشدية:

يعتمد معظم بني البشر في عقائدهم الدينية مبدأ التثليث، وهو ((سرُ وجود ثلاثة أقانيم في الذات الإلهية))[1]، كما ورد في معظم الشرائع والمذاهب الدينية، والطرق الصوفية، التي اعتنقها بنو البشر على مَرِّ الدهور والأزمان، ثم انقرض معظمها واندثر، ولا يزال بعضها حاضراً موجوداً مُتَّبعاً حتى الآن.

أمّا المرشديون فيقولون: إنهم يعبدون الإله الواحد، وهو الله، ويُحِبُّون مَن يريدون، كما وجَّهَهُم مُعَلِّمُهم ساجي بقوله: ((نحن نؤلِّه لله ونحب مَن نريد)). إذن فالوحدانية عندهم هي نظرتهم الخاصة لله.أمّا إيمانهم بسلمان ومجيب وساجي فهو كما يلي:

فسلمان: هو الإمام المؤسس للعشيرة الغسّانية.

ومجيب: صاحب الدعوة ومُنَظِّرُها ومُطلِقُها، وواضعُ نهجها.

وساجي: مُعَلِّمُها وناشرها، وشارح مبادئها، ومُفَسِّر تعاليمها.

وهؤلاء الثلاثة يتمتّعون بصفة القداسة عند أتباع الدعوة.

---

(١) المنجد في اللغة والأعلام. ص ٧٣ .

وعلى عـادة أتبـاع كثيـر مـن المـذاهب فـي الاعتقـاد بوجـود كرامات ومعجزات خارقة للمعتـاد، تحصل على أيدي مؤسِّسـي هذه الطرق ومُنَظِّريها ودراويشـها، فـإن المرشـديين ينسبون لهم شيئاً منها:

.فسلمان: (غاب) ولم يمت، لكنّه (ارتقى وعلا). وسيَّان عندهم وجود جسده ومعرفـة مكـان دفنـه مـن عدمـه، لأن الجسد فانٍ، وللروح البقاء والخلود. وينسبون لـه نفور الماء بوجهه من مقام في أعلى قمَّة جبل النبـي نوفل فـي جوبـة برغال. وكذلك مشيه على سطح مياه نهر الفرات عنـدما كـان منفيَّاً إلـى الرَّقَّة دون أن يغوص فيها !! كمـا أنّـه علـم بمـا سيقع لهم قبل يومين من وقوعه، ولذلك أبعَد أصـحابَ الـرؤوس الحاميـة من رجالـه عن بيته وحارته كي لا يشتبكوا مع قوات الحكومة. وفور بدء رجال الحكومة بـإطلاق النــار علــى بيتــه وحارتــه أمـر رجالـه بإلقاء أسلحتهم والعودة إلى بيوتـهم دون مقاومة !!!.

-ومجيب: الـذي اغتالـه عبـد الحق شـحادة بـأمرٍ مباشـرٍ مـن أديب الشيشكلي عام ١٩٥٢ بعد إطـلاق الدعوة المرشدية بأقل من سنة ونصـف السـنة، فـإنّ المرشـديين ينسـبون لـه إحيـاء الميت، وإنطاق الأبكـم. وأثنـاء كتابـة هذه السطور صيف عام

٢٠١٦م (يقولون) بأن الميت الذي أحياه، والأبكم الذي أنطقه، لا يزالان على قيد الحياة حيَّيْن يرزقان، وعمر الواحد منهما الآن نحو سبعين عاماً. وهما معروفان بشكل شخصي من كثير من المرشديين. وعندما قُتِل مجيب أَخَذَ قَتَلَتُه جثَّتَه معهم، لذلك فإنّ قبره مجهول، ومكان دفنه غير معروف. ومجيب أعلن قيام الدعوة المرشدية صبيحة يوم ٢٥ آب ١٩٥١، لذلك سُمِّيَ (القائم الموعود).

. وساجي: الذي مات ميتة طبيعية عام ١٩٩٨، كان مُهاباً في حياته ومُطاعاً، مُتَنَقِّلاً في مناطق تواجد أتباع الدعوة لشرح تعاليمها وآدابها. وكان حيثما اتّجه، وأينما حلَّ، يحتشد الأتباع بين يديه، يفرحون بوجوده، ويتبرَّكون بالحضور معه والاستماع إليه. وقد دُفِنَ إلى جوار بيته في قرية مرشتي بناحية المزيرعة، وقبره عاديٌ وبسيط، يرتفع عن مستوى سطح الأرض بضعة سنتيمترات. وهو الوحيد الذي يُزار قبَره عند المرشديين. ولكن ليس له معجزات ماديَّة معلومة بحسب اعتقادهم، وزيارة قبره خياريَّة، وليس فيها أيَّة تقديمات أو ذبائح.

أمّا بقية الناس من أتباع الدعوة المرشدية (باستثناء هلالة أم فاتح التي لها عندهم مكانة خاصة ترتقي إلى مستوى

القداسـة). فجميعهم أنـاس عـاديون لا قداسـة لهـم. حتـى فـاتح، كبير أولاد سلمان، الذي كان والده يعتمد عليه كثيراً في الأمور الدنيويـة، هـو إنسـان عـادي، لا قداسـة لـه، مثـل بقيـة النـاس الآخرين، ولهذا عَمَدَ نور المضـيء إلى توضيح شيء هام جداً عندما وضـع كتابـه (لَمَحَات حـول المرشـدية) وضمَّنه كثيراً من تعاليمها الروحيـة، وتدرُّج نشـأتها وتطوّرها، وتبيان أهدافها...الخ فقد ذكر أن كل مـا أورده فـي هذا الكتـاب، ممّا يتعلّق بالدعوة، كان ((مـن تعليمـات ورسـائل المعلـم سـاجي المرشـد لأتباعـه ومريديه بين عـامي ١٩٨٠ . ١٩٨٩م حيث كـان ملازماً لـه، فأخـذها منـه مباشـرة))[1]. وخاصـة مـا تعلّـقَ منهـا بتعريـف المرشدية، كي لا يقع أي التبـاس فيفهم القارئ (خطأ) أنَّ ما ورد في التعريف هو من وضـع نور المضـيء، ذلك الإنسان العادي. وبوفاة ساجي عام ١٩٩٨م توقَّفت المرجعيَّة الدنيويـة للدعوة، ولم يُكلِّف أحداً من البشر بمتابعـة القيام بأعبائها ومهام نشرها.وبقيت

---

(١) لمحات حول المرشدية. ص ٤٩٥ .

المرجعيــة الروحيــة مسـتمرّة عبــر التعــاليم التــي خلّفهــا سـاجي للمريدين، يتمسّكون بها، ويعملون بهديها[1].

إن ما لمستُه عند المرشديين من صدق في التعامل، وبساطة في السلوك، ورغبة بالتعاون مع الآخر بمحبة وإخلاص... الخ لم يكن إلّا تطبيقاً للتعاليم التي رسمها لهم المعلم ساجي وأوصاهم باتباعها، ((ليكون الفرد إنساناً عزيزاً، يتمتَّع باستضاءة فكرية، وطهارة قلبية، ليصل إلى الأصالة الإنسانية التي تتمثَّل في خمسة أشياء:

١. ضميرٌ طاهرٌ مستَجْلَى من الإيمان بالله، والانسجام مع صفاته القدسية.

٢- فكرٌ وامضٌ من التماسّ مع الحقيقة.

٣ . قلبٌ نابضٌ بالطموح إلى الكمال الروحي، وإرادة الحياة.

٤ . قَدَمٌ ثابتُ الصفِّ مع قضايا الحق.

٥- وَيَدٌ ممدودةٌ بالخير للناس أجمعين))[2].

---

(١) معظم المعلومات الواردة في هذه الفقرة والفقرة التالية، حصلت عليها مشافهة ممن قابلتهم من المرشديين وسواهم (المؤلف).

(٢) لمحات حول المرشدية. ص ٤٩٥ .

كانت هذه هي التعاليم الأساسية للدعوة المرشدية التي تهدف إلى بناء الإنسان بناءً روحياً ومادياً يوصله إلى السعادة المطلقة في دنياه وآخرته.

مفهوم الإيمان عند المرشديين:

وقد أراد الأستاذ حيدر نور المضيء مرشد توضيح بعض نقاط هذه الفقرة بما يلي:

" نحن نؤلّه لله ونحبّ من نريد " هكذا نقول ، فنظرتنا إلى الله هي نظرة التوحيد التي كرّسها وأقامها محمّد في القرآن ولكنّنا أهل الإرادة ولا نقبل أن يُلزَم علينا من نحب ومن لا نحب بل نحنُ الذين نختار.

نؤمن بمنجاة الله، أي براءة الله إلى الناس، وأنّها أشرقت في مجيب. فسلمان هو من جمع العشيرة الموعودة ووحّدها في شعبٍ واحد، وأسّس لها الوجود، وأعطاها الشعور العزيز بوجودها، وسقاها الرجاء الطاهر بقرب القيامة، ثم علّق الآمال بالدعوة الآزفة عندما فدى شعبه على حبل المشنقة تهيئاً لاستقبال مجيب صاحب الدعوة وفاطرها، الذي وضع بنود الإيمان، وفجّر عيون المنى، ووهب المعرفة الحقيقية عن الله والحياة. التي فيها الشفاء والخلاص الموعود منذ القديم، ولذلك ما بقيت دعوته إلا كعمر الورود، بعد أن أكمل عطاءه، وعقد لنا في معرفته شخصيّاً، وفي صورته الرحيمة الطيّبة المهابة، شعور المنجاة العظيم. وأكمل من بعده ساجي المنى، فسجّر

بحور العلم الجديد، ونشر ضياء الهدى المزدلف، حتّى أوصله في تعليمه وأشعاره ومدرسته إلى كل بيت، وأدخله سلسليّاً إلى قلب كل طفلٍ وفتاة وكهل وامرأة، أصبحت بعد معاناةٍ وسنين تصدح بأطيب ما تصل إليه الصبوة بالله من مرتقى وحبور.

فباختصار:

. سلمان المؤسّس، فهو من أسّس العشيرة وأوجدها.

. مجيب المُعرِّف، فبه ومنه استقينا المنجاة الموعودة أي المعرفة الجديدة.

. ساجي المعلّم، فهو من نثر ضياء المعرفة وأزهره بين أتباع مجيب.

ويوضّح معنى القداسة عند المرشديين بقوله:

بل هؤلاء الثلاثة هم من سقوا القداسة سقياً، فليست القداسة عندنا كشأن أكثر الناس، شيئاً يفوق الطبيعة، بل كلّ طاهرٍ مقدّس، فهي حالة فطريّة تتفطّر بقلب كل منشرح على كلمات القداسة التي يرسلها الله في كلّ دور، لترفع الشعور وتمجّده، عن أغراض الدنيا وحطامها، إلى سموّ الاتّجاه، وصفاء التقدير. فالقداسة شأن كل عابدٍ محبٍّ لله طاهر السريرة.

ويتابع الأستاذ حيدر مرشد عن التساؤل إن كان المرشديّون يعتقدون بموت أم بغيبة سلمان فيقول :

كلّا بل الاثنان معاً. فجسده طبعاً قد مات ودُفن كما تموت كل الأجساد، فهي ظاهرة طبيعيّة من ظواهر الخلق، كالولادة والشيخوخة والمرض وسواها. وكذلك بالنسبة لمجيب وساجي طبعاً. أمّا كلمة غيبة فهذه لعزّتهم وكرامتهم عندنا، واحترامهم الفائق، فكيف تخاطب بالموت من أسقاك الحياة، وهيّأ لك الحياة الأبديّة ؟ صحيحٌ أنَّ أجسادهم ماتت كما تموت كل الأجساد، لكنّ شخصيّاتهم، أو ذواتهم، أي هم بذاتهم من كانوا يتلبّسون تلك الأجسام، ما زالوا على ديمومة الحيّ القيّوم.

ومن رأيهم بالمعجزات يوضح الأستاذ حيدر مرشد قائلاً:

ليست المعجزات بكرامات لدينا على الإطلاق، ولا يُكرَّم المرء، كائناً من كان، ولو كان رسولاً عظيماً، إلّا الأعمالُ الطاهرة التي تدلّ بنبلها عن كرامته وجدارته. فلم تكرّم المعجزات عيسى الذي أحيا الميت، وأشفى الأبرص، وقام من الموت. كما لم تكرّم موسى الذي شقّ البحر، واستحالت عصاه إلى أفعى، وارتدّت يده بيضاءً كريمة. كما لم تكرّم نوح الذي شقّ طوفان البحار بسفينته في معجزةٍ عظيمة. كما لم تكرّم سواهم من الكرماء، بل كرّمهم إيمانهم بقدرة الخالق الذي مدّهم بهذه القوّة، قوّة العزيمة والصبر، قوّة الإيمان والرحمة. ثم الذي صيّر هذه المعاجز على يدهم، فلم يشقّ البحار سوى الله، ولم يحيي الميت سواه، ولم يُنطق نبيّنا العظيم محمّد سواه وهو الأمي، ولكن ما كانت كرامة محمّد في معجزة النطق، بل في آية المعجزة، أي بما تفطّر بقلبه من إيمان ومعرفة بالخالق.فالكرامة تكون بالله، أي باسم الله وليس ببعض العون الذي يجعله سبيلاً للإيمان والمعرفة كالمعاجز مثلاً. وهكذا أحبّ للجميع النظر بهذه الروحانيّة الخالصة (أي المعنويّة الخالصة) وليس بقشور ما تراكم من معتقدات البشر الساذجة.

وأمّا سلمان فهو العجب العجاب... فكيف فعل ابن ستّة عشر عاماً بشعبٍ تآكلته السنون، وهدّته المآسي، وعشّشت في خلاياه عناكب الفقر والجهل، مسحوق لا يقوى على لفّ سيكارة عربيّة، معزولٌ في الجبال، مستوحش عن كلّ حضارة، ثمّ يحول بين يديه هذا العود اليابس الجافّ بعد أن يكسّره هذا الصفيّ إلى عودٍ أخضرٍ فارع يافع متقطّر بالحياة والروح، متفاوح بالطيب، متنسّم بالطهارة متنامي للازدهار... ثمّ يأتي مجيب غلام وليس إلّا بالعشرين، ليلغي مأساة أبيه التي لا تلغيها الدهور، وفي سواه لبقيت مئات السنين وذلك في ظرف لا شيء من الوقت، وليستحيل بين يديه هذا الشعب المنكوب المرغوب، وفي سنة وثلاثة أشهر إلى أسود ضارية تتهزّج أمام القائد الجديد ساجي ليعلّمها الترنيمة الجديدة، والرقصة الفريدة، التي لم يتعلّمها في كلّ الشعوب سوى هذه القلّة القليلة، ثم لتتكامل بين يديه، وتبتني من الروح الجديدة بيتاً لها، وتزدهر على أنغام مزاميره،قاطفةً الفوز العظيم الذي لولاه كان ضاع هباءً، وذلك في فترةٍ زمنيّة هي معجزة بحدّ ذاتها في صناعة الشعوب، وبناء الأعراف، وتمجيد الأفكار، وضياء الإدراك. تحتار من سرعتها العقول، وتذهل بها الأفكار.إن لم يكن

تغيير إنسان من دابّة أرضيّة تولد وتموت وتعيش في بلادة فكريّة وحقارة قلبيّة إلى إنسان صاحب فكرٍ نائر متّسع، قادر على ملامسة الحقيقة على اتّساعها، وقلبيّة متفطّرة على حبّ الحقّ والخير، تسمو بذاتها عن أوضاع الدنيا ووضعيّاتها، وحطامها وأغراضها، ولو أخذت حاجتها فقط إلى ما عند صاحب الخليقة من شموخٍ وعزّة ورفعة جاهزة لتقبّل الحياة، ومنفتحة على عالمها، ومتضوّعةً أنفاسُها بالزكاوة والطهر الخالد، فأيّ معاجزٍ تلك التي يُسمّوها مادّية ؟ أتحريك الجبال أصعب أم إحياء أجساد ميّتة أصلاً من موتٍ إلى موتٍ، أو شفاء أعمى إلى عمى بصيرة داخليّة، أو إنطاق أخرس لم ينطق بالأصل سوى كلمات الكفر والتفاهة ؟!!! إنّ ما عند الله أبقى ولكن لا يدرك الحائرون !!

فلينفض عن نفسه كلُّ ذي صبوةٍ إلى الحقيقة غبار اليأس، وليترنّح ليقوم كلّ من دبّ الشلل في عروقه، وليأتي في لياقة المعنى، وصدق الرجاء، ولطف الحضور، ليّناً مطواعاً أمام أعتاب الحقيقة الداليات اللاتي لا ينالهنّ إلّا كل ذي قلبٍ شكور.

مواعيد احتفالاتهم ومناسباتهم:

توجد لدى المرشديين ثلاث مناسبات في العام يحتفلون بها.

ومواعيدها في:

١ - ٥ أيّار، وفيها أدعية شكرٍ لله وللخضر.

٢ -١٢ تموز، يوم الدخول. وفيها صلاة.

٣- ٥ تشرين الأول، يجتمعون مساء للاحتفال فرحاً بمناسبة خروج مجيب من السجن، وانتصاره على قوى البغي، عام ١٩٥٢م. وفيها غناء ودبكة ورقص، وترديد أشعار مجيب والمعلم ساجي، التي تمجِّد الله وتتغنَّى به. وليس فيها صلاة.

وحول نظرة المرشديين للسيدة هلالة أم فاتح وولديها فاتح ونور المضيء يقول الأستاذ حيدر مرشد:

((بالنسبة لهلالة أم فاتح هي عندنا مكرَّمة ومحترمة جداً، بل وفي مقام أمّ الشعب المرشدي، وبالنسبة لولديها فاتح ونور المضيء فهما ليسا بأسياد على أحد، بل سيّدان بنفسيهما كما يجب أن يكون كل مرشدي. وهما محترمان جداً لما شعَّت بهما الكرامة وأصدقت.

أمّا بشأن القداسة فهي شأن الجميع كلٌّ حسب طهره، أي قداسته، فنحن شعب القدس، وإمامنا ساقي القدس منبت الأرواح الطاهرات في نفوسنا الطيبة. كلُّنا أمام الحق إخوة، لا فرق بيننا إلا بما حصَّل كل واحد لنفسه من نِعَم وروح)).

٤. ولديهم **عيد واحد** وحيد فقط هو (عيد الفرح بالله) بتاريخ ٢٥ آب من كل عام يلبسون فيه أفضل ما لديهم من اللباس، ولا يشترط أن يكون جديداً، بل المهم أن يكون نظيفاً. وفيه حلوى، تحضر كل أسرة منها ما يسمح وضعها المادي بذلك. ويحتفلون به ثلاثة أيام متتالية، وفيه صلاة.وفي العيد يتزاورون فيما بينهم، يقول الزائر للمُزار،تهنئة له بالعيد: ((هنأكَ الله على الإيمان)). فيجيبه المُزار: ((وأسعد حياتَك)). ويتقبلون المعايدات من أبناء الطوائف الأخرى.

٥. **وفي الصلاة**، ليست لدى المرشديين أماكن خاصة بالصلاة، كالمساجد والكنائس مثلاً وسواها. ولذلك فهم يقيمون صلواتهم ويؤدّونها في بيوت سكناهم، بشكل فرديٍ

أو جماعي. وفي كل صلاة يختارون منهم شخصاً يؤمّهم فيها، رجل يؤمّ الرجال، وامرأة تؤمّ النساء.

٦. **ويما أنه ليس لديهم مشايخ منذ قيامة مجيب وساجي** فإنهم يختارون في كل محلّة (قرية أو حيّ) رجلاً يتّصف بالكفاءة، والسمعة الطيبة، والأخلاق الحميدة، ويحمل شهادة علمية لا تقل عن الثانوية، لتلقين الناشئة (الصلاة) المرشدية عندما يبلغون سن الرابعة عشرة من العمر. وهذا الرجل يدعى (المُلَقِّن).

٧. وفي الوفاة: يقول المعزّي للمعزَّى: ((أحسن الله خلاصه)). فيجيبه المعزَّى: ((شكراً لك يا أخ)). أو بأيّة عبارة أخرى معبّرة.

٨. **الصلاة على الميت:** عندهم صلاة خاصة يؤدّيها أحد أفراد أسرة المُتوفَّى. أو يكلّفون (المُلقِّن) بذلك لأن لديه الإمكانية والجرأة. ولأنه يحفظها جيداً ومُعتاد على قراءتها. وهذه الصلاة تؤدَّى جهراً.

٩. **وهم لا يقيمون** أبنية ولا أضرحة فوق القبور. ولا يزورون القبور للتبرُّك وسواه.

١٠. **والمرشديون يؤمنون بتناسخ الأرواح أي (التقمّص)** لأنهم يؤمنون بأن عزّة الله الحليمة والغَفورة تُعطي فرصاً متعددة للأرواح كي تكتمل بفعل إنساني أي شخصية إنسانية تُقيمها طاهرة خالصة مؤهَّلة للحياة.

١١. **ويهتمون كثيراً بمبدأ التعاون بينهم**، ومساعدة بعضهم بما يلزم، وخاصة في الأمور المادية. فهم يقدّمون الأموال تبرّعاً ويدفعونها لمحتاجيها مثل: الأسر الفقيرة، أو المرضى الذين يحتاجون علاجاً مُكلِفاً، أو عمليات جراحية عالية التكاليف، أو للطلاب الفقراء، وللمنكوبين بالحوادث أو الكوارث الطبيعية... وغير ذلك.

يقول الأستاذ حيدر مرشد: (ليس عندنا جمعيات خيرية على الإطلاق، ولسنا بمنظمة اجتماعية، فالعون عندنا محدود بالحاجة والطلب، أي وجود الحاجة من جهة، وطلب المحتاج من جهة ثانية. وأيضاً للمعلومة حاجته ولو لم يطلب. ولكن جوهر الأمر في العون هو فعل الخير. والخير لا يكون خيراً إلا إذا خرج تلقائياً من النفس بمبادرة طاهرة لا يعكّرها ترتيب، ولا يُبطِل أو يفسق معدنيّتها فرض أو إحراج، ولذلك ترى العون في صفوف المرشديين خفياً

غير ظاهر في معظمه. وهو إذا ظهر يكون ظهوره طبيعياً، لأن ظهوره لا مناص منه لطبيعة الحدث. ففي السماحات عندنا لا يُعلَمُ من تبرَّع ومن لم يتبرّع لإقامة الساحة أو إصلاح شيء بها، ولا قيمة المبلغ الذي دُفِعَ. وفي الوفاة لا تُعْلَمُ أيضاً تفاصيل الأمر، ولا في الأمراض والحوادث وسواها... فهو ظاهرة جماعية ظاهرة، ولكنها، وإلى حد كبير، قطاف فردي ثامر).

قال لي صديق مرشدي، بينما كنا نتحدث حول تعليم المرشديين: إن الرئيس حافظ الأسد كان من ضباط قيادة الثورة الذين اتّخذوا قرارات كثيرة تقضي بافتتاح المدارس ونشر التعليم المجاني في جميع أنحاء سوريا. وكان للرئيس حافظ الأسد فضل كبير في ذلك، لكن لم يتمّ فتح مدارس داخلية في مناطق المرشديين، بل مدارس رسمية عادية كما في كل المناطق السورية.

وقد أوضح الأستاذ حيدر مرشد الموضوع كما يلي:

((إمامنا ساجي أقام مدرسته فقط لتعليم المعرفة الجديدة عن الله ونشر ضيائها بين صفوف أتباعه في سائر المناطق التي يتواجدون بها في اللاذقية والغاب وحمص. أي هي

ثقافة روحية. وكان الشرط البدائي للدخول إلى المدرسة الحصول على شهادة التاسع الإعدادي على الأقل ، ثم أصبحت بعد ذلك الحصول على الثانوية العامة، وذلك لأن هذه المعرفة لا يمكن أن يستوعبها، أو يتفهم مفرداتها، أو يتابع مجرياتها إلا من كان لديه بعض التحصيل العلمي. ولكن هذا الأمر شكل تلقائياً دافعاً كبيراً لدى اليافعين وذويهم للتحصيل العلمي ونيل الشهادات، ذكوراً كانوا أم إناثاً، فمدرسته كانت للجميع، أما المدرسة فكانت دورية، أي على دورات في كل منطقة، وكل دورة مؤلفة من بعض الجلسات خلال عدة أيام)).

وأضاف صديقي المرشدي قائلاً:

لقد قام إمامنا ساجي بن سلمان المرشد . لتشجيع التعليم بين أبناء الطائفة المرشدية . بافتتاح مدارس خاصة مجانية في اللاذقية والغاب وحمص، كان يديرها بنفسه، ويشرح فيها المعرفة الجديدة عن الله، واستقبل فيها طالبي العلم كافة في البداية، ثم الحاصلين منهم على شهادات علمية فقط. فكان هذا دافعاً لكل الشباب المرشديين من الجنسين لنيل الشهادات العلمية من المدارس الحكومية الرسمية كي

يتمكنوا من الانتساب إلى مدارس الإمام التي لا تتطلّب دواماً يومياً لطلابها، بل يكون فيها الدوام مقتصراً على الأيام التي يتواجد فيها الإمام فقط.

والرئيس حافظ الأسد لم يمانع بذلك، بل أوقف الملاحقات التي كانت السلطات السابقة للثورة قد شرّعتها رسمياً، فألغى جميع تلك التشريعات ضد المرشديين عندما صار وزيراً للدفاع. ولذلك فإن المرشديين يشكرونه جزيل الشكر على مواقفه تلك. وله عند معظمهم احترام كبير ومحبة. ثم تابع صديقي المرشدي قائلاً: إن الإمام ساجي المرشد قام بإهداء الدولة بيته العصري الجميل والأنيق، مع أرض بجواره في قرية (نبل الخطيب) بمنطقة الغاب. واشترط على الحكومة تحويله إلى مركز ثقافي لتشجيع الثقافة والفنون بمنطقةالغاب.

وبسبب سياسة الرئيس الأسد هذه، وتشجيع الإمام ساجي، انقلبت أحوال المرشديين رأساً على عقب، وصارت نسبة التعليم والتحصيل العلمي عندهم الآن أعلى من أية شريحة اجتماعية أخرى في سورية.

رسالة الدكتور عبداللطيف اليونس إلى أحمد السيَّاف بعد إدلائه بشهادته وعزله من منصبه(*).

يقول السيَّاف: لقد وردتني في هذه الفترة رسالة من الأديب الكبير عبد اللطيف اليونس هذا نصها:

"حضرة صاحب السعادة والمجد الوطني الوفي الأبي أحمد بك السيَّاف الأكرم...

أقدّم لشخصك النبيل أحرّ العواطف، وأصدق التحيات والتمنيات، مشفوعة بخالص الاحترام وصادق الاعتبار. ومُعرِباً لك عن هذا الشوق الطاغي والحنين الجارف لمشاهدتك والتمتع بلقياك وبعد... واللهِ:

ما طول مكثي عنك من مللٍ

ولا تعودتُ عن وصلٍ بهجرانِ

ولكنها الظروف القاسية العاتية القاهرة... ولكنها أحوال سياسية ومرضية، وأشياء أتعب من السياسة وألم المرض، وهو وفاة شقيقتي التي تهدّم بوفاتها جزء من كياني كعاطفةٍ وكشعورٍ وكإنسان. ويستحيل عليَّ أن أنساك، أو أنسى أياديك البيض

(*) شعاع قبل الفجر ـ أحمد السيّاف ـ ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

وفضائلك الكثر. بل يستحيل عليَّ أن أغلق الفم، أو أسكت اللسان عن التحدّث عن مزاياك التي لم يعرف الناس في هذا المحيط أكثر من شعورها ترفاً، وحسها إرهافاً، وعاطفتها صدقاً. فيا رعاك الله، إنك في العين ملء العين، وفي القلب ملء القلب، وفي اللسان الحديث الدائم للسان.ويا رعاك الله...
أين أنت الآن ؟ لقد بحثت عنك كثيراً فلم أجدك إلا في الوجدان النبيل، والضمير الحرّ. وإلّا في صميم العاطفة، وقدس التهذيب. وعزَّ عليَّ كثيراً أن أراك في دنيا الناس، وأنت فوق مستوى الكثير من الناس. ويا حماك الله من الأذى...
كيف خلَّفتنا هكذا سريعاً بين غفوة النائم، ويقظة الحالم ؟ ثم امتطيت شهباً من المثالية إلى حيث لا يراك إلا من ينظر بنور القلب، وإشعاع النفس، وترف الشعور.

يا أخي ويا حبيبي ويا عيوني...

ليس لك أن تنساني، لأني لم أنسَكَ ولن أنساك. ولو فعلت واللهِ لما قدرت. فنحن رفيقا أملٍ، وحليفا أَلَم. ونحن كما يعرف الإنسان المتجرِّد بضعة من الإنسان المتجرد. فابقَ كما عرفك الناس تنظر من علٍ، وعلى فمك النبيل ترتسم ابتسامة الثقة والهدوء والاطمئنان. واتركني بين هذه المفتريات أجهد النفس

بإبطالها وهي لا تستحق حتى مجرد الاهتمام. وابقَ كما أنت أخاً وفياً لأخيك الوفي.

عبد اللطيف اليونس

((صافيتا ٢٠/١/١٩٤٧))

سلمان المرشد في عيون مريديه:

كتبها الأستاذ حيدر نور المضيء مرشد:

يا أستاذ (عيسى) لقد كرهت كلمة "وطنيّة" من كثرة ما تمّ تسويقها وتعكيرها. ليست الوطنيّة إلّا أثر الفضيلة النفسيّة على العمل العام في بلاد المرء لا أكثر، فليست الغاية في الحجارة والسهول والجبال، ولا في الناس حتّى، لأنّ منهم الصالح ومنهم الطالح، بل في جوهر المجتمع الصالح وهو الفضيلة، أو بقول آخر إرادة الخير للجميع، وهي ليست بحدودٍ إقليمية بل عالميّة وكونيّة.

سلمان وبكل صراحة لم يكن ثائراً وطنيّاً أو قوميّاً بالمعنى السياسي المعروف للأمر أبداً، بل كان زعيماً وقائداً حرّاً أبيّاً، فضيل النفس، كريم العبور، ذلّت له النفوس، ولانت تحت عصاه الخضراء قلوب محبّيه، وتودّدت إليه الجموع من جواره لما لمست من حمدانيته، ولما آنست من لطفه، ولما فرحت من عزّة ما عكس عليها من أنفة وإباء وقوّة وجرأةٍ، فأرجو عدم قياس سيرته أو تشبيهها بصالح العلي، ولا بسلطان باشا الأطرش، ولا هنانو، ولا سواهم من المشار لهم بكلمة ثوّار بالمعنى السياسيّ المعلوم، مع ما لهذه الأسماء عند ناظريها

من مكانة. فسلمان هو الفرد المتفرّد الّذي لا شبيه له، والنجم البارق الذي جاءته الشهرة ولم يسعَ لها، من كلّ حدبٍ وصوب، بل ولم يكن مكترثاً بها أبداً، وكان يتمنّى لو يعفيه أحد حتّى من العمل النيابي، وهو أوّل ما أوكل أحداً آخر في بادئ الأمر لكنّه اضطر للتكفّل بها لأنّه لم يكن هناك أمين على مصلحة قومه سواه، أو مؤهّل للحديث الاجتماعي أو السياسي العادي وفي أقلّ تطلّباته سواه.

والحقّ أقول لك جاءته فرنسا تعاديه مع أنّه لم يشهر عليها سيفاً، بل ولمجرّد أنّهم سمعوا بصيحة الحقّ التي تنادى بها في عشيرته، وجاءه الإقطاع بكلّ أشخاصه يعاديه لأنّه أراد العدل والحياة لشعبه، والرزق الكريم. وجاءته بريطانيا وفرنسا تعاديانه ثانيةً لأنّه وبكل بساطة لم يأتمر بأمرهما، ولم يقبل إلّا أن يكون طرفاً مستقلاً له رأيه، ولعشيرته مواقفها الخاصّة، فرفض التبعيّة، ولم يستطيعوا أن يسخّروه ويستخدموه كما استخدموا الجميع تقريباً، فمن أكثر زعماء مدينة اللاذقية إلى أكثر زعماء دمشق، إلى زعماء الإقطاع إلى حتّى كثير من زعامات الساحل ومخبريهم ومشايخهم باستثناء بعض المخلصين منهم، إلى أن يطال الأمر عديداً من أولئك الذين أسموهم ثواراً، أي

الذين خلقت بريطانيا بواسطتهم حركة وطنيّة لم يسمعوا بها قبل أن تناديهم بها بريطانيا لتعكّر على فرنسا أعمالها، ولتحمي بترولها اللعين. أولئك الذين عظّمتهم الناس ورفعت لهم الأبواق، كانوا يتقاضون الرواتب من فرنسا نتيجة سكوتهم بعد ذلك، وكان تدريس أولادهم في بيروت على حساب فرنسا. أمّا الوحيد الذي لم يستجب لإمرة ظالمه فهو الذي تمّ الإجماع المطلق على شنقه واتهامه بالخيانة والعمالة والجريمة، وذلك من الكل، بريطانيا وفرنسا والإقطاع والكتلة الوطنيّة، وظلّ معظم زعماء الساحل ووجهائهم في أوكارهم خشيةً على أنفسهم وأرزاقهم من العسف والردّ إن هم قالوا كلمةً واحدة، أولئك الذين لولا سلمان لكانوا ما زالوا في جحيم الماضي الذليل.

فكلاً وألف كلّا، ولا أبالي بلومة اللائمين، سلمان ليس بطلاً أو رمزاً وطنيّاً، ولا ثائراً سياسيّاً، بل هو زعيمنا الأوحد ونجمنا البارق، وسيّدنا الباقي. بل هو معنانا وصخرة أساسنا وموجدنا، حبيبنا راعينا وحنظنا منه حقّ سلامنا، فإليه نسلّم قلوبنا وأرواحنا.

نحنُ لا نفخـر بالوطنيّـة المزعومـة كغيرنـا، بـل لا نفخـر إلّا بهداية الله التي تشرّفنا، وتشرّف الوطن، وتشرّف كل العالمين، وحقّت الكلمة.

رَجْعُ الصدى:

الحياة في حالة حركة دائمة لا تتوقّف. والأمم، كل الأمم، تدور في فلك هذه الحياة، وبالتالي فهي خاضعة لنواميس هذه الحركة وقوانينها.

والأمم الحيّة هي التي تتخذ لها محطاتٍ على درب مسيرتها الحضارية المتصاعدة، لتقويم هذه المسيرة، فتعزِّز خطواتها الناجحة، وتهمل الفاشلة. هذا التقويم القائم على الواقعية، مُحترِماً المصداقية، مبتعداً عن الرشى التنظيرية، و((المجاملات التي تضيّع الحقوق)).

إنّ أحد أوجه التقويم في هذه المحطات هو إعادة كتابة تاريخ منطقةٍ ما، في حقبةٍ ما، بغية تصحيح أخطاء وقع بها مؤرِّخو هذه الفترة أو تلك، بقصد أو بغير قصد. في محاولة لإظهار الحقيقة، وإنصاف المظلومين.

كلنا نقول . مختصين وغير مختصين . بضرورة البحث المنطقي في تاريخ أمتنا. بل ونصل إلى حدِّ المطالبة بإعادة كتابته من جديد، لأنه مكتوب بسيف الأقوى، وسطوة المنتصر، وسوط الجلاد. وقد سمعت أن محاولات عديدة جرت في الماضي لإعادة كتابة تاريخنا، لكنها فشلت !!!.

ومن أسباب فشلها أن كثيراً من المعلومات التاريخية . حتى ولو كانت غير صادقة، ونتيجة لتقادم الزمن على كتابتها، قد اكتسبت مصداقية لا تقبل التشكيك بها. وأية محاولة لنفض غبار الزمن عنها، يعتبر عبثاً بثوابت التاريخ، وإساءة لمُقدّساته. لأنّ المصطلحات الواردة في هذه المعلومات (الوثائق) أصبحت من المُقَدَّسات، ورسخت في العقول رسوخ الحقائق. وقد عانيتُ (شخصياً) من هذه المشكلة ثلاث مرات، على الأقل، حتى الآن.

المرة الأولى: بعدما صدر كتابي ((صفحاتٌ مجهولةٌ من ثورة الشيخ صالح العلي)) عام ٢٠٠٧م، عندما خالفت بعض معلوماته المُوَثَّقة، بعض المعلومات الشائعة المتداولة مشافهة بالتواتر، مثل: الجماعة الفلانية حاربت المستعمر الفرنسي مع الشيخ صالح، والجماعة الفلانية الأخرى لم تحارب...الخ.

المرة الثانية: كانت بعد إصداري كتابي الآخر ((هل هي كرامة أم بِدْعَة ؟!)) عام ٢٠١٢م بطبعته الثانية المُنَقَّحة والمزيدة، عندما لامَسَتْ معلوماته ثقافة سائدة ثابتة في قرارة نفوس البسطاء المضلَّلين الذين لم يأخذوا نصيبهم من التعليم، ويرعاها المشعوذون المحتالون. مثل: نفور الماء في وجوه

(المؤمنين) . الذين كانوا لُصوصاً فاسدين إبان أدائهم لخدماتهم الوظيفية في الشأن العام . عندما يدخلون أضرحة الأولياء الصالحين للزيارة والتبرك.

والمرة الثالثة: الآن، في كتابي الجديد هذا ((وَميضٌ في الغَسَق)). عندما غرزتُ يراعي في إحدى زوايا التاريخ القريب نسبياً، لأنبش منه معلومات حقيقية، لُفَّتْ بأكاذيب مُلَفَّقة، وُضِّبَتْ بمهارة وإتقان، ودُفِنَتْ مع صاحبها في غياهب المجهول، كي لا تعود إلى الظهور ثانية. واستبدلوها بمعلومات كاذبة، أحسنوا تزويقها وبهرجتها وتسويقها، فقَبِلَها الناس وصدَّقوها، حتى اعتمدوها حقائق أكيدة غير قابلة للشك أو التشكيك. وذلك بعدما اطّلع بعضهم على بعض عناوينه المخطوطة.

إن بعض الذين كنت أسمعهم يطالبون بإعادة كتابة التاريخ . إنصافاً للحقيقة . سمعتهم اليوم يقولون لي: إنك تعبث بالمقدَّسات، وتبحث بالمسلَّمات، وتثير الشُبُهات، لأنك تسبح بعكس التيار !!.

كلنا نتشدَّق بشعارات إصلاح أوضاع أمتنا المنكودة، ومحاربة الفساد والفاسدين في وطننا المنكوب. ونُحمِّلُ مثقفي الوطن

والأمة مسؤولية ذلك، لأنهم العلماء. ((والعلماء والأمراء إن صلحوا تصلح الأمة)).

ولكن ما إن يمتشق أحد هؤلاء (العلماء) يراعه لفعل شيء ما في هذا المجال، حتى ننبري لتكسير هذا اليراع. وقد نقطع الأصابع الثلاث التي تمسك به من كفِّ هذا المثقف.

نفعل هذا ولا نتَّهم أنفسنا بالكيل بمكيالين، بل يبقى هذا شعاراً نتَّهم به أعداءنا الغربيين الظالمين. وبنفس الوقت نقوم نحن بأنفسنا بتنفيذ ما يريده الغرب الظالم لنا نيابة عنه، فيحقِّق ما يطلبه منا دون أن نكلفه شيئاً. فهو يريدنا أن نبقى ضعفاء متفرقين جهلاء، مشتتي الأفكار والآراء، مبهورين بما يقدمه لنا من حاجات استهلاكية آنية لا تساهم في بناء لبنة واحدة في صرح حضارة الأمة، ضعفاء لا نملك القدرة على القول له (لا). وهو يحتقرنا بمناسبة وبدون مناسبة. نحن نضعف أنفسنا بأنفسنا خدمة له !!!.

منذ ألف سنة ونيِّف ونحن على هذه الحالة، باستثناء بعض (الهبَّات) التي زارت هنا وهناك لفترات قصيرة. وسنبقى هكذا إلى حيث ما يشاء الله إذا لم نسمح بتفجير الطاقات البشرية الموجودة عند إنساننا العربي، متكاملة مع ما يمتلكه وطننا من

ثروات سطحية ظاهرة، وباطنية هائلة تمكنه من إعادة تموضعه بين الكبار من بُناة الحضارات الإنسانية. لا أن نبقى (ضيوفاً) شحّاذين متسوّلين، غير مرغوب بهم، على موائد اللئام.

أخيراً: ليتني أرانا وقد حكم العقل سلوكنا، فقَبِلْنا بعضنا حينما قَبِلَ أحدنا الآخر.

كلمة شكر:

بوصول كتابي (وَميضٌ في الغَسَق) إلى شاطئ السلامة والأمان. وبعد أن مخرت به عباب بحر هائج مضطرب بالأفكار والثقافات المختلفة المُتَعَدِّدَة، عابراً به كثيراً من المرافئ المادية والمعنوية، تارة للتزود بالوقود (المعلومات) لمتابعة المسير، وتارة أخرى طلباً للاستلقاء مسترخياً على رمال تلك الشواطئ والمرافئ في (استراحة محارب)، أجني له جنىً من هنا ورحيقاً من هناك. وقبل أن ألقي بقلمي جانباً، منتظراً ردود الأفعال عليه من كل جهة وجانب، في حالتي السلب أو الإيجاب، لأن هذه طبيعة الأشياء.

أقول: قبل كل ذلك لابد من توجيه الشكر والامتنان لكل من قدَّم لي أيَّة مساعدة مادية أو معنوية، سواء أكانت بالمشورة أو الرأي، أو الوثيقة والمعلومة، أو بالكلمة المشجعة، أو بالنصيحة... الخ. وأخص منهم بالذكر:

١- أدباء محافظتي اللاذقية وطرطوس ومنهم المحامي الدكتور الباحث أحمد عمران الزاوي، والأديب الباحث عبد الكريم قميرة، والشاعر الباحث عبد اللطيف محرز.

٢- الشباب المرشديون الذين التقيتهم ومنهم الأستاذ غيادق سعيد الذي رافقني بعملي هذا من خطواته الأولى .

٣- المحامي الأستاذ نزار أسعد عبد الواحد هارون.

٤- أصدقائي الذين نصحوني بعدم الكتابة في هذا الموضوع الحسّاس حرصاً عليَّ، فأيقظوا لدي قوى التحدي الكامنة لمواجهة الصعاب في نصرة الحق والانتصار للحقيقة. حيث استحقَّ إقدامي التهنئة والشكر على (شجاعتي)، كما وصفها الأديب عبد الكريم قميرة في نهاية تقديمه لهذا الكتاب.

٥- الأستاذ المهندس حيدر نور المضيء مرشد الذي أغنى الكتاب بتصويباته، وتعقيباته، وإضافاته على معلوماته وخاصة المُتَعَلِّقَة منها بعقيدة المرشديين وإيمانهم، كان الكتاب مفتقراً لها.

٦-المفتي العام للجمهورية العربية السورية سماحة الشيخ الدكتور أحمد بدر الدين حسون الذي قال لي هاتفياً عندما أخبرته أنني بصدد الكتابة عن مظلوميَّة سلمان المرشد: ((أنتم سكَّان الجبال الساحلية ظُلمتم كثيراً فيما مضى، ظلمكم التاريخ كثيراً. اكتبوا وقدموا أنفسكم للناس كما أنتم،

وعرّفوا الآخرين بكم وبتاريخكم، ويجب على كل من يستطيع الكتابة منكم أن يكتب...الخ)).

أكرر شكري لهم جميعاً... مع التحيات العابقة بالطيب

اللاذقية - الدالية صيف ٢٠١٦م

عيسى أبو علّوش

ختاماً:

يقف المرء مدهوشاً متعجِّباً مستغرباً أمام حياةٍ قصيرةٍ لرجلٍ بسيط المنبت والنشأة، بدأها مصارعاً لليتم والفقر اللذيْن لم يرحما طفولته الشقية.

لكن يفاعته غير المسبوقة جعلت من (الصبي) ثائراً صلباً لا يلين، تجرف ثورته الهوجاء غُبْنَ الدهور، وظلم القرون. فيعلنها ثورة وطنية طبقية ضد التخلف والإقطاع والجهل، وضد محتلي البلاد الخارجيين، وأدواتهم الداخليين. متجاوزاً(هذا القائد الأميّ) شروط النظريات الفكرية للثورات، والثقافة الشخصية لقادتها!! فاكتفى بالطهارة الفطرية العليا للإنسان، دون تكلُّف أو تزييف، لتجعل منه زعيماً وطنياً لا يُشَقُّ له غبار، تنحني أمامه الهامات، وتميل له القلوب، وتتسابق إليه الأيدي والأذرع. وفي ذات الوقت، تنشغل به دوائر الغدر والخيانة، ويلتمُّ عليه جهابذة الظلام والانتقام، فيوصلوه إلى سنام المجد، مُكلَّلاً بتاج الشهادة، ومُكفَّناً بعلم الوطن الذي أحبّ، قبل أن يكمل عقده الرابع من عمره الزمني.

كان هذا واقع حال الطفل الفقير الضعيف، واليافع القائد الثائر، والشاب الزعيم، ثم الشهيد، سلمان المرشد، الذي أذهل

الناس وشغلهم، حتى انقسموا بين منحازٍ له ومعه، ومنحاز ضده، ((والرجال العظماء هم الذين يختلف فيهم الرجال بين مؤيِّدين ومعارضين))[1]. فاستحقَّ أن يوضع أمام اسمه ألف علامة وعلامة من الاستفهام والتعجب. فالرجل، بالرغم من أنه ((ملأ الدنيا وشغل الناس)) فهو لم يذق طعم الكهولة بحسب التقسيم الزمني لمراحل عمر الإنسان وحياته، فما بالك بالشيخوخة ؟؟؟!!!

ولا غرابة في ذلك، فقد ذكر التاريخ لنا أسماء كثيرين من عظمائه الذين لم تتجاوز أعمارهم ثلاثينيَّتها، أمثال: الإسكندر المقدوني، والسيد المسيح (ع)، والخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وفارس السيف والقلم الأمير الشاعر أبي فراس الحمداني... وغيرهم كثير. وكلُّهم فدوا أهلهم ومريديهم وأتباعهم بدمائهم وأرواحهم ، لأن الفداء ضريبة خلود الخالدين.

(1) حكمة قالها أحد الحكماء.

ملحوظة:

كان كتابي هذا (وَميضٌ في الغَسَق) قد وصل مرحلة التنضيد (بنسخته التجريبيّة الأولى) عندما وصلتني هذه الرسالة الموسومة بعنوان (تحية وشكر).

من الأخ والصديق[1]غيادق سعيد يُعبِّر فيها عن شكره لي، وعن عواطفه الإنسانية الراقية تجاه كتابي، وجهودي المبذولة في إعداده وتحضيره وإخراجه. كما أنه يطلب مني إضافة (تحيته وشكره) هذه إلى متن الكتاب إذا وجدت في ذلك مبرّراً وخدمة...

أبادلك الشكر بالشكر، والتحية بأحسن منها يا أخ غيادق، وأقرّر . نزولاً عند طلبك ورغبتك . إضافة رسالتك اللطيفة هذه إلى متن الكتاب، لأنها تُغْنيه وتزيد في بهائه وألقه... أشكرك مرة أخرى ... وأرجو لك التوفيق دائماً.

أخوكم عيسى أبو علّوش

---

١ – هو غيادق نظير سعيد ، أحد الشباب المرشديّين.
حاصل على شهادة دبلوم متوسّط في صناعة الغزل والنّسيج .
يعمل في وزارة التّربية السورية – عضو لجنة تأليف المناهج المدرسيّة لمهنة الغزل .

تحية وشكر

عيونٌ ترقُب الزمنَ؛ وتاريخٌ لا ينام رغمَ جور الحاكم، وغلوّ الظالم ورغبته في كتابته بما أراد، لكنّ حكمة الله تريد، وإرادة الله تغلب كل إرادة.

وانطلاقاً من ذلك. هناك من يمتلك إرادة الحياة والتوق إلى حقيقة تاريخها، حملته هذه الإرادة الحرّة على تحمّل مشاق البحث لعلّه يدرك الحقيقة...

ويُحقق ما يصبو إليه بإدراكها. ولديه الجرأة على تدوينها وتنقية التاريخ. . هذا الإرث الشعبي - من الأغلاط والأضاليل التي طالته مُحقّقاً بذلك انقلاباً على المفاهيم التي ألبسه إياها أولئك المتسلّطون الحاكمون الجاثمون على صدر التاريخ. مدّعين حراسته ومزوّرين كتابته.

فلك أيها الكاتب والباحث الأستاذ عيسى أبو علوش تُرفع القبّعة على جُرأتك بمحاولة تقديم الحقيقة عن حِقبة من تاريخ سوريا في كتاب (وَميضٌ في الغسَق) بعدما اطّلعت على بعض مواضيعه وهو مخطوط، الذي تناول نبذة تاريخية من حياة إمام العشيرة المرشدية ومُؤسّسها سلمان مرشد واضع حجر الأساس للمجتمع المرشدي، وطريق نهضته بالفكر الحرّ

والنظرة الصحيحة للخالق. ومُبشِّراً ((بقرب وعد الإله القديم. عن قيام القائم الموعود، وأنَّ الله سيملأ الأرض قِسطاً وعدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً. وإنّما الله يريد بالناس خيراً وما أراد بهم ربُّهم شراً))[1]. مُنقِّحاً المجتمع من العادات والتقاليد الخاطئة التي ألبسوه إياها عبر تاريخ مرير حافل بالظلم والاضطهاد ومُبشِّراً بالمعرفة الجديدة عن الله.

لذلك وقف ضدّه . أولئك الخائفون من المعرفة. وتحالفوا مع المُحتلّ لمحاربة هذه الحركة التي ((رأى فيها المُحتلّ حركة تحرُّرية مذهبية))[2].

إذن ((سلمان لم يُقتل إلا بعد أن أرسى بقلوب جماعته التطلُّع لله، والتعلُّق به. وهذا سرُّ القوة وسرُّ النصر، وشعور العزّة الذي لا يموت))[3].

أقدِّم لك التحية والشكر أيها الكاتب الأديب الأستاذ عيسى أبو علُّوش، ولصديقك الأديب الأستاذ عبد الكريم قميرة على عملكما القيِّم هذا. بالرغم من تحفُّظي على بعض العبارات

---

(١) لمحات حول المرشدية . نور المضيء مرشد . ص ٣٣ .

(٢) المصدر نفسه . ص ٣٥ .

(٣) المصدر نفسه . ص ١٤٦ .

الواردة فيه. وأرجو أن تُضيف تحيتي هذه (يا أستاذ عيسى) إلى متن الكتاب إذا وجدت في ذلك مبرّراً وخدمة.

أخوكم غيادق نظير سعيد

عضو لجنة التأليف في وزارة التربية السورية

اللاذقية في ١٦ / آب / ٢٠١٦م

مسك الختام:

عندما بدأت بحثي عن المرشدية، كانت المعلومات تصلني متناثرةً من هنا وهناك وهنالك عبر شباب من المرشديين تعرّفت عليهم حديثاً، وسرعان ما اتّخذنا بعضنا أصدقاء.

كنت أرغب في التواصل مع (رأس نبع) المرشدية بقصد الحصول على المعلومات من مصادرها الموثوقة، فقيل لي: إن المرجعية الدينية الروحية توقفت عندهم بغيبة المعلم ساجي عام ١٩٩٨ ولم يكلِّف أحداً بمتابعتها من بعده. فسألتُ عن المرجعية الدنيوية الحياتية ومن يُمثّلها، فأجابوا بأنها غير موجودة أيضاً.

كانت نسخة ورقية من كتابي هذا (وَمِيضٌ في الغَسَق) غير المُكتمِل تُعرَض على بعض الشباب المُثقّفين في مناطق تواجد المرشديين بمحافظة اللاذقية ومنطقة الغاب، وعبر الهاتف ووسائل التواصل الأخرى في حمص ودمشق وغيرهما، بواسطة شاب مرشدي غيور، دفعته حماسته لعقيدته، وحبُّه لأهله وجماعته، إلى إطلاعهم على أفكار الكتاب قبل إصداره، لتَلقّي ردود أفعالهم المتباينة عليه، إلى أن أوصله إلى الأستاذ المهندس حيدر نور المضيء مرشد، الذي طلب نسخة إلكترونية من الكتاب ليطّلع عليه كلّه، فأرسلتها له بالبريد

الإلكتروني ، فكانت هذه بداية مراسلات امتدت بيننا على مدى ثلاثةأشهر تقريباً، دون أن يرى أحدنا الآخر. وقد اختلفنا في كثير من أفكاره، وتوافقنا في كثير. وكان مَطلعُ رسالته الأولى، أي مقدمة تعقيباته على الكتاب، ما يلي:

((أستاذ عيسى أبو علّوش...

أبارك فيك هذه الإرادة لملامسة الحقيقة التي هي شفاء الجميع، فمن يجرع منها يحمُدُ ويُحْمَدُ بها. وأتمنى لك التوفيق في ما تسعى له من نور. السلام روحنا وإمامنافهنيئاً لمن ينشق من سلمان أرواح المجد العاطرة، ومبارَكٌ من تتأنّق به الحياة من أسلوبه الجليل وبوادره الضاحكة.

أمّا وقد وقع كتابك بين يدي وأحضره لي بعض الأخوة فقد أراد قلمي ما أراد، وعقَّب ما عقَّب. فأرسل لك هذه الملاحظات التي هي تصويبات وتعقيبات مدمجة ضمن الملف نفسه، اقرأها وتمعَّن بها واخلَص إلى الشكل الأخير لكتابك بعد حذف ما لا بُدَّ من حذفه، أو تصويب ما لا بُدَّ من تصويبه، أو إضافة ما يلائم إضافته من هذه التعقيبات الواردة ضمن هذه الملاحظات، ولكن بشرط التقيّد الحرفي بما جاء بها، وعدم تعديل شيء فيها على الإطلاق.

أهلاً وسهلاً بكل من يريد الحقيقة، وعذراً على اقتحام صراحتي وعبسات سماحتي)).

أما رسالته الثانية فكانت طيبة كالأولى، أقتبس منها ما يلي:

((... يا أستاذ ... لو لم أجد عندك هذا الاحترام والتقدير لاسم سلمان لما اكترثتُ بكتابك أصلاً. ولكن لأنني وجدتُ عندك هذا الاحترام، وهذا الانفتاح، وهذه المبادرة المقدّرة، لذلك قرأتُ وعقّبت. وكتابك كله خطوة طيبة)).

وقد ختم رسالته الثّانية بهذه الفقرة :

"أنا لا أتكلَم قطعاً باسم المرشديّين، بل هذه نظرتي وروحانيّتي بعقيدتي وقضيّتي، فهذا كأسي وليس كأس الجميع، وقد تشرب الروح بطعمات ونكهات مختلفة من مرشديّين آخرين، فنحن لسنا أساتذةً على بعضنا، بل أخوة في حقيقة واحدة. إنّ طبيعة الحديث فيما قدّمت من تعقيبات في هذا الكتاب توجب استخدام كلمة "نحن"أحياناً لأنّني عندها لا أكون أنقل رأيي الشخصي فقط في نقاش دائر مع آخر، بل أتكلّم عن عشيرةٍ وزعيمها، وقضيّة وعقيدة مشتركة، ففصاحة التعبير توجب الصيغة الجماعية لا أكثر. ولكن قطعاً أنا أتكلّم بلساني فقط، وأنا الوحيد المسؤول عمّا أقول".

((ثمّ يُكمل الأستاذ حيدر مرشد ختامه فيقول :

يسرّنا أن نرى بيرقنا مرفوعاً بين الناس كما هو مرفوع وقائم في مجتمعنا، ولكنّنا لا نستجدي أحداً . بل حتّى تقديسنا لربّنا ليس استجداءً منه ، بل عن شعور محبّةٍ و حقّ. ليس علينا من منّان إلّا المنّان ، فهو خلقنا وهدانا ، وهو من في المعاد يعوّضنا ويرزقنا . وحتّى الداخلين في صفّنا يباركون أنفسهم ولا يباركوننا ، كما يبارك نفسه بقول الحقّ، ويشرّف نفسه، من يتكلّم عن حقّنا وصدقنا وحقيقة سيرتنا . لا نجد أنفسنا متّهمين نحتاج للتبرئة، كما ولا نجد أنفسنا مطموسين نحتاج للظهور، كما ولانجد أنفسنا مظلومين نحتاج للعدل والإنصاف ، بل وجدنا أنفسنا بما أردنا .وكفى بها شرفٌ وجاه وعزّة .

ويسرّني، بل و أتمنّى أن يصبح في مجتمعاتنا حركة حوار متحرّر جريئة القيامة، بريئة السجايا و النتائج، تتلقّف هذه الأجيال و ترفعهم إلى مستوى أليق من الفكر والوجدان، فلا يغطشهم بعد اليوم غاطش، ولا تجذبهم ألاقة الغوى وتيهه ،لأنّ لهم في باطنهم حركة رشدٍ ووعي تُغني كلّ من امتلكها، وتسخّف في عينه كل ممتلكات الغابرين . والحمدلله مولانا الذي أنعم علينا بحبّه وروحانيّته ، و السلام .))

